الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة
مكتبة قسم الدراسات العليا
الرقم العام ١٠٨
الرقم الخاص

٢١٢٩٠
س ل ع

جامعة القاهرة
كلية دار العلوم

عبد الله بن عباس

و

مدرسته في التفسير

رسالة

ماجستير

اعداد

عبد الله محمد سلقيني

اشراف

الأستاذ الدكتور:

مصطفى زيد

رئيس قسم الشريعة ـ كلية دار العلوم
جامعة القاهرة

١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م

((بسم الله الرحمن الرحيم))

" المقدمـــة "

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمـــة للعالمين ، وعلى آلـه وصحبه أجمعين .

أ ـ وبعد : فقد بحث كثيرون من رجال الفكر فى مواضع شـــتى ، زودوا بها المكتبة العربية بثروة فكرية واسعة ، وكانت نفسى تتوق ـ منـذ بدأت حياتى الجامعية ـ الى الكتابة حول القرآن الكريم والسنة المطهـرة ، لأن القرآن هو النبع الوحيد الفياض لكل فكر إسلامي . والرسول ـ صلـــى الله عليه وسلم ـ هو الذى يبين بسنته القولية والعملية ، تفريع وتوزيـــع الأنهار والجداول المنبثقـة عن هذا المعين الصافى ، ويحدد خطط ارتواء البشرية منه ، وكيف يعومون فى لجته فيغسلون أنفسهم من أدران التبعيـة لغير الله ، من شياطين الانس والجن .

٢ ـ ودارت عجلة الزمن ، وبدا الحلم حقيقـة ، بتشجيع وعـــون أستاذى الذى أشرف على بحثي الدكتور مصطفى زيد . وكان هذا البحـــث فاتحة جيدة جعلتنى أجـول فى كتب التواريخ لأخط حياة أشهر مفسر مـــن الصحابة هو : عبد اللـه بن عباس ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ ثم أبحـث فى كتب التفسير بالمأثور ، فأسبر أغوارها ، وأحقق بعض أسانيدهـــا ، فى كتب التراجم ، لأزيل النقاب عن أهم مدرسة فى تفسير القرآن أسسهـــا هذا الصحابى الجليل .

٣ ـ وإنى لأرجو أن يؤهلنى بحثي هذا ـ فى المستقبل القريـــب ان شاء الله ـ لأنهل من نبع القرآن الكريم الصافى ، وسنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأتجنب السواقى والجداول ، التى من الممكن أن يكـــون قد عكرت صفوها أيدي العابثين ، والدساسين من الملاحدة على مـــــر الأيام . قال عبدالله بن عباس ـ رضى الله عنه ـ : " انما هو كتـــاب

الله ، وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — ، لمن قال بعد ذلك شيئاً ، لما أدري : أفي حسناته يجده ، أم في سيئاته ؟ " .

٤ — واقتضى منهج البحث مني أن أجعله في تمهيد ، وبابين ، وخاتمة .

وضحت في التمهيد مهمة الرسول — صلى الله عليه وسلم — في بيان القرآن ، وأوجه بيانه . ثم عرضت باختصار دور الصحابة في نقل وتوضيح بيان الرسول — صلى الله عليه وسلم — للقرآن .

٥ — وخصصت الباب الأول لعبد الله بن عباس . درست في الفصل الأول : حياته . وفي الفصل الثاني : شيوخه ، رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وعمر بن الخطاب ، وأبيّ بن كعب ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن ثابت — رضي الله عنهم — . وختمت الفصل بالحديث عن مكانة ابن عباس العلمية .

٦ — وتناولت في الباب الثاني : مدرسة ابن عباس في التفسير ، تحدثت في الفصل الأول منه عن فهم الرسول — صلى الله عليه وسلم — والصحابة للقرآن . ثم عن مصادر التفسير في عصر الصحابة ، وذكرت أسماء من اشتهر في التفسير منهم . ثم ختمت الفصل بنماذج مما ثبت من التفسير في ذلك العهد .

وعالجت في الفصل الثاني موضوعين :

— منهج ابن عباس في التفسير .

— هل له تفسير كامل مكتوب ؟

وفي الفصل الثالث تحدثت في موضوعين أيضاً :

— مدرسة ابن عباس في التفسير ، وأشهر رجالها من تلاميذ ابن عباس : سعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، وطاوس بن كيسان ، وعكرمة ، وعطاء بن أبي رباح .

ـ الرواية عن ابن عباس : سر التفاوت فيما روى عنه ، ودراسة أشهر الطرق التى حملت لنا تفسيره .

وجعلت الفصل الرابع دراسة عامة لتفسير ابن عباس .

وسجلت فى الخاتمة أهم نتائج البحث .

والله أسأل أن يرزقنى الاخلاص فى العمل ، وأن يجنبنى الزلل ، انه سميع مجيب .

تمهيـــــد

١ــ لماذا نفسر القرآن ؟

أليعيد قراءته ، أم ليزيل الستار عن الغامض من معانيه فقط ؟

لا ، لا لهذا ، ولا لذاك مثل لتحرر من تميّعه وعبادة البشر ، ونربط الفرد والجماعة بخالق العوالم ، مدبر الكون ، رب الأرض والسموات العلى ، والقرآن دستور الأمة ، وهداية الخالق لإصلاح الخلق ، وشريعة السماء لأهل الأرض .

وهو التشريع العام الخالد ، الذي تكفل بكل ما يحتاج اليـــه البشر في أمور دينهم ، ودنياهم ، في العقائد والأخلاق ، والعبادات ، وفي المعاملات المدنية والجنائية ، وفي الاقتصاد والسياسة ، والسلـــم والحرب ، والمعاهدات والعلاقات الدولية ، وهو في ذلك كله حكـــيم كل الحكمة ، لا يعتريه خلل ، ولا اختلاف " يأيها الناس قد جاءتكـــم موعظة من ربكم ، وشفاء لما في الصدور ، وهدى ، ورحمة للمؤمنين "(١) .

٢ــ فلا عجب أن كانت السعادة الحقيقية لا تنال إلا بالاهتـــداء بهديه ، والتزام ما جاء به ، فهو شفاء لما في الصدور ، وعلاج لما حـــل ، أو يحل بالمجتمع من شرور " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا "(٢) .

٣ــ ومن المؤسف أن أكثر المسلمين في الوقت الحاضر ، اكتفـــوا من القرآن بألفاظ يرددونها ، وأنغام يلحنونها ، في المآتم والمقابـــر والدور ، وبمصاحف يحملونها ، أو يودعونها البيوت تبركا بها ، ونســـوا أن بركة القرآن العظمى انما تكون في العمل به ، والوقوف عند نواهيـــه ، ولا يتأتى ذلك الا بتدبره ، والاتعاظ بما فيه " كتاب أنزلناه اليـــك

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٥٧ .

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٨٢

مباركٌ ليدبروا آياته ، وليذكر أولو الألباب"(١) ، " أفلا يتدبرون القرآن ؟ أم على قلوب أقفالها "(٢) ، " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدّكر"(٣) .

٤ـ لقد هيأ الله عز وجل السبل لبيان القرآن ، حتى يقوم الناس بالقسط ، فبدون هذا البيان لايمكن العمل بالقرآن ؛ لأن من شروط صحة التكليف بعمل ما ، أن يكون معلوما للمكلف علما تاما ، حتى يستطيع القيام به كما طلب منه .

٥ـ وعلى هذا فنصوص القرآن المجملة مثلا لايصح تكليف المكلف بها ، الا بعد أن يفصّل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما فيها من إجمال ، إذ كيف يكلّف بالصلاة من لايعرف أركانها وشروطها ، وكيفية أدائها ؟ ! وكذلك الحج والزكاة ، وكل فعل تعلق به خطاب من الشارع ، إذا كان هذا الخطاب مجملا ، لايعلم مراد الشارع به ، فانه لايجوز مطالبة المكلفين بامتثاله ، الا بعد بيانه وتفسيره(٤) . ولهذا فرض الله على رسوله أن يبين كتابه ، حيث قال سبحانه : " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم "(٥) .

٦ـ واهتماما بهذا البيان ، وحثا على الرجوع إليه في فهم القرآن ، أمرنا سبحانه وتعالى بطاعة رسوله فقال : " يأيها الذين آمنوا أطيعوا

---

(١) سورة ص ، الآية : ٢٩

(٢) سورة محمد ، الآية : ٢٤

(٣) سورة القمر ، الآية : ١٧

(٤) انظر علم أصول الفقه ، لعبد الوهاب خلاف ص ١٤٧ ، وراجع كتب أصول الفقه في شروط صحة التكليف ، من بحث الحكم .

(٥) سورة النحل ، الآية : ٤٤ .

الله وأطيعوا الرسول "(١) ، وقال : " من يطع الرسول فقد أطاع الله "(٢) ، وقال : " وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا "(٣) .

٢ - وإذا ما استعرضنا بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - للقرآن وجدناه على وجوه نوجزها فيما يلي :

أ - بيان معنى لفظ أو متعلقه : كبيان المغضوب عليهم باليهود(٤) ، والضالين بالنصارى(٥) .

ب - توضيح مشكلة : ومن ذلك تفسيره - صلى الله عليه وسلم - للخيط الأبيض ، والخيط الأسود في قوله تعالى : " حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر "(٦) ، بأنه بياض النهار ، وسواد الليل(٧) .

ج - تأكيد ما جاء في القرآن : كأن يأتي قوله - صلى الله عليه وسلم - مطابقا لما ورد فيه ، بقصد تأكيد الحكم وتثبيته ، كقوله : " لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه "(٨) ، موافق لقوله تعالى : " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل "(٩) .

---

(١) سورة محمد ، الآية : ٣٣

(٢) سورة النساء ، الآية : ٨٠

(٣) سورة الحشر ، الآية : ٧

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٥٥/١ ، والدر المنثور ١٦/١ .

(٥) انظر صحيح الترمذي ٧٣/١١ أبواب التفسير .

(٦) سورة البقرة ، الآية ١٧٨ .

(٧) انظر صحيح مسلم ٢٠٠/٧ كتاب الصيام . وقد أخرجه في الصوم كل من البخاري وأبو داود والنسائي .

(٨) انظر مسند الامام أحمد بن حنبل ٧٢/٥

(٩) سورة البقرة ، الآية ١٨٨ ، وانظر هذا البحث في كتاب : أصول التشريع الاسلامي للأستاذ علي حسب الله ص : ٤١ - ٤٢ .

٤ـ تفصيل مجمله : كبيانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمليا لمواقيت الصلاة ، وأركانها ، وعدد ركعاتها بقوله : " صلوا كما رأيتمونى أصلى " . ومثل ذلك الحج والزكاة .(١)

٥ـ تخصيص عامه : كتخصيصه ـ عليه صلوات الله ـ المورث بغير الأنبياء بقوله : " انا لانورث ، ما تركناه صدقة "(٢) ، وتخصيصه الوارث بغير القاتل ، بقوله : " القاتل لايرث "(٣)

٦ـ تقييد مطلقه : ومن ذلك ، ورود الوصية مطلقة فى قوله سبحانه : " من بعد وصية يوصى بها أو دين "(٤) ، فقيدها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدم الزيادة على الثلث .(٥)

---

(١) انظر هذا البحث فى كتاب : أصول التشريع الاسلامى للأستاذ على حسب الله ص : ٤١ ـ ٤٢ .

(٢) انظر مسند أحمد جـ ٣ ص ٤ الحديث رقم : ١٤٠٦ .

(٣) انظر صحيح الترمذى ٢٥٩/٨ ، وسنن ابن ماجة ٨٦/٢

(٤) سورة النساء ، الآية : ١١

(٥) انظر أصول التشريع الاسلامى للأستاذ على حسب الله ص ٤١ ـ ٤٢ ، وانظر صحيح الترمذى ٢٥٩/٨ ، وانظر ما أخرجه الترمذى أيضا فى ٢٦٨/٨ ـ ٢٧٠ عن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال : "مرضت عام الفتح مرضا أشفيت منه على الموت ، فأتانى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعودنى ـ فقلت : يارسول الله إن لى مالا كثيرا ، وليس يرثنى إلا ابنتي ، أفأوصي بمالي كله ؟ قال : لا . قلت : فالشطر ؟ قال : لا . قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة ، يتكففون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة إلا أجرت بها ، حتى اللقمة ترفعها الى فى امرأتك . قال : قلت يا رسول الله أخلف عن هجرتى ؟ قال : إنك لن تخلف بعدى ، فتعمل عملا تريد به وجه الله ، إلا ازددت به رفعة ودرجة ، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ، ويضر بك آخرون ، اللهم أمض لأصحابى هجرتهم ، ولاترددهم على أعقابهم " . وورد بنحوه فى سنن ابن ماجة ٨٢/٢ (الطبعة الاولى) .

٨ — وقد يلحق بعضهم بأوجه بيان الرسول — صلى الله عليه وسلم — للقرآن بيان الأحكام الزائدة عليه : كالديات ، وتحريم أكل لحم الحمر الأهلية ، وسباع البهائم . كما يعتبرون منها بيان النسخ أيضا .

والذى نرجحه أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — لم يشرع أحكاما زائدة عما فى القرآن ، ولم ينطق بحكم الا وله أصل فيه . فالقرآن الكريم شرح الأصل فى أحكام الدية بقوله سبحانه : " فدية مسلمة الى أهله "(١) . وتحريم أكل الحمر الأهلية ، وسباع البهائم ، متفرع عن قوله : " ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث "(٢) . وما اعتبروه من بيان النسخ ، وساقوا عليه أمثلة ، نلحقه ببيان التخصيص ، أو التقييد ، أو التأكيد لأن النسخ الذى نعتبره ، هو ازالة الحكم كلية . أما التقييد ، والتخصيص والاستثناء ، وأمثالها ، فليست من النسخ فى شئ ، ولأننا لانجد واقعة واحدة لنسخ الكتاب بالسنة ، والخلاف الذى قام حول جواز ذلك ، إنما هو خلاف نظرى بحت(٣) .

٩ — واذا كنا قد ذكرنا كلمة وجيزة عن أوجه بيان الرسول للقرآن ، فلسنا نقصد بذلك أنه بين كل معانيه افرادا وتركيبا . ولو كان الأمر كذلك ، لاستوى الصحابة جميعا فى فهم كتاب الله تعالى ، ولما كان هناك

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٢

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧

(٣) انظر كتاب النسخ فى القرآن الكريم ، للدكتور مصطفى زيد ، حيث استوفى فيه مؤلفه كل ما يتعلق بالنسخ . وانظر فيه الفقرتين : (١١٠ ، ١١٢) فى المجلد الأول ص ٧٨ و ٧٩ . والفقرة (١٢٦) فى المجلد الثانى ص ٨٣٨ .

أما قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : إن آية كذا نسخت آية كذا ، فهذا مما لاننكر وقوعه . غير أن الناسخ فى مثل هذه الحالة هو القرآن نفسه ، والرسول انما دل على وقوع النسخ ، ولم يقل بالنسخ الا بناء على وحى .

وجه لتخصيص النبي - صلى الله عليه وسلم - ابن عباس حينما دعا له فقال : " اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل " (١) فائدة .

١٠ - وعلى هذا ، فقد كان للصحابة - رضي الله عنهم - دور لايستهان به ، في تتميم بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - للقرآن ، لأنهم شاهدوا الوحي والتنزيل ، وعرفوا وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن حِكَم ومعاني الكتاب ، ولهم من سلامة فطرهم ، وصفاء نفوسهم ، ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله تعالى ، وما يجعلهم يدركون المراد من تنزيله .

١١ - من هنا كان لما أثر عن الصحابة أهمية بالغة ، وأصبح من غير الممكن الاستغناء عنه ، وخصوصاً ماروي عن مشاهير المفسرين منهم ، أمثال : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبي موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير ، وغيرهم - رضوان الله عليهم - .

١٢ - وإذا كان عبدالله بن عباس قد امتاز من بينهم جميعا في التفسير - فقد كان لصغر سنه دور لاينسى في استعداده لتلقي العلم وجمعه ، لقد استفاد بفضل جده ونشاطه من علوم الصحابة جميعا ، ثم إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - دعا له بأن يعلمه الله التأويل ، حتى سماه عبدالله بن مسعود : " ترجمان القرآن " حيث كان يقول : " نِعْمَ ترجمان القرآن ابن عباس " . (٢)

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١/٢٨

(٢) انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٠ . وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٧٨ . والاصابة ج ٢ ص ٣٢٣ .

١٣ — وقد كان أكثر الصحابة تفسيرا ، وذلك لتأخر الزمان به حتى اشتدت حاجة الناس الى التفسير ، بعد اتساع الاسلام واستحصار العمران ولانقطاعه وتفرغه لنشر الدعوة والعلم ، دون أن تشغله خلافة ، أو تصرفه سياسة ، لكن ماعزي إليه ليس كله صحيحا ، فقد نسب إليه من الآراء مالم يقله ، نظرا لاشتهاره بالتفسير ، ولذلك تقتضينا دراسة مدرسته في التفسير أن ندرس حياته ، وأشهر الأسانيد التي رويت بها آثاره ، حتى يتبين على ضوء هذه الدراسة ماقاله ، وما نسب اليه ولم يقله .

الباب الأول

"عبد الله بن عباس"

الفصل الأول

حياة ابن عباس

(رضي الله عنهما)

* من هو ؟ وكيف نشأ ؟
* وما البيئة التي شب فيها ؟
وإلى أي مدى تأثر بها ؟

١٤ـ في بطحاء مكة ، بل في شعب ضيق من الشعاب في جبالها ، حين تألبت قوى الكفر على المؤمنين وبيهم ، وتحالفت قريش وبنو كنانة على بني هاشم ألا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم ، وأذاقوهم من ضروب الأذى ما يفوق احتمال البشر .

حينذاك ، أخبر العباس ابن أخيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحمل زوجته أم الفضل . (١) وبشره رسول الله بغلام .

وسارت عجلة الزمن ، وانتهت أيام الحمل ، واستهل المولود في هذا الظرف الحالك بالذات قبل الهجرة بثلاث سنين ـ (٢) ولا تحدد اليوم والشهر فان ذلك مما لم نتمكن من الوصول اليه ـ وكان هذا المولود هو ترجمان القرآن ، وبابي الأمة فيما بعد ، وهو عبد الله بن عباس ابن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي ، الهاشمي ، المكي ،

---

(١) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (الجزء التاسع) ـ مخطوط الظاهرية دمشق ـ .

(٢) انظر تهذيب الكمال للمزي ـ مخطوط ـ ج ٥ حرف العين ، وجمهرة أنساب العرب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ص ١٨ ، ومشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب ص ٦٩٦ رقم (٥٠٦) .

ثم هو ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبو الخلفاء .

واحتضنته الأيدى المطوف عقب ولادته لتنطلق به الى صاحب الرسالة ، الذى بشر به مذ كان جنينا فى بطن أمه ، فيأخذه (عليه الصلاة والسلام) بين ذراعيه ويجعله فى حجره ، ويحنكه بريقه الشريف (١) .

١٥ ـ وكانت ولادته من أبوين نجيبين ، شريفين فى الجاهلية والاسلام .

فأبوه العباس بن عبد المطلب ، سيد قريش ومن ذوى الحكمة والرأى فيها ، واليه ترجع عمارة البيت وسقايته ، باتفاق من قريش فى جاهليتهم . وفى الاسلام شهد له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالسيادة حين قال : " هذا العباس أجود قريش كفا ، وأوصلها لها (٢) " .

وكفينا أن نعلم أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) كان إذا قحط المسلمون يستسقى به ، وأنه هو وعثمان بن عفان كانا إذا مر بهما العباس وهما راكبان ، نزلا حتى يجوز ، إجلالا له ، ويقولان : هذا عم النبى (صلى الله عليه وسلم) .

---

(١) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٢ ، وأسد الغابة جـ ٣ ص ١٩٢ ـ ١٩٣ وصفة الصفوة جـ ١ ص ٢١٤ ، وغاية النهاية فى طبقات القراء ص ٤٢٦ ، وتاريخ الاسلام للذهبى جـ ٣ ص ٣٠ ، والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٢ ، وأنساب الأشراف لأحمد بن يحيى المعروف بالبلاذرى جـ ١ ص ٢٢٣ ـ ٢٣٤ .

ومعنى حنكه بريقه : من حنك الصبى : اذا مضغ تمرا ، أو غيره فدلكه بحنكه (القاموس المحيط) .

(٢) انظر أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر الصقلى ص ٥٤ ـ ٥٥ .

١٦ ـ وأمه أم الفضل « لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالية « أخت ميمونة زوج النبي (١) (صلى الله عليه وسلم) وخالة خالد بن الوليد (رضى الله عنه) (٢) فهي عربقة الأصل « ومن المدجمات يروى أنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة .(٣)

١٧ ـ وكان لهذين الأبوين الأثر الكبير فى شخصيته « حيث ورث عنهما الكثير من صفات النبل والأخلاق الحميدة .

واذا كان للمدارس دور كبير فى التربية والتثقيف « فإن لسلام ـ وهى المدرسة الأولى ـ أثرا فعالا فى نفسية أولادها . وقد ساهم هذا الجانب من حياة ابن عباس « فى دفعه الى المجد والعلاء « إذ كانت تحنو عليه أمه « فتداعبه وتنشد :

ثكلت نفسي وثكلت بكري إن لم يسد فهرا وغير فهر
بالحسب الزاكي وبذل الوفر (٤)

فنشأ كأعز فتى فى قريش « وترعرع فى أحضان الإسلام « ووضح خلاصته منذ بعومة أظفاره « حتى ذاع صيته وعلا شأنه .

---

(١) انظر الإكمال فى أسماء الرجال « لمحمد بن عبد الله الخطيب : ص ٦٩٦ .

(٢) انظر أسد الغابة جـ ٣ ص ١٩٢ « وتاريخ بغداد جـ ١ ص ١٧٣ « ونكت الهميان ص ١٨٠ « والاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٢ « والجمع بين رجال الصحيحين ص ٢٣٩ رقم : ٨٧٨ « وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٤٠ « والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٢ « وتهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٧٦ « وتلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير ص ١٢ بالهامش .

(٣) انظر الاستيعاب جـ ٣ ص ٩٤ ـ ١٠٠ وجـ ٤ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٧ . والاصابة جـ ٢ ص ٢٦٣ « جـ ٤ ص ٣٨٥ و ٤٦١ « وتلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٦١ .

(٤) انظر : أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر الصقلي ص ٧٩ .

١٨ ـ ولعلّ لرابطة النسب التي كانت تربط ابن عباس ببيت النبوة أثرها البالغ في حياته ، وفي درجة ثقافته ، وهو لا يزال يافعا ، مما يسمح له بأن يتردد على بيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيه خالته ميمونة زوج النبي ، فتؤنسه وتلاطفه . ويراه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فينظر إليه نظرة إعجاب ، وكأنه اطلع على المستقبل ، فتوسم في هذا الفتى اليافع خيرا كثيرا ، ودعا له بقوله : " اللهم آته الحكمة "(١) ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا .

١٩ ـ وبيت عبدالله أحيانا عند خالته ميمونة ـ رضي الله عنها ـ فيضع لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرة وضوءه فيقول : " من وضع هذا ؟ " . فتقول ميمونة : (عبد الله) . فيقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل "(٢) .

وليس غريبا على هذا الفتى أن يراه جبريل ـ عليه السلام ـ عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيوصيه به ، ويقول : " إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرا "(٣) .

---

(١) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٥ ، والاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٤ ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٤٠ ، والإصابة جـ ٢ ص ٣٢٢ ، وتهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٧٨ .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد : جـ ٢ ص ٣٦٥ ، والاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٤ ، والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٢ ، وورد بنحوه ، بدون : وعلمه التأويل في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : جـ ٣ ص ٢١١ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ١٨٨ ، وتجد مصادرها في تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٧٨ .

٢٠ ـ ألا ما أعجب هذا الفتى ! إن كل من يراه يتوسم فيه الخير ، ويقرأ في عينيه نورا تستضئ به القلوب . وهذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتعهده ويرعاه منذ صغره ، ويدعو له : " اللهم بارك فيه ، وانشر منه (١) ، واجعله من عبادك الصالحين (٢) " ، " اللهم علمه الحكمة ، وتأويل القرآن " ، " اللهم زده علما وفقها " (٣)

٢١ ـ وها هو ذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يردف عبد الله خلفه ، ويلقنه درسا تربويا ، لا تزال كلماته في أذنيه ، يقول له : " يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ ، لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف " (٤)

٢٢ ـ وقف هذا الطفل الصغير مرة ليصلي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة الليل ، فيتأخر عن رسول الله ، إجلالا له أن يقف بجانبه ، فتمتد إليه يد رسول الله الشريفة لتجعله بحذائه . (٥)

---

(١) انشر منه : أحيي منه ، والمراد تكثير الذرية ، أو من نشر رائحة المسك (لسان العرب) .

وقد يكون المراد منها الرائحة الممنوحة ، أي : انشر العلم والخير منه ، وقد يراد المعنيان : انشر الذرية والفضل والعلم منه ، والله أعلم .

(٢) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٤ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، والاتقان جـ ٢ ص ١٨٨ .

(٤) أخرجه أحمد ، والترمذي في الزهد . وانظر أسد الغابة جـ ٣ ص ١٩٤ .

(٥) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٥ ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٤٠ والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٢ .

وكثيرا ماكان النبى — صلى الله عليه وسلم — يضم عبد الله الى صدره ويجلسه فى حجره ، ليستأنس بجواره ، وينعم بحديثه . وكان أحيانا يضمه مع أخيه عبيد الله ، ويكبر ، ويقول لهم : " من سبق إلىّ فله كذا " . فيستبقون إليه ، ويقعون على ظهره وصدره ، فيلتزمهم جميعا ويقبلهم .(١)

٢٣ — فليس غريبا أن يبلغ ابن عباس المكانة اللائقة به بين أقرانه من صغار الصحابة ، بل ليس غريبا أن ينافس كبارهم . وذلك لأن حداثة السن ، وقرابته من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أتاحتا له فرصة التردد على بيت النبوة ، فزادت معارفه وعلومه ، وتفتحت مواهبه وملكاته ، واطلع على أمور لايتمكن غيره من الوصول إليها .

٢٤ — وما إن انتقل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الأعلى حتى شمر ابن عباس عن ساعد الجد ، وبدأ دورا جديدا فى حياته ، محاولا أن يستدرك مافاته تلقيه عن رسول الله لحداثة سنه(٢) ، فلازم كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وسلك فى ذلك أدبا رفيعا ، وجلدا فى التلقى لايجاريه فيه انسان . وكثيرا ماكان يجلس على

---

(١) انظر ماروواه ابن سعد فى كتاب الطبقات جـ ٢ ص ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، وانظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٣١٤ — ٣١٧ ، والاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٤ ، وصفة الصفوة جـ ١ ص ٣١٤ ، وأسد الغابة جـ ٣ ص ١٩٣ — ١٩٤ ، وطبقات القراء جـ ٢ ص ٤٣٤ نقلا عن مجلة الهداية سنة ٤ ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٤٠ ، وتاريخ الاسلام للذهبى جـ ٣ ص ٣١ — ٣٢ ، والإصابة جـ ٢ ص ٣٢٢ — ٣٢٣ ، وتهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ، والاتقان للسيوطى جـ ٢ ص ١٨٨

(٢) كان سن ابن عباس عند وفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — ثلاث عشرة سنة . انظر ما رجحه بدر الدين العينى بعد أن عرض الروايات الصحيحة للبخاري فى كتابه عمدة القارى شرح صحيح البخارى جـ ٢٠ ص ٥٠ .

باب أحد الصحابة ، وهو نائل ، فيتوسد رداءه ، وتسفى الريح عليه التراب ، حتى يخرج ذاك الصحابى فيراه فيقول له : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟! ألا أرسلت الى فآتيك ... ! فيجيبه حبر الأمة : " لا ، أنا أحق أن آتيك " ، ثم يسأله عما يحتاج اليه من العلم .(١)

وهكذا قضى الفترة التى أعقبت وفاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى جمع المادة العلمية بجد ونشاط ليس لهما نظير . كيف لا وهو الذى قال : " مذاكرة العلم ساعة خير من احياء ليلة " .(٢)

٢٥ — وكان مع شدة ذكائه وقوة ذاكرته ، يعمد الى الكتابة خشية أن يفلت منه شئ ، فقد رأته سلمى جدة عبيد الله بن علىّ ، ومعه ألواح يكتب عليها عن أبى رافع شيئا من فعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .(٣)

٢٦ — فلما جاء عهد عمر تفتحت تلك البراعم العلمية ، وانطلق صاحبنا فى ميدان جديد : هو ميدان النضج العقلى والعلمى ، حتى صار عمر مع سعة عقله ونظره يعده للمعضلات ، فكان اذا أعضلت عليه قضية دعاه فقال له : أنت لها ولأشالها ، ثم يأخذ بقوله ، ولا يدعو لذلك أحدا .(٤)

---

(١) انظر كتاب الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٣٧١ ، وصفة الصفوة : جـ ١ ص ٣١٥ — ٣١٦ ، وتذكرة الحفاظ للذهبى جـ ١ ص ٤١ وتاريخ الاسلام للذهبى جـ ٣ ص ٣٢ ، والاصابة جـ : ٢ ص ٣٢٣ .

(٢) انظر المراجع السابقة .

(٣) انظر المراجع السابقة .

(٤) انظر أسد الغابة جـ ٣ ص ١٩٣ .

وما أكثر ما سأله عما يأتيه من الأمصار ، من ذلك : أن ترجمان القرآن دخل على عمر يوما ، فسأله عمر عن مسألة كتب بها إليه يعلى بن أمية من اليمن . وعندما أجابه فيها ابن عباس ، امتلأت نفس عمر إعجابا به ، وتفتحت أساريره ، وقال له : " أشهد أنك تنطق من بيت نبوة " (١) .

٢٧ ـ ويشعر أبوه العباس بمكانته عند أمير المؤمنين عمر ، فتتحرك عواطف الأبوة الجياشة في نفسه ، ليوصيه وصية تنير له الطريق ، وتبرز له الحقائق ، وهو لم يزل يعد على أبواب البلوغ ، فيقول له : " يابني إني أرى هذا الرجل ـ يعني عمر بن الخطاب ـ قد أكرمك ، وأدناك ، واختصك من دون أكابر أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاحفظ عني ثلاثا : لايجربن عليك كذبا ، ولا تفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا " (٢)

---

(١) انظر كتاب الطبقات ، لمحمد بن سعد ج ٢ ص ٣٦٩ ، وأنباء نجباء الأبناء ، لابن ظفر الصقلي ص ٨١ ، وحلية الأولياء ، ج ١ ص ٣١٨ ، وتاريخ الاسلام للذهبي : ج ٣ ص ٣٣ .

(٢) انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٣٣ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ١١ بزيادة : " ولا تطو عنه نصيحة " . وارجع الى كتاب الحيوان للجاحظ ج ٥ ص ١٨٩ ـ ١٩٠ حيث يذكر الرواية عن العباس بهذا الشكل : " يابني ، أنت أعلم مني ، وأنا أفقه منك إن هذا الرجل يدنيك ـ يعني عمر ابن الخطاب ـ فاحفظ عني ثلاثا : لاتفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا يطلعن منك على كذبة " .

٢٨ ـ وكان تقدير عمر لابن عباس مثار إعجاب الصحابة واستغرابهم لحداثة سنه ، حتى قال بعضهم : لم يدخل هذا معنا ، وإن لنا أبناء مثله ! فيقول لهم عمر : إنه من علمتم . فدعاهم ذات يوم ، فأدخله معهم ـ يقول ابن عباس : فما رأيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم ـ فقال : ماتقولون فى قوله تعالى : " إذا جاء نصر الله والفتح ... " ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ، فلم يقل شيئا . فقال لى : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ماتقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعلمه له ، قال : " إذا جاء نصر الله والفتح " فذلك علامة أجلك " فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا " . فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تقول (١) .

٢٩ ـ وهذا ماجعل ابن عباس يرتفع إلى مصاف شيوخ الصحابة ، وجعل الجميع يجلونه ويقدمونه ، لكنه مع ذلك كله كان يتأدب معهم . قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لأصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " فيمن ترون هذه الآية نزلت : " أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ... الآية " (٢) قالوا : الله أعلم . فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم . فقال ابن عباس : فى نفسى منها شئ . فقال عمر : يا ابن أخى قل ولا تحقر نفسك . قال : ضربت مثلا لعمل . فقال عمر : أى عمل ؟ قال ابن عباس :

---

(١) انظر الاتقان جـ ٢ ص ١٨٧ ، وورد بنحوه فى مسند أحمد : جـ ٥ ص ٥٠ رقم الحديث (٣١٢٧) .

(٢) البقرة : ٢٦٦

رجل غنى يعمل بطاعة الله ، ثم بعث له الشيطان ، فعمل بالمعاصي حتى أفرق أعماله ". (١)

٣٠ — وقد يشعر عمر أن ابن عباس يستصغر نفسه لحداثة سنه فيهجمه ويدينه ، حتى لاتخمد تلك الشعلة الوقادة من الذكاء والمعرفة .

جلس عمر يوما فى رهط من المهاجرين من الصحابة ، فذكروا ليلة القدر ، فتكلم كل بما عنده ، فقال عمر : مالك يا ابن عباس صامتا لاتتكلم ؟ إ تكلم ولا تمنعناك الحداثة . قال ابن عباس : فقلت: " يا أمير المؤمنين ، إن الله وتر يحب الوتر ، فجعل أيام الدنيا تدور على سبع ، وخلق أرزاقنا فى سبع ، وخلق فوقنا سماوات سبعا ، وخلق تحتنا أرضين سبعا ، وأعطى من المثاني سبعا ، ونهى فى كتابه عن نكاح الأربعين عن سبع ، وقسم الميراث فى كتابه على سبع ، ونقع فى السجود من أجسادنا على سبع ، وطاف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالكعبة سبعا ، وبين (٢) الصفا والمروة سبعا ، ورمى الجمار بسبع ، فأراها فى السبع الأواخر من شهر رمضان ". فتعجب عمر فقال : ما وافقنى فيها أحد إلا هذا الغلام الذى لم تستو شئون

---

(١) انظر الاتقان جـ٢ ص ١٨٧ ، وعمدة القارى شرح صحيح البخارى للعينى جـ ١٨ ص ١٢٩ .

(٢) هكذا وردت الرواية ويقتضى السياق أن تكون العبارة: وسعى بين الصفا والمروة ...

رأسه (١) . ثم قال : يا هؤلاء من يؤديني في هذا كأداء ابن عباس (٢) (٣) ؟!

٣١ ـ من هذا كله نجد أن ابن عباس كان له قصب السبق في ميادين العلم ، يتكلم بنور إيمانه ، ويقف بجانب عمر بثاقب فكره ، مما جعله في مصاف شيوخ الصحابة وأجلائهم مع صغر سنه . ولا غرو فهو الفتى العلم ، وترجمان القرآن ، ودعوة النبي محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، له اللسان السؤول ، والقلب المقول ، والنظرة الثاقبة ، والحكمة البالغة . (٤)

---

(١) معنى تستوى شئون رأسه : من استوى الشئ ، إذا اعتدل واستوى الرجل : بلغ أشده ، والمستوى في كلام العرب : الذي بلغ الغاية في شبابه وتمام خلقه (انظر لسان العرب) وروى ابن الجوزي في صفة الصفوة جـ ١ ص ٣١٥ .
عن ابن إدريس قال : " شئون رأسه : الشيب الذي يكون في الرأس " .

(٢) يؤديني فيها : أي في المسألة أو القضية من أدى دينه تأدية أي قضاه والاسم الأداء (لسان العرب) .

(٣) انظر الاتقان جـ ٢ ص ١٨٧ .

(٤) انظر كتاب الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٩ ، وحلية الأولياء جـ ١ ص ٣١٧ ـ ٣١٨ ، والاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٤ ، وتاريخ بغداد جـ ١ ص ١٧٣ ـ ١٧٤ ، وصفة الصفوة : جـ ١ ص ٣١٤ ـ ٣١٥ ، وتاريخ الإسلام للذهبي جـ ٣ ص : ٣٢ ـ ٣٣ ، والإصابة لابن حجر جـ ٢ ص ٣٢٣ ، والإتقان : جـ ٢ ص ١٨٧ .

٣٢ — وفى الشطر الأول من عهد عثمان ، حيث ساد الاستقرار السياسى ، والطمأنينة — كان حبر الأمة يتابع تحصيله ، وإن يكن قد ألم بالشئ الكثير آنذاك ، وبرز فى العربية والشعر والأنساب ، وكان آية فى الحفظ ، لايجاريه فى ذلك إنسان . أنشده ابن أبى ربيعة قصيدته التى مطلعها :

" أمن آل نعم أنت غاد فمبكر " .

فحفظها فى مرة واحدة ، وهى ثمانون بيتا ، وكان إذا سمع النوادب سد أذنيه بأصابعه مخافة أن يحفظ أقوالهم .(١)

٣٣ — ولم يكن تحصيله العلمى جامدا فيجعل منه رجلا قوالا غير فعال . لقد نهض للجهاد فى سبيل الله ، وفى سنة سبع وعشرين للهجرة ، دخل مصر ليكون فى صف الغزاة الفاتحين فى القارة الإفريقية ، تحت قيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح .(٢)

كما أنه فى عهد عثمان أيضا عام ثلاثين من الهجرة دخل معركة أخرى ، فكان مع الغزاة لطبرستان ، حين نقض أهلها الصلح الذى كانوا قد أجروه فى خلافة عمر — رضى الله عنه — وكانت هذه الغزوة بقيادة سعيد بن العاص .(٣) وله مواقف أخرى فى الجهاد باللسان والمنطق العلمى ، والسنان ، تذكر فى حينها عند الكلام عن موقفه مع على — رضى الله عنه — .

(١) انظر صفة الصفوة جـ ١ ص ٣١٤ ، وحلية الأولياء جـ ١ ص ٣١٥ ، وتاريخ الخميس جـ ١ ص ١٦٧ ، ونكت الهميان فى مناقب الصميان للصفدى ص ١٨٠ ، وانظر دائرة معارف البستانى جـ ٣ ص ٣٣٢ .

(٢) انظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى جـ ٣ ص ٤٥ ، والإصابة جـ ٢ ص ٣٢٢ ، وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للسيوطى جـ ١ ص ٩٠ ، والفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية لأحمد بن زينى دحلان ص ١٦٩ — ١٧٠ .

(٣) انظر الفتوحات الاسلامية لأحمد بن زينى دحلان ص ١٧٥ .

٣٤ـ وفى أواخر عهد عثمان ـ رضى الله عنه ـ ازداد نجم ربانى الأمة تألقا ، وذاع صيته ، حتى إن بعض الروايات تقول: إنه تصدر للفتوى منذ ذلك الحين . فكان أهلا لأن يستعمله عثمان على الحج عندما كان محصورا ، فخرج إلى مكة وأقام للناس الحج وقرأ عليهم كتاب عثمان ـ رضى الله عنه ـ.(١)

٣٥ـ ولئن كانت الحياة العامة طبيعية فى عهد الخلفاء الثلاثة الأول ، مما جعلنا نمر بها ولا نعلق عليها كبير اهتمام ، فقد تغير الجو العام للحياة السياسية بعد ذلك فى الدولة الاسلامية ، وتمكر الصفو ، وتلا ذلك تغيرات فى أحوال الحياة المعنوية والاعتقادية .

٣٦ـ وإن كل كائن حى ، يتأثر بما حوله من واقع الحياة ماديا ، ومعنويا ، ذلك التأثر الذى لم يفت القدماء أنفسهم التنبه الى أصله حين تحدثوا عن تأثير البقاع على الطباع ... ثم وضحه المحدثون ، وكانوا أكثر دقة ، فقالوا ما قالوا فى تأثير أحوال الحياة المعنوية : وجدانيا ، وعقليا وعمليا ، على كل إنسان ، من الدين وعقائده ، والفن ومشاعره ، والحكم وأساليبه ، والاقتصاد ونظمه .

٣٧ ـ وإذ يجرى الحديث الآن عن تفاعل ترجمان القرآن مع ماحوله من شئون الحياة حين يواجهها راشدا كبيرا يتأثر بها ويؤثر فيها ـ فإنا لنشعر أن التأثر بالبيئة الطبيعية ، وما حول ابن عباس منها منذ تهيأ للوجود فى أبسط صوره الى أن مر بما مر به من

---

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ١٥٩ ، ١٦٥ ، والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٥ ، والخواص من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقاضى أبى بكر بن العربى ص ١٤١ هامش .

من طفولته وما بعدها إنما هو تأثر سابق للوجود على هذا الدور الذى تركب فيه حبر الأمة رجلا . ولكننا جمعنا القول هنا فى البيئات كلها طبيعية ومعنوية لتجتمع الفكرة وتتكامل فى تماسك .

٣٨ ـ وهذا الذى حول ابن عباس من شئون الحياة يرسم دوائر متداخلة ، بعضها يلى بعضا ، ويمتد التأثر بها بعيدة وقريبة ، واسعة وضيقة بنسب مختلفة ، فالبيئة الضيقة من المسكن والبلدة ، تتصل بما بعدها من دائرة أوسع ، هى دائرة الإقليم الواحد ، كما تتصل بدائرة أكثر سعة هى دائرة الأقاليم المتعددة ، وتتشابك الدوائر بعضها ببعض على قدر الصلات المشتركة ، والمنافع المتبادلة ، والمصالح المتواشجة .

ومن هنا يجرى القول فيما حول ابن عباس من الحياة ، مبتدئا من أضيق الدوائر الى التى تليها ، فالتى تليها ، مادامت عوامل التأثر والتأثير موجودة يمكن الحكم عليها .

فما هى ظروف الحياة حول ابن عباس ؟

٣٩ ـ رأينا أنه وجد وعاش فى بيئة طبيعية خاصة فقضى طفولته الأولى فى مكة حيث ولد ، ثم تتابعت حياته فى المدينة المنورة (١) حيث عاش طويلا . والجو الطبيعى فى المدينة وما حولها من مزارع ، وكروم ، وعيون ، يختلف عنه فى مكة حيث الصحراء الجافة ، وهذا مما لاينكر أثره فى مزاج القيمين فيه .

---

(١) هاجر ابن عباس مع أمه الى المدينة سنة تسع . انظر كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ ٢ ص ٢١٨ حاشية الحديث رقم (١١٠٥) .

٤٠ ـ ولا يبعد أن يكون لمثل المدينة وما حولها بخصوصها وعمومها أثر فى السلوك والأخلاق ، من حب للسلم ، وميل إلى المواعدة ، والهدوء ، مما نجد له ظواهر فى حياة ولاة الأمة عندما ينصح عليا ـ رضى الله عنه ـ مثلا بأن يبقى معاوية على الشام ريثما يبايعه ، ويأخذ له البيعة ، ثم يولى غيره ، لا رأى حاجة إلى تجريد سيف ، واستخدام قوة (١) على ما سنراه قريبا ، ومبايعته لمعاوية وتسليم الأمر له مع الحسن بن على (٢) ، ثم نصحه للحسين بن على عندما أراد الحسين الخروج الى الكوفة (٣) .

٤١ ـ وإذا امتد النظر الى مابعد المدينة وضواحيها ، الى الاقليم الحجازى ـ رأينا ابن عباس لم يغادره إلا لجهاد فى سبيل الله (٤) ، ثم فترة وجوده فى جيش على ـ رضى الله عنهما ـ (٥) ، وولايته على البصرة فى عهده (٦) ، فقد أمضى حياته مترددا بين القريتين : مكة والمدينة ، واستقر أخيرا بمكة .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ١٦٠

(٢) انظر المرجع السابق جـ ٦ ص ٩١

(٣) انظر المرجع السابق جـ ٦ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ ، وتاريخ الاسلام وطبقات المشاهير الأعلام للذهبى جـ ٢ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(٤) انظر الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية لأحمد ابن زينى دحلان ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ، ١٧٥ . والكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى جـ ٣ ص ٤٥ ، وكتاب من حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للسيوطى ص ٩٠ ، والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٢ .

(٥) انظر تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ١٦٣ ، والاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٩ ، ونور الأبصار لمؤمن الشبلنجى ص ٨٩ .

(٦) انظر أسد الغابة ص ١٩٤ ، وتاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٢٢٤ ، ٢٣٦ وجـ ٦ ص ٩٠ ، والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٥ .

أما عن تأثر الحجاز بالأقاليم الأخرى وتأثيره فيمن يعيش فيه ، فإنا لنذكر ما وصفه الله ، بأنه واد غير ذى زرع عند بيته المحـــرم ، وإنا لندرك أن الحياة فيه تختلف عن الحياة فى الشام والعراق مثلا ، وإنه لم يبق فترة طويلة مقرا للدولة الإسلامية ، وصار بعد نائيا عـــن مقر الدولة الأموية فى الشام ، ولهذا البعد عن السلطان وما حولـــه ومن حوله أثر يجب أن يقدر من نواحى كثيرة ، فى سلوك أهله العملى والملموس .

٤٢ — ثم هذا الحجاز وما فيه من البيت المحرم قديما ، ثـــم الحرم النبوى معه حديثا ، قد جعل الأفئدة تهوى إليه بعد ما صـــار ملتقى الحجيج من الشعوب الإسلامية ، يلتقى فيه أصحاب الألســـنة المختلفة ، والألوان المختلفة ، فيعرف أهله من شئون هذه الجماعات ما لا يعرفه ساكنوا إقليم غيره ، ويتأثرون بذلك ، تأثرات مختلفة . ولذا كان لموقع مكة الممتاز بالنسبة للإقليم الحجازى بشكل خاص ، ولبقيـــة الأقاليم ، بشكل عام — أثر كبير فى تذكير ابن عباس ، وفى تهافـــت الناس عليه ، بعدما طال به الزمن بالنسبة لغيره من الصحابة — رضى الله عنهم — .

٤٣ — فاذا نظرنا إلى الحياة المعنوية :

فهناك الحياة السياسية ، اضطرابها واستقرارها ، ومدى الحريـــة فيها ، ومستوى الحقوق المقررة للمحكومين والحكام ...

وهناك الحياة الدينية ، ونظرتها إلى الدنيا ، وتدخلها فـــى تنظيمها ، والأجواء الاعتقادية والمذاهب فى ذلك كله .

وهناك الحياة العقلية ، وما تعنى به من المعارف الدنيويـــة والدينية ، وما تمكن به الانسان من الانتفاع بما حوله من الكون وقـــواه

ومدى انطلاق العقل فى هذه الأجواء ، وقدرته على اقتحامها ...

وهناك أيضا الحياة الاجتماعية ، بخاص معناها ، من ظروف وأوضاع اقتصادية ، وعلاقات بشرية ، ومشاعر نفسية ، وما لكل ذلك من أثر على النظر إلى الحياة ، واختيار أسلوب ممارستها .

٤٤ — وإذا كان لهذه المعنويات من شئون الحياة أثرها فى الذين يعيشون تحت تأثيرها ، فهذا الصحابي الجليل يعتبر من المارسين للشئون التنظيمية فى قومه ، فى صورة قانون يشرع ، وخلق يهذب ، وهو — لاشك — من أشد الناس تأثرا بهذه الجوانب المعنوية فى الحياة حوله ، لأنه لايخضع لها خضوع الفرد العادى ، بل يتمعن فيها تمعن المسئول عن دقائقها ، المكلف بتحديد الموقف فيها ومنها ، والعلماء الأعلام من الصحابة إذ ذاك كانوا هم وحدهم الذين يضطلعون بهذه المسئولية ، ويكلفون — دون سواهم ، وقبل غيرهم — بتحديد الموقف فى هذه الشئون ، ومنها . وهذا هو الذى واجه ابن عباس ، ومن على شاكلته من الصحابة فى ذلك الوقت إذ الأمر كله منهم وإليهم ... وهو ما يكشف عن وجه الأهمية لتأثير هذه الحياة فى تفكيرهم ، وتكوين شخصياتهم ، وهو بالتالى يلزمنا أن نعتنى بذلك كله ، ونوليه أهمية بالغة .

فاذا عاش ابن عباس هذه الحقبة من الزمن التى تمتد من هجرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — إلى المدينة تقريبا ، حتى سنة ثمان وستين من الهجرة . فما هى الأحداث المهمة فى هذه الفترة ؟

٤٥ — لنبدأ بالحالة السياسية : مستهلين بنصيب المدينة من كبريات الأحداث إبان وجوده فيها ، لنرى حادثين هامين :

٤٦ـ أولهما : اغتيال الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى أواخر السنة الثالثة والعشرين للهجرة ، وهو الذى طالما ربطت بينه وبين ابن عباس أواصر الحب والإعجاب ، حتى انه كثيرا ماكان يقدم رأى ابن عباس على كثير من شيوخ الصحابة البدريين كما رأينا آنفا . فإذا كان لهذه الحادثة المشئومة أثرها البين على الدولة الاسلامية بشكل عام ، وعلى أهل المدينة بشكل خاص . فإن وقعها لكبير الأثر فى نفس ابن عباس .

٤٧ـ وثانيهما قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ بالمدينة ، فى ذى الحجة من السنة الخامسة والثلاثين للهجرة (١) . وكان لهذا الحادث أثر كبير فى نفوس الصحابة جميعا ، لأنهم خذلوه تجنبا لإيقاد نار الفتنة المدلهمة ، وظنا منهم أن الأمر لايبلغ قتله . فلما قتل ، ندموا على ما صنعوا فى أمره ـ ولات ساعة مندم ـ (٢) .

وقد كان لهذا الحادث على نفس ابن عباس وقع أكبر من الذى سبقه . وعندما بلغه النبأ ، وهو راجع من مكة التى كان أميرا على الحج فيها من قبل عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال : " يا ليتنى لا أصل حتى يأتينى قاتله فيقتلنى " . (٣)

٤٨ـ ولو قلنا إن ابن عباس كان حتى الشطر الأول من حياة عثمان يمر بدور من التأثر ، يأخذ فيه من الحياة ، ولا يكاد يعطيها إلا اليسير بالنسبة لما يأخذ ـ فإنا نقول الآن : إن ابن عباس يتفاعل

---

(١) انظر تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبى : جـ ٢ ص ١٤٧ .

(٢) انظر المرجع السابق جـ ٢ ص ١٣٢ .

(٣) انظر المرجع السابق جـ ٣ ص ٣٦ .

مع الحياة ، ويحدد موقفه كشخصية متكاملة ، بالنسبة لما يقع فيها من أحداث ، وإن كنا لاننكر أنه فى هذا التفاعل مع الحياة لم يخلص تماما من التأثر ، بل ظل يتفعل بالحياة — كما قلنا — وظل بهذا يجد ما يتعلمه ، وما يضيفه من جديد الى شخصيته ، كما انه يؤثر فى الحياة ، وعلى من فيها ، بما هو إنسان معاشر ، وبما هو معلم مثقف ، وبما هو موجه ، له بالسياسة والحكام صله أي صلة ، وله بالناس والجماهير مثل تلك الصلة ، أو أقوى .

٤٩ — فاذا ما امتد النظر الى الحالة العامة بعد مقتل عثمان — رضى الله عنه — رأينا البلاد الإسلامية لاتعرف طعم الاستقرار والهدوء . ونستطيع أن نحدد الحوادث الهامة فى هذا العهد فنقول :

٥٠ — بعد أن انتقل عثمان — رضى الله عنه — إلى جوار ربه ، اتفق الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وأرادوا عليا — رضى الله عنه — للخلافة ، وكان ذلك . لكنه لم يكد يتسلم مقاليد الأمور ، حتى تدفقت عليه المشاكل ، واندلعت نيران الفتن ، وكان عليه أن يوجد الحلول للمشاكل ، وأن يطفئ نار الفتن المتأججة . فأجمع رأيه على أن ينزع بعض عمال عثمان لأنهم لايصلحون للولاية فى نظره . فمن أطاع منهم نفسها ونعمت ، وإلا ، بذل لهم السيف ، حتى يقيم هذا الأمر ويعدله — وإن كان قد نصح من قبل المغيرة بن شعبة ، وابنه الحسن ، وحبر الأمة عبدالله بن عباس بغير هذه الخطة السياسية على ما سنرى ... وكان على هؤلاء الثلاثة أن يطيعوا أوامره ، وينفذوا اجتهاده بحكم إمارته عليهم ، وبيعتهم له على السمع والطاعة .

٥١ — وأول من امتنع عليه ، وأعنتهم معاوية فى الشام فقد علق قميص عثمان الملطخ بالدماء ، وأطراف الأصابع المبتورة من يد

زوجته نائلة على منبر دمشق ، يحرض الناس على قتلة عثمان ، والأخذ بثأره . وبايعه أهل الشام على ذلك — بحكم أن لمعاوية رابطة قرابة بالقتيل ، وله الحق قبل غيره ، أن يطالب بدم قريبه ، وإنزال العقاب والقصاص من قتلته .

٥٢ — وعلى الخليفة علي — رضى الله عنه — أن يُخمد هذه الفتنة حتى يستتب الأمن ، ويخلد الناس إلى الهدوء ، ليتمكن من معاقبة من يستحق العقاب . فجهز جيشا كثيفا ، وكتب إلى قيس بن سعد أن يندب الناس إلى الشام لقتال معاوية ، ووقفه عند حده . وكتب إلى عثمان بن حنيف ، وإلى أبي موسى الأشعري مثل ذلك ، وتهيأ للأمر ، وكان له على أتم استعداد ، حين دفع اللواء إلى محمد بن الحنفية ، وجعل عبدالله بن عباس على ميمنة الجيش ، وعمرو بن سلمة على ميسرته (١) . ودعا أبا ليلى ابن أخي عبيدة بن الجراح ، فجعله على مقدمته . واستخلف على المدينة قثم بن العباس .

٥٣ — ولكن لم يلبث على أن فوجئ بخبر طلحة والزبير وعائشة ، أنهم على الخلاف ، قد سخطوا خلافته ، ويريدون الخروج إلى البصرة . وذلك لاعتقادهم ومن تبعهم ، أنه لا يخلصهم مما وقعوا فيه من تواني في نصرة عثمان ، إلا أن يقدموا على الطلب بدمه والأخذ بثأره . وكان انطلاقهم هذا دون مشورة من أمير المؤمنين علي — رضى الله عنه — ولا أخذ إذن منه ، وفي ذلك ما فيه من الفوضى وإشعال نار الفتنة .

٥٤ — وهنا يتحتم على علي — رضى الله عنه — أن ينطلق إليهم قبل التوجه إلى معاوية — رضى الله عنه — والتقى بهم خارج البصرة

---

(١) انظر نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ص ٨٩ . وهناك اختلاف في روايات الطبري ، ارجع إلى جـ ٥ ص ١٦٣ .

عند قصر عبيد الله بن زياد . ولم يكن قصد أحد الطرفين قتال الآخر قطعا ، إنما القصد جمع الكلمة وتوحيد السف . وأرسل على عبد الله ابن عباس إلى طلحة والزبير ، وهما بمثا محمد بن طلحة إلى علي ليكلم كل من المبعوثين صاحبه . والتقى أخيرا على بطلحة والزبير ، وجرى بينهم كلام ، ذكرهما فيه على ـ رضى الله عنه ـ بالله ، وضرورة جمع كلمة المسلمين مستشهدا بكلام لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخصوص هذا الأمر بالذات ، مما جعل طلحة والزبير يرتدان عما عزما عليه .

٥٥ ـ أما مثيرو الفتنة ، ومؤججو نارها ، فقد غاظهم هذا التفاهم ، وأقض مضجعهم اجتماع كلمة المسلمين ، فباتوا على أسوأ ليلة .

وما لبث أن ترامى أوباش الطائفتين بالنبل ، وشبت نار الحرب ، وثارت النفوس ، وكانت وقعة الجمل .(١)

٥٦ ـ وعلى عليّ الآن أن ينتهى من أمر معاوية ، لتجتمع كلمة المسلمين ، فأرسل إليه جرير بن عبدالله البجلي يكلمه . وعظم على معاوية أمر على وبايعته واجتماع الناس عليه ، فأبى أن يبايعه . وجرى بينه وبين جرير هذا كلام كثير ، أخبر به جرير عليا عند عودته إليه ، فأجمع عليّ على المسير إلى الشام . وبعث معاوية أبا مسلم الخولاني إلى على بأشياء يطلبها منه ، وجرت بينهما رسائل ... ثم سار كل منهما يريد الآخر . والتقوا بصفين لسبع بقين من المحرم ، من السنة السابعة والثلاثين للهجرة ، واستمرت نار الحرب فاقتتلوا أياما (٢) ، حتى قتل خلق كثير .

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى تاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ١٥٤ ـ ١٦٥
وانظر نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار ص ٩٠ .

(٢) انظر تاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ١٦٧ .

وكانت الغلبة لعلى ، لولا تلك المكيدة التى ابتدعها عمرو بن العاص رضى الله عنه — حين أمر أهل الشام أن يرفعوا المصاحف ويدعو إلى كتاب الله ، وتحكيمه فى الأمر . وكان صاحبنا ابن عباس آنذاك على ميسرة جيش على .(١)

٥٧ — واستجاب على — رضى الله عنه — إلى التحكيم . وأراد أن يعهد فيه إلى عبدالله بن عباس ، لولا أن الأشعث ومن معه من الذين خرجوا على على فيما بعد ، أصروا على تحكيم أبى موسى الأشعرى الذى كان قد اعتزل القتال .

٥٨ — وأرسل على أبا موسى الأشعرى للتحكيم ، ومعه أربعمائة رجل على رأسهم حبر الأمة عبدالله بن عباس ، يلى أمورهم ، ويصلى بهم .

وأرسل معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائة رجل من أهل الشام .(٢)

٥٩ — وجرى التحكيم ، وكانت مكيدة عمرو بن العاص المشهورة ، وبدا الانقسام فى جيش على — رضى الله عنه — ، حيث قالت طائفة لا حكم إلا لله . وخرجوا عليه ، فهم الخوارج .(٣) الذين خلقوا

(١) انظر تاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ١٦٩

(٢) انظر تاريخ الطبرى جـ ٦ ص ٣٧ — ٣٨ ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى جـ ٣ ص ١٦٧ . وانظر تاريخ الدولة العربية للمستشرق يوليوس فلهاوزن ص ٨٥ حيث يذكر أن عبدالله بن عباس أراد أن يمنع أبا موسى من الكلام قبل عمر وخشية الخديعة ، ثم يخرج المؤلف عن دائرة اللباقة فيتهم أبا موسى بأنه كان مغفلا وكان الأجدر به أن يقول عنه : كان صافى السريرة أو سليم القلب .

(٣) انظر تاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ١٧٠

جواً من البلبلة والفوضى فى الدولة الإسلامية ، لفترة طويلة من الزمن .

وعسكر الخوارج بقرية يقال لها حروراء ، وسموا لذلك بالحرورية . فجاءهم ابن عباس من قبل علي ، فناظرهم وقارعهم الحجة ، فرجع منهم عدد كبير إلى صوابه ، ولزم الجماعة .(١)

٦٠ - ثم سار من بقى من الخوارج فى شعبان من السنة الثامنة والثلاثين هـ وقيل فى صفر - لحرب علي ، وعلى رأسهم عبدالله بن وهب السبائى ، وكانت وقعة النهروان ، التى شتت فيها علي جمعهم وقتل أكثرهم مع رئيسهم ابن السبائى .(٢)

٦١ - وكانت نهاية أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - فى مؤامرة حدثت سنة أربعين هجرية . نسج خيوطها ثلاثة من الخوارج هم : عبدالرحمن بن ملجم المرادى ، والبرك بن عبد الله التميمى ، وعمرو بن بكر التميمي ، الذين اجتمعوا فى مكة ، وانتدبوا أنفسهم لقتل على ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، وتعاهدوا على ذلك ، فنجا عمرو بن العاص ومعاوية ،(٣) وكانت طعنة ابن ملجم قاتلة على ،(٤) إذ توفى على إثرها متخنا بجراحه فى رمضان سنة أربعين للهجرة .

---

(١) انظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٣١٨ - ٣٢٠ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٢ ص ٣٨٨ - ٣٨٩ ، وتاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) انظر تاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ١٨٣

(٣) انظر تفصيل ذلك فى تاريخ الاسلام : للذهبى: جـ ٢ ص: ١٨٨ .

(٤) انظر أسد الغابة جـ ٤ ص ٣٦ .

وصلى عليه الحسن ، ودفن بالكوفة عند قصر الامارة ، وعمى قبره لئلا تنبشه الخوارج . ويقال إن ابنه الحسن نقل جثته إلى المدينة .(١)

٦٢ـ ثم بايع أهل الكوفة الحسن بن على ، وكان جيشهم لـه أكثر من جيش لأبيه . فسار حتى نزل المدائن ، وبعث اثنى عشر ألفا على رأسهم قيس بن سعد بن عباده . فبينما الحسن فى المدائن ، إذ نادى مناد : ألا إن قيسا قد قتل . فاختلط الناس ، وانتهب الغوغاء سرادق الحسن ـ رضى الله عنه ـ حتى نازعوه بساطا تحتـه ، وطعنه رجل من الخوارج من بنى أسد بخنجر ، فوثب الناس على الرجل فقتلوه ، ونزل الحسن القصر الأبيض بالمدائن ، وكاتب معاويـة فى الصلح . ويروى انه إنما خلع نفسه لذلك .(٢)

ولكن مما ينبغى ألا يغيب عن الذهن أن الحسن ـ رضى الله عنه ـ كان سيدا رزينا ، لايرى القتال ، وجل همه أن يجمع اللـه كلمة المسلمين ، وقد صدقت فيه كلمات جده الرسول بأن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .(٣)

وعرف الحسن ـ رضى الله عنه ـ أن قيس بن سعد لايوافقـه على رأيه من خلع نفسه ، ومبايعة معاوية . فنزعه عن امارة الجيش ، وأمّر بدلا عنه عبدالله بن عباس .

٦٤ ـ ولما علم حبر الأمة بالذى يريده الحسن أن يأخذه لنفسه ، كتب هو أيضا لمعاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه . فبعث

---

(١) انظر تاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧

(٢) انظر المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٠٨

(٣) انظر نفس المرجع جـ ٢ ص ٢٠٩ .

معاوية إليه ابن عامر فى خيل عظيمة ، خرج إليهم ترجمان القرآن ليلا حتى لحق بهم ، تاركا جنده الذى هو عليهم لا أمير لهم ، وفيهم قيس بن سعد ، فأمرته شرطة الخميس على أنفسهم ، وتعاهدوا معه على قتال معاوية ، حتى يشترط لشيعة على ، ولمن كان اتبعه على دمائهم ، وأموالهم ، وما أصابوا فى الفتنة . فكايد معاوية قيس بن سعد فى بادىء الأمر ، ثم اشترط له أخيرا ما أراد ، وأعطاه ما سأل . مع أنه لم يسأل فى سجله ذلك مالا .

٦٥ - وانتهت المشكلة وحلّت الأزمة . وكان ذلك فى السنة الحادية والأربعين للهجرة (١) . واجتمع شمل الأمة وتوحد صفهم ، وبدأ الاستقرار فى الدولة من الناحية الداخلية ، وتفرغ المسلمون فى الفتوحات المتعاقبة للغزو والفتح ، وكان الدور دور توسع شهد فيه صاحبنا ابن عباس فى جملة من شهد من الصحابة غزو الروم ، وحصار القسطنطينية فى جيش كثيف على رأسه سفيان بن عوف الأزدى . (٢)

٦٦ - وفى ربيع الأول سنة خمسين انتقل الحسن بن على (٣) - رضى الله عنه - إلى جوار ربه ، ودفن فى البقيع إلى جنب أمه .

٦٧ - وفى السنة الحادية والخمسين حج بالناس معاوية بنفسه ، واستطاع بالمكر والدهاء والتهديد أن يأخذ البيعة لابنه يزيد (٤) . ولعل اجتهاده فى ذلك أن يتتابع الاستقرار وجمع الكلمة فى الأمة ، والله أعلم بالسرائر .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ٦ ص ٩١ - ٩٤

(٢) انظر الفتوحات الاسلامية لأحمد بن زينى دحلان جـ ١ ص ١٨٦

(٣) انظر تاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ٢٢٠

(٤) انظر المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٥٨ - ٢٦٢ .

٦٨ — وتتابعت الأعوام ، والحالة على مايرام ، إلى أن توفي معاوية — رضى الله عنه — سنة ستين هجرية ، وجاء بعده ابنه يزيد ، الذى ذكرنا أن البيعة قد أخذت له فى حياة أبيه ، فامتنع الحسين ابن على ، وعبدالله بن الزبير ، ومن شايعهما عن الدخول فى طاعته ، وبدأ الخلاف ، وتصدعت الأمة من جديد .(١)

٦٩ — والتقى الحسين وابن الزبير بمكة . وحاول ابن الزبير بكل ما أوتي من حنكة ودهاء ، أن يقنع الحسين بالخروج الى الكوفة ، حيث كان وجهاء شيعته فيها يكتبون إليه ليأتيهم فيبايعوه ، وقصد ابن الزبير من هذا أن يخلو له الجو بمكة . واستقر رأى الحسين أخيرا على الالتحاق بشيعته فى الكوفة ، بعد أن نصحه عدد من الصحابة بعدم الخروج منهم صاحبنا ابن عباس ، الذى ابتغى كل وسيلة ليرده عما أراد ، ولكنه عبثا كان يحاول . ووصل به الأمر أن قال له : " والله الذى لا اله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك ، حتى يجتمع علىّ وعليك الناس ، أطمتنى لفعلت ذلك " .(٢)

وتوجه الحسين إلى الكوفة . وقتل على مقربة منها سنة إحدى وستين من قبل عبيد الله بن زياد عامل يزيد على العراق ، وأرسل رأسه إلى يزيد بن معاوية فى الشام ، واستشهد معه ستة عشر رجلا من أهل بيته . وكان أمر الله قدرا مقدورا .(٣)

---

(١) انظر تاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ٢٢٦

(٢) انظر تاريخ الطبرى جـ ٦ ص ٢١٧ ، وتاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ٣٤٢ — ٣٤٣ .

(٣) انظر تاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ٣٤٠ — ٣٤٤ .

٧٠ ـ ثم كانت وقعة الحرة فى السنة الثانية والستين من الهجرة تجاه المدينة . وذلك لثورة أهل المدينة بزعامة عبدالله ابن حنظلة بن الغسيل الأوسى المدنى ـ وله صحبة ـ على يزيد . فأرسل يزيد إليهم جيشا عرمرما على رأسه مسلم بن عقبة . واستشهد فى هذه الوقعة خلق كثير ، وجماعة من الصحابة .

٧١ ـ وسار جيش مسلم بعد ذلك إلى مكة لينهى مشكلة ابن الزبير ، التى تعتبر من أعقد المشاكل بالنسبة ليزيد وأهمها .

ومات مسلم بن عقبة قائد الجيش مقتولا ، بعد أن عهد إلى حصين بن نمير فى أول سنة أربع وستين من الهجرة(١) . وجرت مناوشات بين حصين بن نمير هذا وابن الزبير ، ثم حاصر حصين ابن الزبير ، ورماها بالمنجنيق . واحترقت أستار الكعبة مع سقفها من شرارة هبت بها الريح من النار التى كانت توقد حولها .

٧٢ ـ وبلغ ابن الزبير نبأ موت يزيد بن معاوية ، فنادى بأهل الشام : " إن طاغيتكم قد هلك " . فلم ينفكوا عن قتاله . ثم جرت مفاوضات بين ابن الزبير وحصين بن نمير قائد جيش يزيد المستخلف ، طلب فيها الحصين من ابن الزبير أن يذهب معه إلى الشام فيبايعه هناك ، ويأخذ له البيعة من أهلها . فلم يطمئن ابن الزبير له ، ولم يوافق رأيه . واستأذن الحصين أخيرا أن يطوف الجيش بالبيت أشواطا ثم ينصرف ، فكان لهم ذلك .

وندم ابن الزبير على عدم اتفاقه مع الحصين على الأمر ، وأرسل وراءه يعلمه بكراهيته الخروج من مكة ، ويطلب منه أن يأخذ له البيعة

---

(١) انظر تاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ٣٥٥ .

من أهل الشام فهو عليهم عادل . وانطلق الجيش إلى الشام ، وقتل عليهم الصلف فى الطريق ، فاجتراً عليهم أهل المدينة وأهل الحجاز . وسار معهم بنو أمية من المدينة إلى الشام .(١)

٧٣ — واستتب الأمر أخيرا لابن الزبير أوكاد ، إذ بايعه أهل الشام ماخلا أهل الجابية .(٢) وجدد ابن الزبير فى هذا العام — أى سنة أربع وستين — بناء الكعبة على قواعد إبراهيم — عليه السلام — استنادا إلى قول الرسول — عليه الصلاة والسلام — فى الحديث المشهور عنه ، والذى أخرجه البخارى . ثم أعادها الحجاج الى ماكانت عليه أثناء ولايته على مكة ، بعد مقتل ابن الزبير .(٣)

٧٤ — وينبغى ألا يغيب عن الذهن أن معاوية بن يزيد كان قد بويع أيضا بالخلافة بعد وفاة أبيه ، وبقى فى الخلافة أربعين يوما متمرضا ثم مات .(٤)

٧٥ — وفى سنة خمس وستين بايع أكثر أهل الشام مروان بن الحكم . ودامت خلافته تسعة أشهر ثم مات بعد أن عهد إلى ابنه عبدالملك .

وفى أثناء خلافة مروان ، سارت جيوشه إلى مصر ، وحاصرت والى ابن الزبير فيها وأضحت مصر تحت سيطرته ، واستعمل عليها ابنه عبدالعزيز بن مروان .

---

(١) انظر تاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ٣٦١

(٢) انظر المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٦٤

(٣) انظر المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٦٥

(٤) انظر المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٦٢

وأعقب التحكيم ظهور حزب آخر يقضي تحت لوائه المُبَـــاد والقراء من أصحاب علي • الذين مرقوا من الإسلام ، وأوقعهم الغلو في الدين إلى تكفير العصاة بالذنوب ، وإلى قتل النساء والرجـــال ، إلا من اعترف لهم بالكفر وجدد إسلامه • وهذا الحزب هو :

ـ حزب الخوارج (١) • الذى أخمد صوته لفترة من الزمن في عهـــد معاوية ، وإن كنا لانعني بذلك انقراضه وفناءه •

وبعد مقتل علي ـ رضى الله عنه ـ خلفه في حزبه ابنه الحسن ، الذى رأيناه يسلم الأمر لمعاوية ويبايعه • وهذا يعني أن حزب الشيعة قد انحل من الناحية العملية ، وإن كان في حيز الوجود فكريا •

وفي عهد يزيد بن معاوية عادت الحيوية لحزب الشيعة ، وبدأت الاتصالات بالحسين بن علي • وكان ماعلمنا من مقتل الحسين • كمـــا أنه ظهر للوجود حزب جديد قوى • استتب له الأمر بشكل تـــام تقريبا فترة من الزمن هو : ـ حزب ابن الزبير •

٧٨ ـ بعد هذا ننتقل إلى الحياة العقلية والفكرية : فنلاحظ أنه لايوجد شئ من التأثر بالفلسفات والثقافات المختلفة للشعوب المنضوية تحت ظل الاسلام حديثا ، إذ كانت هذه الشعوب حينذاك تتأثـــر بالفكرة والعقلية الإسلامية ، ولا تؤثر فيها ، فإن ذلك التأثير لـــم يوجد إلا في مستهل القرن الثاني •

٧٩ ـ وإنا لنرى أن هذه الحياة الدينية القوية التي كانت تحياها الجماعات الاسلامية ، تطبع العقل والفكر بطابعها الخـــاص ،

---

(١) انظر تاريخ الذهبي جـ ٢ ص ١٧٨

إذ تنضوى الفطرة العربية السليمة تحت لواء كتاب الله - سبحانه - وتير لها السبيل هدى الرسول الأعظم - صلى الله عليه وسلم - وإرشاد الفحول المبرزين من صحابته . ذلك بأن هذه الحياة الإسلامية قد احتاجت إلى علوم لخدمتها ، فكانت لها تلك الدراسات النقلية حول القرآن ، وحول ما خلف الرسول - عليه السلام - من آثار في بيانه وتطبيقه . وكانت تلك العلوم وما يتبعها من الدراسات اللسانية اللازمة في دور التكوين والنماء .

٨٠ - أما الحياة الاعتقادية : فلم يكن آنذاك شئ من الذى كان فيما بعد من القدرية ، والإرجاء وغير ذلك ، نتيجة لما ذكرنا من عدم التأثر بالفلسفات الغريبة عن الإسلام . وإن كنا نستطيع أن نقول بوجود بوادر لما يمكن أن نطلق عليها أنها شذوذ في الاعتقاد من خوض البعض في القدر . كما حدث أن أخبر البحر ابن عباس عن قوم يختصمون في القدر ، فنهض إليهم ، حتى إذا بلغهم ، أوسعوا له ، ورحبوا به ، فلم يجلس ، وطلب منهم أن ينتسبوا إليه ليتعرفهم . ثم وعظهم فقال : " أوما علمتم أن لله عبادا أصمتهم خشية الله من غير بكم ولاعيّ ، وانهم لهم العلماء وانصحاء والطلقاء والنهلاء . العلماء بأيام الله - عز وجل - غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله - عز وجل - طاشت لذلك عقولهم ، وانكسرت قلوبهم ، وانقطعت ألسنتهم ، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله - عز وجل - بالأعمال الزاكية ، يعدون أنفسهم من المفرطين ، وانهم لأكياس أتقياء ، مع الظالمين الخطائين ، وانهم لأبرار بزاء ، إلا أنهم لايستكثرون له الكثير ، ولا يرضون له القليل ، ولا يدلون عليه بالأعمال

هم حيثما لقيتهم مهتمون مشفقون ، وجلون خائفون " . ثم انصرف عنهم ليرجع إلى مجلسه .(١)

ويدل أيضا على وجود بوادر لأهل القدر فى ذلك العهد قول حبر الأمة : " لوددت أن عندى رجلا من أهل القدر ، فوجأت رأسه " . وعندما سئل عن سبب ذلك قال : " لأن الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء ، دفتاه ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، وعرضه مابين السماء والأرض . ينظر فيه كل يوم ستين وثلثمائة نظرة ، يخلق بكل نظرة ، ويحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويفعل مايشاء " .(٢)

٨١ - ونكتفى من الجانب الاعتقادى بهذا القدر لنلقى نظرة على الحياة الاجتماعية :

لنجد أن الدولة رغم تفككها داخليا ، ونشوب المعارك الدموية فيها ، قد كان لها مركز دولي لا بأس به . غير أن هذا التفكك كان مدعاة لتوقف الفتوح فترة من الزمن ، لم تسمح للكافر الأجنبي أن يستجمع قواه ليطمع فى الدولة الإسلامية . وما إن استتب الأمر لمعاوية حتى كانت الجيوش الإسلامية تغزو فى البر والبحر ، شرقا وغربا . وصاورت كتائب المسلمين القسطنطينية ، هامة الشرق . وهذا ما نستطيع معه القول بأن الأمة الإسلامية كانت تتمتع بمركز عالمي ممتاز .

---

(١) انظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٣٢٥

(٢) انظر المرجع السابق جـ ١ ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

٨٢ ـ فإذا ما لفتنا إلى كيان المجتمع الإسلامي آنذاك ، وجدناه مجتمعاً تسوده المحبة ، والاخاء ، دستوره في ذلك : " لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ، حتى إن كثيرا من الموالي أضحوا في عهد التابعين من العلماء الفطاحل الذين يشار إليهم بالبنان .

وهذا الانقسام في صفوف الأمة من أجل الخلافة ، كان مجرد اختلاف في الإجتهاد في بادىء الأمر ، متعلق بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم ، فاقتلوه "(١) . ودائر في مجال ما رواه ربانى الأمة ابن عباس ، من نهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن مفارقة الجماعة(٢) .

ولم يأخذ الانقسام والتفكك طريقه إلى النفوس ، ولم تتوار ، العصبية إلا في الشطر الأخير من هذا العهد ، حيث نجد العصبية عند الأمويين ، والغلو عند الشيعة والخوارج .

ويكمل الصورة عن هذا المجتمع ماكان يخضع له من :

٨٣ ـ <u>نظام الحكم</u> : الذي كان الحاكم فيه ، خليفة أو أميراً للمؤمنين ، يحكم بما أنزل الله ، ويقيم حدوده ، يعاونه في حكم الأقاليم المختلفة ولاة يعينون من قبله ، لايفوض لسلطتهم أن تتعدى حدود الله . والمفروض في الشعب أن يستجيب للحكم ، باعتباره مؤمنا بالله الذي فرض عليه طاعة الحاكم بالمعروف ، وصلة الوصل

---

(١) أخرجه الامام مسلم في صحيحه عن عرفجة بن شريح ـ رضي الله عنه ـ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥١٧ .

غيره ، وقد بايعه المهاجرون والأنصار في المدينة ، وغيرها . وقد لازمه ابن عباس مدة خلافته ، فكان له وزيرا مساعدا ، ورداً مساندا .

وعندما أشار المغيرة بن شعبة على علي ـ رضي الله عنه ـ عند توليه شئون الخلافة بأن يُبقي عمال عثمان ، وقرهم على أعمالهم ، ريثما يبايعه الناس جميعا في سائر أنحاء البلاد الإسلامية ، وتهدأ الأحوال ، ثم ينزع منهم من شاء ـ رفض علي هذا الرأى ، لأنه لاينبغي ـ في اعتقاده ـ لمثلهم أن يولّى . وأتيه المغيرة للمرة الثانية فيشير عليه بأن ينزعهم . وعلم ابن عباس بالأمر فيقول لعلي عن المغيرة : " أما المرة الأولى فقد نصحك ، وأما المرة الآخرة فقد غشك "(١) . وعندما يستوضح علي عن هذا النصح يجيبه حبر الأمة إجابة الحكيم الواعي ، المحلل للأمور ، المقدر لنتائجها ، فيقول : " لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا ، فمتى تثبتهم ، لايبالوا بمن ولي هذا الأمر ، ومتى تعزلهم يقولوا : أخذ هذا الأمر بغير شورى ، وهو قتل صاحبنا ، ويؤلبون عليك ، فينتقض عليك أهل الشام ، وأهل العراق . مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكرا عليك "(٢) . ورفض علي ـ رضي الله عنه ـ الإبقاء على واحد منهم أبدا ، لأن هذا هو الحق . والحق أحق أن يُتبع ، ولو احتاج الأمر إلى بذل السيف . وانه ليعترف أن رأي ابن عباس هذا فيه من الحكمة مافيه ، وهو ـ لاشك ـ خير في عاجل الدنيا لإصلاحها .

---

(١) انظر تاريخ الطبري جـ ٥ ص ١٥٩ ـ ١٦١ ، ونور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ص ٨٩ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير جـ ٣ ص ٧٧ .

(٢) انظر المراجع السابقة .

وندرك من اعتراف علي هذا ناحية هامة قد تصوب وجهة نظر ابن عباس — والله أعلم بالصواب — لأن الأمر لايتطلب غير الحنكة السياسية ، ووضع الأمور مواضعها فى عاجل الدنيا لإصلاحها من أجل الآخرة .

٨٦ — ويصرف البحر شجاعة علي ، واقدامه ، وحرصه على الثواب فى سبيل الله ، وإحقاق الحق ، ولكنه عندما يسمع عليا يتمثل بهذا البيت :

وما ميتة إن متها غير عاجز بمار إذا ماغالت النفس غولها

يخشى عليه أن يذهب رأيه إلى أن حرب العدو ، وجهاده ، إنما هو بالسيف فقط . فيذكره بما هو معلوم عنده فيقول : " يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع ، لست بأرب للحرب . أما سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : (الحرب خدعة) " . وجيبه علي : " بلى " . فيقول ابن عباس : " لئن أطعتنى لأصدرن بهم بعد ورد ، ولأتركنهم ينظرون فى دبر الأمور لايعرفون ماكان وجهتها ، فى غير نقصان عليك ولا إثم لك "(١) . ولكن لافائدة من كل هذا ، ولا أي لمن لايطاع .

٨٧ — ويقدر ربانى الأمة ظروف علي . وينظر إلى المستقبل البعيد ، فيدرك أن العرب تريد للخلافة خير خلف لخير سلف . ولن يتحقق ذلك إلا في علي ، فيريد منه أن يتحرز على الأمر ، وليه ظهره فى العاجل حتى يتبعه فى الآجل ، فيقول له : " فأطعني ، وادخل دارك ، والحق بمالك بينبع ، وأغلق بابك عليك ، فإن العرب تجول

---

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ١٥٩ — ١٦١ والمراجع السابقة .

جولة وتضطرب فولا تجد غيرك ، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غداً "(١) . وأبى علي ذلك أيضا ، لأن الأمر الذى يحتاج إلى تقويم فى هذا اليوم ، قد لاينفع معه الانتظار ، والتأجيل إلى الغد .

٨٨ ـ وإنا لندرك من هذا أن ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، فيفكر تفكير رجل متفهم لهيئته ، مدرك لما يجري فيها من أمور ، يتحسس الداء قبل أن يستفحل ، ليضع عليه الدواء . وليس غريبا بعد الذي عرفناه أن نرى عليا يعتمد على ابن عباس اعتمادا كليا ، إذ يجعله منوبه الخاص إلى طلحة والزبير(٢) . وواليه ميمنة جيشه عندما ينتقض معاوية ، ويصمم علي على قتاله(٣) . وجعله على المقدمة يوم الجمل ، وعلى الميسرة يوم صفين(٤) . ويريده أيضا للتحكيم ، لولا رفض الأشعث ومن معه ـ من الذين صاروا خوارج فيما بعد ـ لذلك ، وترشيحهم أبا موسى الأشعرى(٥) . فيرسله آنذاك بصحبة أبي موسى ليصلي بالناس ويلي أمورهم(٦) .

---

(١) انظر المراجع السابقة .

(٢) انظر تاريخ الطبري جـ ٥ ص ٢٠٢

(٣) انظر تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ١٦٣ ، ونور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار ص ٨٩ .

(٤) انظر تاريخ الاسلام للذهبى جـ ٢ ص ١٤٩ ـ ١٦٩

(٥) انظر نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار لمؤمن الشبلنجى ص ٩٧

(٦) انظر الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ١٦٧ ، وتاريخ الطبرى جـ ٦ ص ٣٧ ـ ٣٨ ، ومناقب آل البيت ص ٩٩ .

٨٩ ـ بل إنا لنرى عليا يولي ابن عباس على البصرة ، بعد أن لفت نظره لذلك زياد بن أبي سفيان ، ووعده أن يشير عليه (١) . مما يدل دلالة واضحة على وثوق علي بحنكة ابن عباس السياسية وحكمته في تصريف الأمور .

وأثناء ولايته على البصرة انتقض أهل الجبال ، وطمع أهل الخراج في كسره ، فأخرجوا سهل بن حنيف عامل علي على فارس منها . وبرزت حكمة ابن عباس في هذه المشكلة عندما وجه إليهم زيادا في جمع كثير ، وطئ به أهل فارس ، فعاد بهم إلى الحظيرة ، وألزمهم الانضواء تحت ظل الإسلام ، وأدوا الخراج . (٢)

٩٠ ـ ونجد عليا أيضا يترك المجال لترجمان القرآن ليناظر الحرورية ، ويرد منهم قسما كبيرا إلى الجماعة مع علي . ولا بأس أن نذكر طرفا من هذه المناظرة ، لتعطينا فكرة عن موقف صاحبنا من الخوارج ، وكيف جمع لهم النظير إلى نظيره في الحوادث ، لتتجلى لهم الأمور ، وتنكشف لهم الشبه . فما إن أتاهم حتى رحبوا به ، وأكرموه . فرأى منهم جباها قرحة لطول السجود ، وأيديا كثفنات الإبل (٣) . وعليهم قمص مرحضة (٤) ، وذلك لغلوهم ، وتشددهم في العبادة .

---

(١) انظر تاريخ الطبري جـ ٥ ص ٢٢٤ ، وجـ ٦ ص ٩٠ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٥ ص ٤٠٨ . وانظر ولايته على البصرة في أسد الغابة ص ٨٩٤ ، والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٢ ، ٣٢٥ .

(٢) انظر المراجع السابقة .

(٣) الثفنات ج : ثفنه ، وهي من البعير الركبة ، وما مس الأرض من كركرته وسعدا ناته وأصول أفخاذه .

(٤) مرحضة : مغسولة .

٩١ — فقالوا : ماجاء بك يا ابن عباس ؟ قال : جئتكم من عند صهر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وابن عمه ، وأعلمنا بوحيه وسنة نبيه . ومن عند المهاجرين والأنصار إ . ثم استفسر عن سبب نقمتهم على أمير المؤمنين ؟ . فذكروا أن الأسباب ثلاثة :

— أولها : أنه حكّم الرجال فى دين الله ، والله — عز وجل — قال : " إن الحكم الا لله "(١)

— وثانيها : أنه قاتل ولم يَسْبِ ، ولم يغنم . إن كانوا كفارا فقد حلّت أموالهم ، وإن كانوا مؤمنين ، فقد حرمت دماؤهم .

— وثالثها : أنه محا(٢) نفسه عن امارة المؤمنين . فإن لم يكن أمير المؤمنين ، فهو أمير الكافرين .

وانا لنرى ترجمان القرآن قد استوعب شبهتهم فى الحال ، وقال لهم : " أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم ، وحدثتكم من سنة نبيكم — صلى الله عليه وسلم — مالا تنكرون ، أترجعون ؟ " قالوا : " نعم " .

٩٢ — قال : " أما قولكم إنه حكم الرجال فى دين الله . فإن الله يقول : " يأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء ... الى قوله .. يحكم به ذوا عدل منكم " ، وقال فى المرأة وزوجها : " وإن خفتم شقاق بينهما ، فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها " . أنشدكم الله أفحكم الرجال فى حقن دمائهم ،

---

(١) ٥٧ : الأنعام ، ٤٠ ، ٦٧ : يوسف .

(٢) وردت فى الأصل " محا " والأصوب : نحى .

وأنفسهم ، وصلاح ذات بينهم أحق ، أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟! " . فقالوا : " اللهم في حقن دمائهم ، وصلاح ذات بينهم " قال : " أخرجت من هذه ؟ " . قالوا : " اللهم نعم ! " .

٩٣ — قال : " وأما قولكم إنه قاتل ولم يسبِ ، ولم يغنم . أتسبون أمكم ، ثم تستحلون منها ماتستحلون من غيرها ؟! فقد كفرتم . وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم ، وخرجتم من الإسلام ، ان الله عز وجل يقول : " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم " . فأنتم تترددون بين ضلالتين ، فاختاروا أيتهما شئتم . أخرجت من هذه ؟ " قالوا : " اللهم نعم !! "

٩٤ — قال : " وأما قولكم : محا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابا . فقال : (اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله) . فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبدالله . فقال : (والله إني لرسول الله ، وإن كذبتموني . اكتب ياعلي : محمد بن عبدالله) . فرسول الله كان أفضل من علي . أخرجت من هذه ؟ " قالوا : " اللهم نعم !! " .

فرجع منهم على اثر ذلك عشرون ألفا ، وبقي أربعة آلاف ، فقتلوا وشردوا . (١)

---

(١) انظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٣١٨ — ٣٢٠ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٢ ص ٣٨٨ — ٣٨٩ ، وتاريخ الاسلام للذهبي جـ ٢ ص ١٨٣ — ١٨٤ .

وانا لندرك من هذا مدى تفهم ابن عباس لبيئته ، وسعة علمه ، وسرعة بديهته .

٩٥ - وإذا تقدمنا قليلا للفترة التى تلت مقتل علي - رضى الله عنه - نجد ابن عباس يبايع الحسن ، ثم لايلبث - بعد أن يعلم عزمه - رضى الله عنه - على خلع نفسه ومبايعة معاوية - أن يرسل إلى معاوية يطلب منه الأمان ، ويشترط لنفسه ، ويبايعه (١) .

وهنا يتضح معنا موقف حبر الأمة الجديد من معاوية . ما السر فى هذا ، وما السبب ؟

إنه ليتصرف هذا التصرف ، ويقف هذا الموقف إرضاء لله - عز وجل - ، وحرصا منه على جمع كلمة المسلمين ، على الأصلح فالأصلح ، قدر المستطاع ، اجتهادا منه حكيما لحقن دمائهم ، وانقاذهم من هذه الفتن ، والمحن التى كادت تأتي عليهم . وليس الأمر إرضاء لفلان ، وفلان . كما يفعل الكثير - فى العصر الحاضر - من عباد الأشخاص ، نتيجة لضعف فى عقولهم ، ومرض فى نفوسهم .

٩٦ - وانا لنجد نفس هذه الخطة عند ابن عباس من خلال محاولته ، إقناع الحسين بن علي بالعدول عن الخروج إلى الكوفة . مع أنه ، من المسلّم أن يزيد بن معاوية لايعدل شيئا بالنسبة للحسين ، لكن هى رغبة ابن عباس فى إصلاح الأمر بشكل فكري ، يستهدف السلم قدر الإمكان ، وبعد الأمة عن التصدع ، والمذابح الداخلية .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ٦ ص ٩١ ، ٩٤ .

٩٧ — وعندما يجد الحسين مصراً على الخروج يرسم له خطة سياسية حكيمة ، تصل به إلى الحكم ، وتنهى أمر يزيد . وتلخص هذه الخطة بأن يبتعد الحسين — قائد الحركة — عن الأنظار فى مكان ناء ، يكون له فيه جماعة من أتباعه ، لهم من القدرة ما يكفى للمحافظة على حياته ، وإبعاد الخطر عنه . وأفضل بقعة لذلك هى اليمن . ثم تأتى المرحلة الثانية ، مرحلة التجميع الفكرى ، والتوجيه المعنوى ، بالكتابة إلى الناس ، وتوجيه الدعاة سرا فى كل مكان ، حتى يتم الأمر فى عافية ، دون حاجة إلى الإيقاع بين الناس ، وسفك دمائهم ، ولا بأس أن نثبت تعبيره ليتضح ماذكرنا من خلال كلامه حين يقول له : " ... فان أبيت إلا أن تخرج ، فسر إلى اليمن ، فإن بها حصونا وشعابا ، وهى أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت عن الناس فى عزلة ، فتكتب الى الناس ، وترسل وتبث دعاتك . فإنى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب فى عافية ". (١)

٩٨ — حقا إنا لنقف ذاهلين خاشعين أمام هذا العقل الجبار الذى يستنبط هذه الخطة السياسية ، التي تعتبر ثورة على الخليفة — المطاع فى كل أصقاع البلاد الاسلامية الفسيحة — من غير أن تخلّف بلبلة واضطرابا ، أو تخلق ذبذبات فكرية ينتج عنها ثغرات فى المجتمع ، تنفذ منها سموم المفسدين والمغرضين ، الذين يصطادون فى الماء المكر ، ولو أدى ذلك إلى وقوع الآلاف من القتلى والضحايا . وقد علمنا من قبل أن الحسين لم يأخذ برأى ابن عباس — رضى الله عنهما — ، فقد خرج إلى الكوفة ، حيث قتل على مقربة منها .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ٦ ص ٢١٧ .

٩٩ - أما موقفه بالنسبة لابن الزبير ، الذى تقول الرواية ، بأنه قد تمنى أن يكون له الملك على أرض الحرمين ، عندما ضمه مجلس - بقدر الله - مع عبدالملك بن مروان ، وأخيه ، مصعب ، وعروة ابني الزبير عند الكعبة . وطلب كل منهم من الله مايتمناه.(١) ولكن أنى لهذه الأمنية أن تتحقق ، وهو لايستطيع أن يطلب هذا الأمر لنفسه ، والحسين بن علي معه فى مكة . لذلك رأيناه يحاول إقناع الحسين بالخروج إلى الكوفة.(٢) وعندما يخرج ترجمان القرآن من عند الحسين ، وهو يائس من إقناعه ، مدرك لهذه الحقيقة - يمر بابن الزبير فيقول له : " قرت عينك يا ابن الزبير " ثم يتمثل :

يالك من قنبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

" هذا حسين يخرج إلى العراق ، وعليك بالحجاز !".(٣)

وان هذا لأكبر دليل على أن ابن عباس مدرك لهذه الحقائق ، متفهم لواقعه الذى يعيش فيه .

١٠٠ - وإذا كان رأى ابن عباس عدم الخروج على الخليفة إلا من الأكفأ للخلافة ، بشرط أن يكون ضامنا الوصول إليها دون تفرق صف الأمة ، وإراقة الدماء - فليس غريبا أن نجد ابن عباس يتحفظ ، بل يمتنع من بيعة ابن الزبير ، الذي كان حريصا على أخذ البيعة منه ، نظرا لمركزه العلمي ، والاجتماعي . وان ابن عباس ليدرك أن موقفه من

---

(١) انظر وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٧

(٢) انظر تردده عليه فى تاريخ الاسلام للذهبى جـ ١ ص ٢٤٢ .

(٣) انظر تاريخ الطبرى جـ ٦ ص ٢١٧ .

الناس موقف المتبوع ، وموقف الناس منه موقف التابع المقلد . مما يجعله ينظر بعين الاعتبار لسائر الأقطار الإسلامية ، وموقفها من الخلافة ، خصوصا موقف الشام التى يوجد فيها يزيد على حياة أبيه من كل الأقطار الإسلامية تقريبا . وكيفما كانت هذه البيعة ، فإنه قد استجابت لها الأكثرية الساحقة من الأمة ، ماعدا الحسين ، وابن الزبير .

١٠١ ـ وان كان رأى ابن عباس هو عدم الخروج على يزيد وهو على رأس الحكم . فلماذا لم يبايع عبد الله بن الزبير ، خصوصا بعد موت يزيد ، فقد تم له الأمر أو كاد ، وظل حبر الأمة مصرا على عدم مبايعته ، رغم أن ابن الزبير هدده بالإحراق ، والقتل ـ كما رأينا ـ ؟!

لعله أدرك أن تخلي بنى أمية عن السلطان ليس بالأمر السهل . خصوصا وقد أخبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن الخلافة ستكون بعد فترة من الزمن .. ـ ملكا عضوضا يتوارثها الأبناء عن الآباء . وإذا كان الأمر كذلك ، فليس من المستحسن أن يتعجل المرء فى البيعة حتى تستقر الأمور ، وتستبين معالم الطريق تماما . ولهذا كان حبر الأمة إذا ضيق عليه ابن الزبير الخناق ، وهدده بالإحراق ، يقول له : " لا . حتى يجتمع عليك الناس " . وقد يريد بذلك : عندما يستتب لك الأمر بالشام ، وتحل الحرب الأموى فيها تماما .

وعندما يخشى ترجمان القرآن على نفسه وذريته يطلب النجدة من أهل الكوفة ، فيأتيه أربعة آلاف رجل ، ليخرجوا به إلى الطائف حيث لفظ أنفاسه الأخيرة هناك . (١)

(١) انظر شذرات الذهب فى أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه أبى الفلاح عبد الحيين العماد الحنبلي جـ ١ ص ٧٥ ، والعبر فى أخبار من عبر (مخطوط) ـ المكتبة الأحمدية بحلب ـ رقم (١٢١٨) .

الفصل الثانـى

شيـوخ ابن عبـــــاس

* رسول الله (صلى الله عليه وسلـــم)
* عمـر بن الخطاب (رضى الله عنـــه)
* أُبـيّ بن كعب (رضى الله عنـــه)
* علي بن أبى طالـب (رضى الله عنـــه)
* زيـد بن ثابـت (رضى الله عنـــه)

ـ ١ ـ

١٠٢ ـ ليس غريبا على ابن عباس أن يبلغ فى فترة وجيزة من الزمن مابلغه كبار الصحابة من الفهم والعلم ، ودقة الملاحظة ، والقدرة على حل المعضلات ، فهو الفتى الذكي الذي لازم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ نعومة أظفاره ، وفتح عينيه على النور الذي ملأ الكون . وكانت فيه المؤهلات الكافية ، فنهل من معين النبي الصافي ، وتزود بفكرة التوحيد الخالصة .

١٠٣ ـ لقد كان يتردد كثيرا على النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ويبيت عنده فى بيت خالته ميمونة أحيانا ، وهو لايزال طفلا صغيرا . فيتعهده رسول الله بنفسه ، ويلقنه مبادىء الإسلام . وقد مرّ معنا عند دراسة حياته ، كيف أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أردفه خلفه ، وقال له : " ياغلام انى أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك .. الحديث " . وكثيرا ماكان يضمه إلى صدره ، ويجلسه فى حجره ليستأنس بجواره ، وينعم بحديثه . وكيف لا وقد أوصى به جبريل الأمين فقال عنه : " انه كائن حبر هذه الأمة فاستوصوا به خيرا " .(١)

فحري بمن كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معلمه الأول ، وأستاذه الفضل ، أن يبلغ مكانة يغبطه عليها أقرانه ، ومن هم أسن منه .

١٠٤ ـ واذا كان حبر الأمة عند وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يتجاوز الثالثة عشرة من العمر تقريبا (٢) . فلا غروأن تكون

(١) انظر تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٧٩ ، والإتقان جـ ٢ ص ١٨٨

(٢) انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدرالدين العيني جـ ٢٠ ص ٥٠ ، وانظر الحديث رقم (١٨) " أقبلت وأنا راكب على حمار أتان .. " جـ ٢ ص ٦٨ منه .

الأحاديث التي نقلها عنه يسيرة ، حتى قال الغزالي في المستصفى : "إنها أربعة" ، وقال يحيى القطان : "إنها عشرة" . وروى غندر أن ابن عباس لم يسمع من النبي — صلى الله عليه وسلم — إلا تسعة أحاديث . وبعد أن سرد ابن حجر هذه الأقوال في كتابه ، علق عليها فقال : "وفيه نظر ، ففي الصحيحين عن ابن عباس مما صرح بسماعه من النبي — صلى الله عليه وسلم — أكثر من عشرة ، وفيها مما شهد نعله نحو ذلك ، وفيها مما له حكم الصريح نحو ذلك ، فضلا عما ليس في الصحيحين"(١) وقول الحافظ ابن حجر هذا هو الأصوب والمعقول .

١٠٥ — وإني وجدت مخطوطة في المكتبة التيمورية تؤيد ذلك(٢) . اسمها : (كشف الباس عما رواه ابن عباس مشافهة عن سيد الناس) . يقول كاتبها في المقدمة بعد أن حمد الله ، وصلى على رسوله ... "وبعد فيقول أفقر عباد الله إلى رحمته وغفرانه ، وأحوجهم إلى رضوانه ، محمد عابد بن أحمد علي الأنصاري نسبا السندي مولدا : إني لما اطلعت على ما ذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ، وفي ترجمة عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب فائدة قال فيها : روى غندر أن ابن عباس لم يسمع من النبي — صلى الله عليه وسلم — إلا تسعة أحاديث .. (وذكر ما روي عن يحيى القطان ، وما قاله الغزالي ، وتعليق ابن حجر على ذلك) . ثم أردف قائلا : فتتبعت تلك الأحاديث في الصحيحين ، وما عداهما من السنن ، والأجزاء ، فوجدت من ذلك قدرا نافعا . مع أني لم أدع الحصر والاستيفاء ، فأردت أن أجمعها في كراسة ، ليسهل الوقوف عليها . وسميتها : كشف الباس .. الخ كلامه" . ثم سرد

---

(١) انظر تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٧٩

(٢) حديث تيمور رقم (٣٦٢) .

لابن عباس خمسا وسبعين حديثا بسندها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

١٠٦ـ ومن الجدير بالذكر أن ملازمة ابن عباس لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تكن ملازمة طفل غادى يرتع فى بيت يجد فيه من الدلال والحلوى مايجد . إنما كانت ملازمة حريص على معرفة ماخفي عليه من فعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قيام الليل . بل كان حريصا على الاقتداء به فى كل شئ ، وتتبع ماحصل منه تفصيلا ، وحفظه حفظا كاملا . يدل على ذلك روايات كثيرة . منها ماروه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : " بت عند خالتى ميمونة ، فقلت : لأنظرن إلى صلاة رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فطرحت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسادة ، فنام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فى طولها ، فجعل يمسح النوم عن وجهه فقرأ الآيات العشر الأواخر من آل عمران حتى ختم . ثم أتى سقاء معلقا ، فأخذه فتوضأ ثم قام يصلي . فقمت فصنعت مثل ماصنع ، ثم جئت فقمت إلى جنبه ، فوضع يده على رأسي ثم أخذ بأذني فجعل يفتلها ، ثم صلي ركعتين ، ثم صلى ركعتين ، ثم صلى ركعتين ، ثم صلى ركعتين ، ثم صلى ركعتين ، ثم صلى ركعتين ، ثم أوتر " . وفى رواية : " فقلت لا أنام حتى انظر ما يصنع فى صلاة الليل " . وفى رواية : " فقلت لميمونة : إذا قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأيقظيني " وكان عزم فى نفسه على السهر ، ليطلع على الكيفية التى أرادها ، ثم خشي أن يغلبه النوم ، فوصى ميمونة أن توقظه . وفى رواية " ... فقمت

فتمطيت كراهية أن يرى أني كنت أرقبه ، فتوضأت ...(١)

ألا يكفي هذا دليلا على أن ترجمان القرآن أخذ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشئ الكثير ، فكان له أساسا متينا ، رفع عليه بنيانه العلمي الشامخ .

١٠٧ـ وقبل أن ننهي الكلام في هذا الصدد لنتابع طريقنا مع بقية شيوخه بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابد لنا أن نبين كيف اكتسب ابن عباس من رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ قوة تدفعه إلى الإقبال على العلم والعلماء ، كما نبين السبب في إقبال كبار الصحابة على ابن عباس ، وأثر هذا الإقبال من الناحية العلمية بالنسبة إليه .

لقد ابن عباس مبادئ العلم الأولى في مدرسة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففرس في نفسه حب العلم ، وملازمة العلماء ، وفتح أمامه آفاقا واسعة ، سار على هديها بعد وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فكلمات المدح والاطراء كانت تطرق سمعه بين الحين والحين ، ويتذكر ما قاله عنه جبريل الأمين ، وما قاله عنه أستاذه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فيدفعه ذلك إلى التزود من العلم والمعرفة ، من كبار تلامذة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فيقبل عليهم بجلد ليس

---

(١) انظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ ١ ص ١٦٣ رقم (٤٣٨) وانظر الحديث الذي قبله ص ١٦٢ ، وانظر فتح الباري جـ ١ ص ١٦٩ ، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ ١٨ ص ١٦٠ ـ ١٦١ رقم (٩٣) ، وانظر أيضا مبيته عند ميمونة ، ومراقبته رسول الله عندما قام في الثلث الأخير من الليل ونظر إلى السماء فقال: "إن في خلق السموات والأرض ... الآية" ثم قام فتوضأ واستن ... إلخ في نفس الجزء منه ص ١٥٩ رقم (٩١) .

فاجلس حتى يخرج فأسأله ، ولو شئت أن أستخرجه لفعلت ".(١)

١١٠ ـ يا للنفس الكبيرة التي تصبر الساعات الطوال تتحمل الحر والقرّ ، والجوع والمطش ، في سبيل تعلم آية أو حديث . إنهـــا ـ لاشك ـ غرسة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوجيهاتـــه الحكيمة ، انعكست على ابن عباس في طلبه للعلم . فأي تقدير للعلـــم والعلماء أظهره ذلك الصحابي الجليل ، وأي أدب رفيع أبرزه حـــتى بلغت محبته في قلوب كبار الصحابة مابلغت . مما جعل العلم ينســـاب انسيابا من أفواههم عندما يرونه مقبلا عليهم هذا الإقبال ، حريصا علـــى العلم ، متأدبا بين يديهم ، مع مكانته وفضله ، وقربه من رسول اللـــه ، فتنفتح أساريرهم ، وتثلج صدورهم ، وفيض لسانهم بما سمعوه . فيتلقفه بسرعة عجيبة ، ويحيط به احاطة شاملة ، فلا يفلت منه شئ .

١١١ ـ ولعل أبرز شيوخه الذين إستفاد منهم بعد رسول اللـــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان لهم أثر كبير في ثقافته وعلمه هم :

عمر بن الخطاب ، وأبيّ بن كعب ، وعلي بن أبي طالب ، وزيـــد ابن ثابت .(٢)

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٢١ ، وانظر ص ٣٨

(٢) انظر في تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٤١ ماروه عبد الرزاق عـن معمر قال : " عامة علم ابن عباس من ثلاثـة : عمر ، وعلـي ، وأبي بن كعب ـ رضي الله عنهم ـ " . وانظر في كتاب غاية النهايـة في طبقات القراء لابن الأثير الجزري ص ٤٢٥ في ترجمة ابن عباس ، قال : " حفظ المحكم في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثـــم عرض القرآن على أبي بن كعب وزيد بن ثابت . وقيل انه قرأ على علـــي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ " وانظر في نفس المرجع ص ٤٢٦ ماروه الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس أنه كان يقرأ القرآن على قراءة زيـــد ابن ثابت ، إلا ثمانية عشر حرفا أخذها من قراءة ابن مسعود .

ـ ٢ ـ

عمر بن الخطاب(١)

١١٢ ـ هو عمر بن الخطاب ، كنيته أبو حفص(٢) ، ولقبه الفاروق(٣) ، به فرق الله الحق من الباطل ، وبه أعز الاسلام ، ولد قبل البعثة بثلاثين سنة(٤) . نشأ على القوة ، والعزة ، والسيادة ، والجرأة في قول الحق ، فكان من أشراف قريش ، وكانت إليه السفارة في الجاهلية ، وذلك أن قريشا كانت إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيرا ـ أي رسولا ـ وإذا نافرهم منافر ، أو فاخرهم مفاخر ، رضوا به ، وبعثوه منافرا ومفاخرا(٥) .

---

(١) انظر ترجمة عمر في تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٥ ، وحلية الأولياء جـ ١ ص ٣٨ ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٦ ، وصفة الصفوة جـ ١ ص ١٠١ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٧٠ ، وفتح الباري جـ ٧ ص ٣٤ ، وكانت حفصة أكبر أولاده ، والأسماء والكنى جـ ١ ص ٨ ، والاستيعاب جـ ٢ ص ٤٦٣ .

(٣) انظر الرياض النضرة جـ ١ ص ١٨٨ ، وشرح المواهب جـ ١ ص ٣٢ قال ابن عباس سألت عمر بن الخطاب لأي شئ سميت الفاروق؟ فذكر حديث إسلامه إلى أن قال : فأخرجنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صفين حمزة في أحدهما ، وأنا في الآخر حتى دخلنا المسجد فسماني الفاروق . وانظر كتاب الطبقات لابن سعد جـ ١ ص ١٩٤ ، وأسد الغابة جـ ٤ ص ٥٧ قيل لعائشة : من سمى عمر الفاروق ؟ قالت : النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

(٤) انظر كتاب الطبقات لابن سعد الثالث ١ : ١٩٣ ، وابن الجوزي جـ ١ ص ٦ .

(٥) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٤٥٩ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢ ، وبلوغ الأرب جـ ١ ص ٢٥ .

١١٣ — ولما سمع بالإسلام ناصبه العداء حتى شرح الله له صدره (١) . فكان الفائز بدعوة النبي — عليه السلام — : " اللهم أعز الاسلام بأحب هذين الرجلين إليك ، بأبي جهل ، أو بعمر ابن الخطاب (٢) " . فكان إسلامه فتحا وعزة للمسلمين ، حتى قال عبدالله ابن مسعود : " مازلنا أعزة منذ أسلم عمر (٣) " . ولما هاجر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والمسلمون إلى المدينة كانت هجرتهم ماعداه سرا ، فقد ذهب حتى طاف بالبيت سبعا ، ثم نادى قريشا ، فقال : " من أراد أن تثكله أمه ، ويتم ولده ، ويرمل نساءه ، فليلقني وراء هذا الوادي فاني مهاجر " . فما جرؤ أحد على اللحاق به .

---

(١) انظر إسلامه في تاريخ الخميس جـ ١ ص ٢٩٥ ، وسيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢١٧ ، وشرح المواهب جـ ١ ص ٣١٨ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٣ — ٤٤ ، والروض الأنف جـ ١ ص ٢١٧ وشرح بهجة المحافل جـ ١ ص ١٠٤ .

(٢) انظر الترمذي جـ ٢ ص ٢٩٢ وقال حسن صحيح ، وشرح المواهب جـ ١ ص ٣١٦ وقال صححه ابن حبان ، والرياض النضرة جـ ١ ص ١٩٧ وقال : خرجه أحمد وصححه أبو حاتم وغيرهما ، وجاء في الرياض النضرة أيضا جـ ١ ص ١٩٧ عن عائشة رضي الله عنها — أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : " اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة " وقال صاحب الرياض : خرجه أبو حاتم ، ثم قال : ولاتضاد بينهما ، لاحتمال أن يكون تكرر منه الدعاء فخص عمر مرة ، وأشرك معه غيره أخرى . وفي شرح المواهب جـ ١ ص ٣١٧ قال : أخرج الحاكم وصححه نافع عن ابن عمر عن ابن عباس رفعه : " اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة " . وأخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين . وأقره الذهبي من حديث عائشة . وجمع ابن عساكر بأنه — صلى الله عليه وسلم — دعا بالأول أولا فلما أوحي اليه أن أبا جهل لن يسلم خص عمر بدعائه .

(٣) انظر صحيح البخاري جـ ٤ ص ٢٤٢ .

وقد حضر المشاهد كلها مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلم يتخلف عن واحدة منها . وكان كثيرا ما يشير على الرسول ، فينزل القرآن موافقا لما أشار به (١) . وكان هو وأبو بكر بمنزلة الوزيرين لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — . وقد صاهره — عليه السلام — فتزوج بنته حفصه . وكثيرا ما استشاره النبى ، وأثنى عليه فقال : " إن الله — عز وجل — جعل الحق على لسان عمر وقلبه " (٢) . وكان من الكتاب (٣) .

١١٤ — ولما توفي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان سببا فى تسوية الأوضاع بالمبادرة إلى مبايعة أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — بالخلافة ، فحسم بذلك خلافا كاد يودي بالأمة الإسلامية (٤) . فلما قام أبوبكر بالأمر لم ينس الاستعانة به ، فكان له بمنزلة الوزير الأول ، يعرض عليه قضايا المسلمين ليحلها . وقد استفاد من ملازمته لأبى بكر الحلم والأناة فى الأمور . وأوصى له أبوبكر بالخلافة من بعده لما كان يراه فيه من صفات الكمال ، وحب الخير للمسلمين ، والكفاءة والقدرة على سياستهم .

---

(١) انظر صحيح مسلم جـ ٧ ص ١١٦ ، والترمذى جـ ١٣ ص ١٤٣ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٦ ، وحلية الأولياء جـ ١ ص ٤٢ ، والرياض النضرة جـ ١ ص ٢٠٠ و ٢٠٦ ، وابن الجوزى جـ ١ ص ١٧ ، وتفسير الطبرى جـ ٢١ ص ٢٥ ، وصحيح البخارى جـ ١ ص ١٠٥ وجـ ٦ ص ١٢٩ ، ومسند أحمد جـ ١ ص ٢٤ و ٢٦ وجـ ٦ ص ٢٢٣ ، وسنن النسائى جـ ٢ ص ٣٢٣ .

(٢) انظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٤٢

(٣) انظر فتوح البلدان ص ٤٥٧

(٤) انظر بسط الموضوع فى تاريخ الطبرى ، والرياض النضرة ، وابن هشام وتاريخ الخميس ، وطبقات ابن سعد .

١١٥ — ويبدأ عمر عهده بخطبة تعتبر دستورا للعدالة في الحكم . ثم يقوم بأمور المسلمين خير قيام ، مهتما بشئونهم ساهرا على مصالحهم (١) ، يتوخى العدالة ، ولو كان فيها تعبه .

١١٦ — وقد حفل عصره باجتهادات جريئة ، برهنت على أنه كان ثاقب البصر نفاذا إلى بواطن الأمور . فاعترف له الصحابة بالعلم والفضل ، وأقروه على اجتهاداته ، فمن ذلك : انه منع سهم المؤلفة قلوبهم بعد أن أعز الله الإسلام ، وامتنع عن قسمة سواد العراق بين المجاهدين حين طالبوه بذلك ، وناقشهم طويلا حتى أقام الحجة عليهم من كتاب الله في أواخر سورة الحشر (٢) .

١١٧ — من تلك المعقرية الفذة نهل ابن عباس ، ومن هذه الأفكار الناضجة استفاد . وقد عرف كيف يختار ، ومن يختار . فلازمه طيلة حياته يأخذ عنه ، ويوسع مداركه في مجالسه ، فقد كان عمر يدخله مع مشيخة بدر إذا ما اجتمعوا لأمر من أمور المسلمين ، ويفتخر به مع صغر سنه ، ويعتمد على قوله ، لقوة فهمه ، وجودة فكره ، ودقة استنباطه . روى البخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : " كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه ، وقال : لم

---

(١) انظر بسط الموضوع في خطط المقريزي ج ١ ص ١٦٦ ، وتاريخ ابن عساكر (مخطوط) — المكتبة الظاهرية بدمشق — والرياض النضرة ج ٢ ص ٥٢ ، وانظر نظام الولد واهتمام عمر وكلاوه في طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢١٢ ، والمسامرات ج ٢ ص ٤٩ ، وقمع النفوس (مخطوط) وغيرها .

(٢) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الوزراء للصابي ص ٦٨ ، والخراج لأبي يوسف ، ص ٣١ ، والخراج ليحيى بن آدم القرشي ص ٤٣ .

يدخل هذا معنا ، وإن لنا أبناء مثله ؟ إ فقال عمر : إنه من أعلمكم . فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم — فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم — فقال : ماتقولون في قوله تعالى : (إذا جاء نصر الله والفتح) ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا . فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ماتقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أعلمه له ، قال : " إذا جاء نصر الله والفتح " فذلك علامة أجلك " فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا " فقال عمر : لا أعلم منها إلا ماتقول ". (١)

١١٨ — ولئن كان ابن عباس يعطي رأيه في مجالس كبار الصحابة في بعض الأحيان ، واثقا من نفسه ، ومن علمه ، فهو بلا شك كان يستفيد أحيانا كثيرة مما يعرض أمام سمعه وبصره من آراء كبار الصحابة ، ومن خلاصة تجاربهم في الحياة ، فيتسع أفق نظره ، مما يؤهله للتفكير في أمور المسلمين ، ودينهم ، وشريعتهم الذي كان أحد أوتاده وأساطينه .

١١٩ — وتدل الروايات على أن ابن عباس كان كثير الملازمة لعمر ، حريصا على الاستفادة منه . وقد يسافر معه السفر الطويل ، يقوم على خدمته فيه ، ليقف منه على بعض مواضع التنزيل . قال ابن عباس — رضي الله عنهما — : " لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي — صلى الله عليه وسلم — اللتين قال

---

(١) انظر الاتقان جـ ٢ ص ١٨٧ ، وورد بنحوه في مسند أحمد جـ ٥ ص ٥٠ رقم (٣١٢٧) .

الله تعالى لهما : " إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما "(١) . فحججت معه (٢) . فعدل وعدلت معه بالإداوة — أى المطهرة — فتبرز ، ثم جاء ، فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ . فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان من أزواج النبي — صلى الله عليه وسلم — اللتان قال الله تعالى لهما : " إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما " ؟ فقال : واعجبا لك يا ابن عباس ! عائشة ، وحفصة . ثم استقبل عمر الحديث يسوقه (٣) ..."

١٢٠ — وقد يدخل عليه بيته ، ويأخذ منه ، ويتبادل معه الآراء فيعجب عمر بالشئ الكثير منها ، وربما زجره أحيانا على تسرعه بالإجابة ، ثم لايلبث أن يهدأ ويقر رأيه .

جاء فى تاريخ يعقوب بن سفيان من طريق يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال : " قدم على عمر رجل فسأله عن الناس ، فقال : قرأ منهم القرآن كذا وكذا . فقال ابن عباس : ما أحب أن يسأل عن آى القرآن . قال : فزبرنى عمر ، فانطلقت إلى منزله فقلت : ما أراني إلا قد سقطت من نفسه . فبينا أنا كذلك إذ جاءنى رجل فقال : أجب . فأخذ بيدي ثم خلا بي فقال : ماكرهت مما قال الرجل ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن كنت أسأت فاستغفر الله . قال : لتحدثني . قلت :

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ٤

(٢) فى مسند الطيالسى جـ ١ ص ٦ " وأقبلنا حتى انتهينا إلى مر الظهران ، فدخل عمر الأراك يقضي حاجته وقعدت له حتى خرج ... " .

(٣) الأثر فى البخارى جـ ٣ ص ١٠٣ ، وهو فى مسند الطيالسى جـ ١ ص ٦ باختصار ، ولفظ آخر . وانظر اللؤلؤ والمرجان جـ ٢ ص ١٢٩ — ١٣٥ .

إنهم متى تنازعوا اختلفوا ، ومتى اختلفوا اقتتلوا . قال : لله أبوك إ لقد كنت أكبرها الناس ". (١)

١٢١ــ ولم يكتف ابن عباس بذلك ، بل كان يتبعه إذا ذهب لقضاء حاجاته ، وفي سيره ، فيبوح له بما يجيش في نفسه . قال ابن عباس : " والله إني لأمشي مع عمر في خلافته ، وهو عامد إلى حاجة له ، وفي يده الدرة ، وما معه غيري ، وهو يحدث نفسه ويضرب وحثي قدمه بدرته ، إذ التفت إلي فقال : يا ابن عباس إ هل تدري ماكان حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟ (يريد مقالته : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد توفي ، وإنه والله مامات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، وقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات . والله ليرجعن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مات) قلت : لاأدري يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم . قال : فإنه والله إن كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا " فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت ". (٢)

---

(١) انظر الاصابة جـ ٢ ص ٣٢٣ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٧٤

١٢٢ — وكان صاحبنا لايتنازل عن رأيه بسرعه . بل كان يناقش استاذه مناقشة الند للند ، حتى يقنع استاذه بما عرف عنه من قوة الحجة وفصاحة البيان ، اجتمع عمر يوما مع بعض أصحابه يتذاكرون الشعر ، فقال بعضهم : فلان أشعر الناس ، وقال بعضهم: بل فلان أشعر . قال ابن عباس : فأقبلت فقال عمر : قد جاءكم أعلم الناس بها . من أشعر الشعراء ؟ . قال : قلت : زهير ابن أبي سلمى . فقال : هلم من شعره ما يستدل به على ماذكرت . فقلت : امتدح قوما من غطفان فقال :

لوكان يقعد فوق الشمس من كرم
قوم بأولهم أومجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم
طابوا وطاب من الأولاد ماولدوا
إنس إذا أمنوا جن إذا قرعوا
أمازيون بها ليل إذا حشدوا
محسدون على ماكان من نعم
لاينتزع الله عنهم ماله حسدوا

فقال عمر: أحسن والله إ . وما أعلم أحدا أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم ، لفضل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقرابتهم منه . فقلت : رفقت يا أمير المؤمنين ، ولم تزل موفقا . فقال : يا ابن عباس ، أتدري مامنع قومكم منكم بعد محمد — صلى الله عليه وسلم — ؟ فكرهت أن أجيبه ، فقلت : إن لم أدر ، فإن أمير المؤمنين يدريني . فقال : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة

فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا (١) . فاختارت قريش لأنفسها ، فأصابت ووفقت . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن تأذن لي في الكلام ، وتسط عني الغضب تكلمت . قال : تكلم . قلت : أما قولك يا أمير المؤمنين — اختارت قريش لأنفسها ، فأصابت ووفقت — فلو أن قريشا اختارت لأنفسها حين اختار الله لها ، لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود . وأما قولك : — إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة — فان الله (عز وجل) وصف قوما بالكراهة فقال : " ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم " فقال عمر : هيهات والله يا ابن عباس ! قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت اكره أن أقرك عليها لتزيل منزلتك مني . فقلت : ماهي يا أمير المؤمنين ؟ فإن كانت حقا ، فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك . وإن كانت باطلا ، فمثلي أماط الباطل عن نفسه . فقال عمر : بلغني أنك تقول : إنما صرفوها عنا حسدا وبغيا وظلما . فقلت : أما قولك يا أمير المؤمنين — ظلما — فقد تبين للجاهل والحليم . وأما قولك — حسدا — فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون . فقال عمر : هيهات هيهات ! ! أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسدا لايزول . فقلت : مهلا يا أمير المؤمنين . لاتصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا عن الحسد والغش ، فإن قلب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من قلوب بني هاشم . فقال عمر : إليك عني يا ابن عباس . فقلت أفعل . فلما ذهبت أقوم ، استحيا مني ، فقال : يا ابن عباس ، مكانك . فوالله إني لراع لحقك ، محب لما سرك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن لي

---

(١) باجحته : بارزته ، البُجُح : الرِّقاق المشققة ، والبَجَجُ : سعة العين (انظر القاموس المحيط ، ولسان العرب) .

عليك حقا ، وعلى كل مسلم ، فمن حفظه فحظه أصاب ، ومن أضاعه فحظه أخطأ ." (١) وإنا لندرك من هذا مدى إكبار عمر لابن عباس ونرى جرأة ابن عباس وأدبه فى مناقشة استاذه .

وقال ابن عباس لعمر يوما : " لقد أكثرت التمني للموت حتى خشيت أن يكون عليك غير سهل عند أوانه . فماذا سئمت من عيشك ؟ إ إما أن تعين صالحا ، أو تقوم قاعدا . قال : " يا ابن عباس ، إني قائل قولا فخذه إليك : كيف لا أحب فراق من هو فاتح فاه للشهوة من الدنيا ، إما لحق لا ينوبه ، وإما لباطل لا ينالـه . والله لولا أن أسأل عنكم لبرئت منكم فأصبحت الأرض مني بلاقع ، ولم أقل : مالفعل فلان وفلان ؟ إ .. " (٢)

١٢٣ ـ وخير شهادة أحرزها ابن عباس فى دراسته هى قول عمر فى مناسبات كثيرة : " ابن عباس فتى الكهول ، له لسان سئول ، وقلب عقول " (٣) . وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعاه وقال له : " أنت لها ولأمثالها " ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه (٤) .

وسأله يوما عن مسألة كتب بها إليه يعلى بن أمية من اليمن فأجابه فيها ـ كما يذكر ابن عباس عن نفسه ـ فقال عمر : " أشهد أنك تنطق من بيت نبوة " (٥) . وكان إذا رآه ـ أى عبد الله بن عباس ـ فى الأمر يعرض مع جلة أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) انظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى جـ ٣ ص ٢٤ ـ ٢٥

(٢) انظر شرح نهج البلاغة جـ ٢ ص ١٠٥

(٣) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٤ ، والاتقان جـ ٢ ص ١٨٧

(٤) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٤ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة

(٥) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٩

يقول : " غُصّ غواصٌ "[1] . وقال عندما أجابه عن ليلة القدر في مجلس الصحابة : " ما وافقني فيها أحد إلا هذا الغلام الذي لم تستو شئون رأسه " ثم قال مخاطبا كبار الصحابة ، مفتخرا بحبر الأمة : " يا هؤلاء ، من يؤديني فيها كأداء ابن عباس "[2] وكان يأخذ بقوله في الفضل — وعمر عمر — كما يقول الراوي عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[3] . وكان عمر يقول : " نعم ترجمان القرآن ابن عباس "[4] .

إلى غير ذلك من أقوال عمر وتصرفاته الكثيرة . التي تشهد لابن عباس بالفضل ، والعلم ، والذكاء الخارق .

١٢٤ — وأريد أن أوضح أخيرا أن الذي استفاده ترجمان القرآن من عمر ، كان آراء فقهية ، وأفكارا استنباطية تشريعية . أما أمور التفسير — كمادة علمية — فلم يأخذ عنه إلا الشيء اليسير الذي يدور بطله في المجال التشريعي ، وذلك لأن ما أثر عن عمر في هذا المضمار نزر يسير . وهو أمر طبيعي لاشتغاله بأمور السياسة ، والحكم ، والفتوحات ...

١٢٥ — إلا أني لا أنكر أن عمر فتح أمامه المجال المقلي الواسع ، مما جعله أكثر دقة ، وأبعد نظرا في تفسيره للقرآن الكريم . بل أذهب إلى أبعد من ذلك ، فأقول : إن عمر خط المنهج الذي سار

---

(١) انظر البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٣٩

(٢) انظر الاتقان جـ ٢ ص ١٨٧

(٣) انظر الاصابة جـ ٢ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ نقلا عن فوائد ابن المقري من طريق ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة . وفي أسد الغابة جـ ٣ ص ١٩٣ قول عبيد الله ابن عبد الله : وهم عمر ، يعني في حذقه واجتهاده لله وللمسلمين .

(٤) انظر تاريخ بغداد جـ ١ ص ١٧٣

عليه ابن عباس فيما بعد حين فسر القرآن الكريم مستعينا بالشعر العربي ـ كما سنوضح ذلك فيما بعد عندما نتكلم عن منهجه في التفسير ـ ؛ لأن عمر هو الذى كان يسلك هذا الطريق فى فهم غريب القرآن . ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم ، ليستعان به على فهم الألفاظ القرآنية الغريبة ، فها هو ذا ـ رضى الله عنه ـ يسأل أصحابه عن معنى قوله تعالى في الآية (٤٧) من سورة النحل : " أو يأخذهم على تخوف " . فيقوم إليه شيخ من هذيل فيقول له : هذه لغتنا . التخوف : التنقص . فيقول عمر : هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ؟ فيقول له : نعم . ويروي قول الشاعر :

تَخَوَّفَ الرَّحْل منها تامكا قَرِدا كما تَخَوَّفَ عودَ النبعةِ السَّفِنُ

فيقول عمر لأصحابه : " عليكم بديوانكم لاتضلوا . قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم ".(١)

غير أن ابن عباس امتاز بهذا المنهج ، واشتهر به أكثر من عمر ، لما ذكرنا من أن عمر لم يؤثر عنه الشيء الكثير في التفسير كما أثر عن ترجمان القرآن ابن عباس .

---

(١) انظر الموافقات للشاطبي جـ ٢ ص ٨٧ ـ ٨٨ .

ـ ٣ ـ

أُبَيّ بن كعب

١٢٦ ـ هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية ابن عمرو بن مالك بن النجار ، أبو المنذر ، ويقال : أبو الطفيل المدني ـ سيد القراء .(١)

شهد بيعة العقبة مع السبعين من الأنصار ، كما شهد بدرا وأحدا ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٢) وقرأ القرآن عليه في الوقت الذي كان ينزل به جبريل (٣) (٤) وهو يفتخر بذلك . قال ابن عباس : قال أبيّ لعمر : " إني تلقيت القرآن ممن تلقاه من جبريل وهو رطب "(٥)

١٢٧ ـ وقد امتدت إليه يد العناية والتثقيف من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ توجهه وترشده ، وتؤهله لأن يكون من حملة هذا القرآن عن سيد الأنام ، فكان يجالسه ، ويوصيه من وصايا جبريل الأمين ـ عليه السلام ـ قال أبي : " قال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ألا أعلمك كلمات مما علمني جبريل ـ عليه السلام ـ ؟)

---

(١) انظر تهذيب التهذيب جـ ١ ص ١٨٧ ، وطبقات القراء جـ ٦ ص ٦٢٩ ـ نقلا عن مجلة الهداية / ١٣٣١هـ / السنة الرابعة ـ وغاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ ص ٣١ ، وتاريخ الإسلام للذهبي جـ ٢ ص ٢٧ ، وانظر صفة الصفوة ، وحلية الأولياء ، وتذكرة الحفاظ .

(٢) انظر كتاب الطبقات الكبير في البدريين القسم الثاني جـ ٣ ص ٥٩

(٣) انظر المرجع السابق ، وطبقات القراء للذهبي جـ ٦ ص ٦٢٩ ، وصفة الصفوة جـ ١ ص ١٨٨ .

(٤) انظر غاية النهاية في طبقات القراء جـ ٣ ص ٣١

(٥) انظر تاريخ الإسلام للذهبي جـ ٢ ص ٢٧

قال : قلت : نعم يارسول الله . قال : (قل : اللهم اغفر لي (١) خطاياي وعمدي ، وهزلي ، وجدي ، ولا تحرمني بركة ما أعطيتني ، ولا تفتني فيما حرمتني) " . (٢)

١٢٨ — ولم يكتف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بهذا التوجيه بل كان يتحسس مشاعره ، ويتلمس ما يجيش في صدره . فإذا ما أحس بشيء ، أفاض عليه من بركات النبوة ما ينشرح له صدره ، وتتصقل به مواهبه ، وما يفتح مشاعره ، ويثبت به فؤاده ، فيضرب على صدره ويدعو له . قال أبي : " انطلقت إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فضرب بيده صدري ثم قال : أعيذك بالله من الشك والتكذيب . قال : ففضت عرقا ، وكأني أنظر إلى ربي فرقا " . (٣)

١٢٩ — بلغ أبي منزلة عالية في قلب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد أن تم صقل نفسه ، وطهر قلبه من الشك والتكذيب ، فبرزت مواهبه ، وتجلت مزاياه واستعداداته ، حتى قال له الرسول مرة : " إني أمرت أن أعرض عليك القرآن " فقال أبي : " بالله آمنت ، وعليك أسلمت ، ومنك تعلمت " . قال : فرد النبي — صلى الله عليه وسلم — القول . فقال : " يارسول الله ، وذكرت هناك ؟ "

---

(١) هكذا ورد في الأصل ، والصواب " بلى "

(٢) انظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٢٥٦

(٣) انظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٢٥٢ . ومعنى فضت عرقا : كثر عرقي حتى سال ، من فاض الماء والدمع يفيض فيضا وفيوضا وفيضانا : أي كثر حتى سال على ضفة الوادي (لسان العرب) . والفرق — محركة — الصبح نفسه ، أو قبله (القاموس المحيط) . وقد ورد الأثر بمعناه في كتاب تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، الطبعة الأولى طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي في المقدمة .

قال : " نعم . باسمك ونسبك في الملأ الأعلى " قال : " فاقرأ إذن يا رسول الله "(١) . وهنا ندرك فرحة أبي بهذا الفضل ، وهو لا يكاد يخفي هذه الفرحة . وقد صرح بها حين سأله عبد الرحمن بن أبزى : " ففرحت بذلك ؟ " فأجابه : " وما يمنعني وهو يقول : " قل بفضل الله ، وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون "(٢) . حقا إنها لفرحة عظمى لا تعدلها فرحة أخرى . إنها رحمة الله أدركته ، وعناية الله شملته ، فبذلك فليفرح .

١٣٠ — وكان أبي يكتب الوحي لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو مركز يدل على ثقة صاحب الرسالة به ، حيث أمنه على كتابة الوحي السماوي مع نفر من الصحابة على قلة عددهم(٣) . وهو أحد الذين حفظوا القرآن على عهده — صلى الله عليه وسلم —(٤) ، فاستفاد بذلك خبرة مكنته من التصدر للفتوى ، ورسول الله — عليه الصلاة والسلام — على قيد الحياة(٥) .

١٣١ — وقد شهد له النبي بالسبق في قراءة القرآن فقال : " أقرؤكم أبي " وفي رواية : " أقرأ أمتي أبي بن كعب "(٦) . فأي ثناء أفضل من ثناء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأي إجازة أسمى

---

(١) حلية الأولياء جـ ١ ص ٢٥١ ، وصفة الصفوة جـ ١ ص ١٨٩

(٢) انظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٢٥١

(٣) انظر كتاب الطبقات الكبير ق : ٢ جـ ٣ ص ٥٩

(٤) انظر صفة الصفوة جـ ١ ص ١٨٨ — ١٨٩ ، وتاريخ الإسلام للذهبي جـ ٢ ص ٢٨

(٥) انظر صفة الصفوة جـ ١ ص ١٨٩ .

(٦) انظر كتاب الطبقات الكبير ق : ٢ جـ ٣ ص ٥٩ — ٦٠ ، وغاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ ص ٣١ ، وطبقات القراء للذهبي جـ ١ ص ٦٢٩ .

من هذه الإجازة التي حازها أبي في هذا الميدان ؟ ! ولم يقف الأمر عند هذا المديح ، وإعلان الأسبقية . بل إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يأمر الصحابة بأخذ القرآن عنه ، لما يمتاز به من إتقان الحفظ ، وحسن الأداء ، فهو يقول : " استقرئوا القرآن من أربعة : عبدالله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب ". (١)

وكان يرتع كل يوم في رياض القرآن الكريم : يلتذ بقراءته ، ويتذكر الآيات التي تنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيشعر بالإيمان يملأ قلبه ، ويحاول أن يستزيد من تلاوة القرآن ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، مع مراعاة فهم كلام الله ، والاستفادة منه والتأثر به ، فكان يختم القرآن الكريم في ثمان ليال . (٢)

١٣٢ - شعر الصحابة بمكانة أبي من كتاب الله بعد وصية رسول الله به ، فكانوا يجلونه ، ويحترمونه . فهذا عمر بن الخطاب أفضل الصحابة بعد أبي بكر - رضي الله عنهم - كان يلقب أبيًا بسيد المسلمين . (٣) وكان يكرمه ويهابه ، ويستفتيه (٤) ، ويقول : " أقضانا علي ، وأقرؤنا أبي ". (٥)

---

(١) انظر طبقات القراء جـ ٦ ص ٦٢٩ ، وانظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري حديث (٢٠) جـ ٢ ص ٢٤ باب القراء من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد ورد بترتيب آخر .

(٢) انظر كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ق : ٢ جـ ٣ ص ٦٠ ، وطبقات القراء للذهبي جـ ٦ ص ٦٢٩ ، وصفة الصفوة جـ ١ ص ١٨٩

(٣) انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٦ ، وتاريخ الاسلام جـ ٢ ص ٢٨ وكتاب الطبقات الكبير ق : ٢ جـ ٣ ص ٦٠ ، وصفة الصفوة جـ ١ ص ١٨٩ .

(٤) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٦

(٥) انظر طبقات القراء للذهبي جـ ٦ ص ٦٢٩

١٣٣ ـ لهذا كله وجد ابن عباس في أبي ضالته المنشودة ، فلازمه وأخذ عنه القرآن ، وقرأ عليه ، وروى عنه العلم الجم .(١)

وكان مع حرصه على الاستفادة منه متأدبا معه ، حريصا على ألا يوجه ، فيلزم بابه وينام عليه . ويصبر الأستاذ بمكانة تلميذه ، فيقبل عليه بكليته . وإذا ابن عباس وعاء يمتص العلم امتصاصا ، ويتلقفه ، فيعيه منذ اللحظة الأولى ، لما عرف عنه من ذكاء نادر ، وعقل مستنير . يقول ابن عباس : " ما حدثني أحد قط حديثا فاستفهمته ، فلقد كنت آتي باب أبي بن كعب وهو نائم فأقبل على بابه ، ولو علم بمكاني لأحب أن يوقظ لمكاني من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكني أكره أن أمله "(٢) .

١٣٤ ـ وقد امتلأ ابن عباس (ترجمان القرآن) إعجابا بأستاذه ، فكان يعتبره من أكابر الصحابة ،(٣) ومن الراسخين في العلم ، خاصة فيما يتعلق بالقرآن ونزوله فقد قال : " كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المهاجرين والأنصار ، فأسألهم عن مغازي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما نزل من القرآن في ذلك . وكنت لا آتي أحدا إلا سر بإتياني لقربي من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجعلت أسأل أبي بن كعب يوما عما نزل

---

(١) انظر تهذيب التهذيب جـ ١ ص ١٨٨ ، وتاريخ الإسلام للذهبي جـ ٢ ص ٢٧ ، وغاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ ص ٣١ ، والبرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي جـ ١ ص ٢٤٣ .

(٢) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٧١

(٣) انظر سراج القارئ المبتدي وتذكار المقري المنتهي للامام أبي القاسم علي بن عثمان بن محمد بن أحمد الحذري البغدادي ص ٩ ، ١٠ ، وانظر الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن للشيخ محمد بخيت المطيعي الطبعة الأولى ص ٥٠

من القرآن بالمدينة فقال : نزل بها سبع وعشرون سورة ، وسائرها بمكة (١) " .

١٣٥ـ ومن الملاحظ أن أبيًا ـ رضي الله عنه ـ كان يكتب في مصحفه أشياء ليست من القرآن الكريم مما يعد شرحا ، أو تفسيرا ، أو سببا لنزول ، أو مما نسخ ، وكان يقول : " لا أدع شيئا سمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " (٢)

فمما أثبته في مصحفه ـ مثلا ـ دعاء القنوت (٣) . مع أنه لم تقم حجة أنه من القرآن المنزل ، بل هو ضرب من الدعاء ، ولو كان قرآنا لنقل إلينا نقل القرآن ، وحصل العلم بصحته . ويمكن أن يكون منه كلام كان قرآنا ، ثم نسخ وأبيح الدعاء به . وقد كان بعض الصحابة يكتبون مصاحف لأنفسهم ربما كتبوا فيها ماليس بقرآن ، مما يكون تأويلا لما غمض عليهم ، أو دعاء يجري مجرى أدعية القرآن في أنه يصح الإتيان به في الصلاة عند القنوت ، أو نحو ذلك . وهم يعلمون أن ذلك كله ليس بقرآن ، وقد أمنوا على أنفسهم اللبس لتواتر القرآن عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحفظه في صدورهم (٤) .

١٣٦ ـ ولم يكن ابن عباس ممن يأخذ العلم بدون تمحيص ، أو تدقيق ، فقد كان ينقل نقل الواعي المستنير فلم يكن هو ولا غيره ممن يظن أن هذا من القرآن ، لأن اعتماد الصحابة في القرآن الكريم كان على النقل المتواتر ، وليس على هذه المصاحف الخاصة ، التي لم

---

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٧١

(٢) انظر تاريخ الإسلام للذهبي جـ ٢ ص ٢٨

(٣) انظر الإتقان جـ ١ ص ٦٦

(٤) انظر الإتقان جـ ١ ص ٧٨ .

يكن ليقصد منها جمع القرآن الكريم للأمة الإسلامية . فكان ابن عباس يأخذ الثابت المتواتر عن أبي ، ويدع ما يخالف به كبار الصحابة ، ولا يوافقونه عليه ، مع احترامه له ، وجلالة قدره عنده . فقد ضرب ابن عباس الرقم القياسي في التثبت في أخذ العلم عن أساتذته ، حتى لقد كان يسأل عن الأمر الواحد ثلاثين صحابيا . قال ابن عباس : " إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي — صلى الله عليه وسلم — ".(١)

إنها خطة الذكي الواعي ، الذي يحرص على نقل هذا الدين إلى الأمة الإسلامية بعد التيقن منه ، والتثبت فيه ليكون رأيا متفقا عليه . فكيف يأخذ كل شيء عن أبي ، ولو خالفه بعض الصحابة ، مع علمه أن أبيا يقول : " لا أدع شيئا سمعته من رسول الله — صلى الله عليه وسلم —".(٢) فهو يختار من قراءة أبي ما اتفق الصحابة عليه ، ويدع ما سوى ذلك . قال ترجمان القرآن ابن عباس : " أقرؤنا أبي وأقضانا علي ، وإنا لندع من قراءة أبي إذ هو يقول : لا أدع شيئا سمعته من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد قال الله : " ما ننسخ من آية أو ننسها " .(٣)

---

(١) انظر تاريخ الاسلام للذهبي جـ ٣ ص ٣٣

(٢) انظر المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٨

(٣) انظر تاريخ الاسلام للذهبي جـ ٢ ص ٢٨ ، وانظر الهامش للعلامة الكوثري رحمه الله . وقد ورد هذا الأثر في عمدة القاري للعيني جـ ٢٠ ص ٢٨ يرويه ابن عباس عن عمر في الحديث رقم (٢٦) عن ابن عباس قال قال عمر : " أبي أقرؤنا ، وإنا لندع من لحن أبي ، وأبي يقول : أخذته من في رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال الله تعالى : " ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها .. " .

ـ ٤ ـ

علي بن أبي طالب

١٣٧ـ علي بن أبي طالب ـ واسم أبي طالب : عبد مناف ـ (١) ابن عبدالمطلب . كنيته أبو الحسن ، وأبو تراب . وكان يحب أن يكنى بهذا الأخير ، لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذي دعاه به .(٢)

أسلم ـ رضي الله عنه ـ وهو صبي . وقيل : إنه أول من أسلم بعد خديجة .(٣) نشأ في بيت النبوة ، وترعرع في كنف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد زوجه الرسول ابنته فاطمة .(٤)

١٣٨ـ وشهد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المشاهد كلها ، وكان له فيها جهاد مذكور ، إلا تبوكا ، فقد خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في أهله .(٥) إلا أن عليا شعر بغضاضة في نفسه ، وكيف يبقى مع النساء والصبيان ، وهو الذي تفر منه الشجعان . بل كيف يفوته هذا الفضل ، فضل القتال إلى جوار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن نفسه لتصطرع بين جنبيه نقمة على أعداء الدعوة فيتلمس من النبي أن يعفيه فيقول : " يارسول الله ! تخلفني في

---

(١) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ص ٥٢

(٢) انظر صفة الصفوة جـ ١ ص ١١٨ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٠ ، ومنتخب الصحيحين من كلام سيد الكونين ص ١٠ ، واللؤلؤ والمرجان جـ ٣ ص ١٧٣ .

(٣) انظر طبقات القراء للذهبي جـ ١ ص ٦٢٨ ، وتلقيح فهوم أهل الأثر ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(٤) انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٠

(٥) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٥٢ ـ ٥٣ ، وصفة الصفوة جـ ١ ص ١٨ وأسد الغابة جـ ٤ ص ١٦ .

النساء والصبيان ؟ " فيجيبه النبي — صلى الله عليه وسلم —: " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي "(١).

١٣٩ — قرأ القرآن وعرضه على النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو من الذين حفظوه أجمع بلا شك(٢). وقد جمعه على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال علي بن الرماح: " جمع القرآن في حياة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أربعة: علي، وعثمان، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود "(٣). وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول خليفة من بني هاشم.(٤)

١٤٠ — شهد له النبي — صلى الله عليه وسلم — بالفضل وأثنى عليه في مواقف كثيرة لما أبداه من ضروب التضحية والفداء، والإخلاص لهذا الدين الحنيف. وقد اشتهر منذ صغره بحبه للفروسية، والتمرس على استعمال السلاح. فلما كان يوم خيبر افتقده رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليعطيه الراية، كما روى سهل بن سعد أن رسول الله قال يوم خيبر: " لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله عليه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل يا رسول الله، يشتكي عينه. قال: فأرسلوا إليه. فأتي به، فبصق رسول الله — صلى الله عليه وسلم في عينه، ودعا له فبرئ، حتى كأن لم يكن به وجع،

---

(١) انظر صفة الصفوة جـ ١ ص ١٢١، وأسد الغابة جـ ٤ ص ٢٦، ٢٧، وانظر بنحوه من حديث طويل في مسند أحمد جـ ٥ ص ٢٥ — ٢٧، وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ ٣ ص ١٧١ باب من فضائل علي.

(٢) انظر غاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ ص ٥٤٦

(٣) انظر طبقات القراء للذهبي جـ ٦ ص ٦٢٨

(٤) انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٠، وأسد الغابة جـ ٤ ص ١٦، ٢٩

فأعطاه الراية ..."[1] وقد جعل رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حبه علامة الإيمان ، وبغضه علامة النفاق ، فقال له : " لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق "[2] وقال : " من كنت مولاه فعلي مولاه "[3]. ودعاه بسيد العرب ، وأوصى به الأنصار فقال : " ادعوا لي سيد العرب ـ يعني علي بن أبي طالب ـ فقالت عائشة : ألست سيد العرب . فقال : أنا سيد ولد آدم ، وعلي سيد العرب . فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه فقال لهم : يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبدا ؟ قالوا بلى يا رسول الله . قال : هذا علي فأحبوه بحبي ، واكرموه بكرامتي ، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم من الله ـ عز وجل ـ ".[4]

١٤١ ـ وقد أرسله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى اليمن قاضيا ، وعمه بيده . قال علي : بعثني النبي ـ صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقلت : يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني ، وأنا حديث السن لا أبصر القضاء ! قال : فوضع يده في صدري وقال : اللهم ثبت لسانه ، واهد قلبه . وقال : يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول . فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء " وفي رواية لأبي داود قال علي : " والله ما شككت في قضاء بين اثنين ". ومن هنا كان موفقا مسددا حتى ضرب به المثل في القضاء فقيل : " قضية ولا أبا حسن لها ".[5]

---

(١) انظر صفة الصفوة جـ ١ ص ١٢٠ ، وانظر بنحوه في أسد الغابة جـ ٤ ص : ٢١ ـ ٢٨ ، واللؤلؤ والمرجان جـ ٣ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٠ ، وأسد الغابة جـ ٤ ص ٢٦

(٣) انظر المرجعين السابقين ، وصفة الصفوة جـ ١ ص ١٢١

(٤) انظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٦٣

(٥) انظر أسد الغابة جـ ٤ ص ٢٢

١٤٢ ـ وأجمل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صفاته التي يتميز بها فقال له بعد أن ضرب بين كتفيه : " ياعلي لك سبع خصال لايحاجك فيها أحد (١) يوم القيامة ، أنت أول المؤمنين بالله إيمانا ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأرأفهم بالرعية ، وأقسمهم بالسوية ، وأعلمهم بالقضية ، وأعظمهم مزية يوم القيامة ". (٢)

١٤٣ ـ ومما لاشك فيه أن سكناه مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومرافقته الدائمة له أورثتاه ميزتين هامتين :

أولاهما : العلم الغزير .

وثانيتهما : الأدب والفضل .

قال علي : " كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أعطاني ، وإذا سكت ابتدأني " . وهذه أيضا عناية فائقة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسيد العرب ، جعلت عليا من أعلم الناس ، حتى لقد قالت عائشة ـ رضي الله عنها : " أما إنه لأعلم الناس بالسنة " في زمن كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ متوافرين . (٣)

١٤٤ ـ وشمر علي ـ رضي الله عنه ـ بعد انتقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الرفيق الأعلى بالمهمة الملقاة على عاتقه في نشر الدين ، وبث الروح العلمية في نفوس المسلمين فصار ينقل ماسمعه وما رآه نقل الواثق من نفسه المعتمد على علمه ، وقد كان يقول عن نفسه كما روى ابن سعد : " والله ما نزلت آية إلا وقد علمت

---

(١) ورد في الأصل : " فيهم " وهو خطأ والأصح فيها .

(٢) انظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٦٦

(٣) انظر الاستيعاب جـ ٣ ص ١١٠٤ وانظر : أسد الغابة جـ ٤ ص ٢٩ .

فيم نزلت ، وأين نزلت ، وعلام نزلت إن ربي وهب لي قلبا عقولا ، ولسانا ناطقا " فاهيك بقراءته في أداء القرآن على حروفه . قال عبد الرحمن السلمي : " ما رأيت ابن أنشى أقرأ لكتاب الله من علي ".(١)

١٤٥ — وكان إذا أخذ علما عن غير رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تحرى في التثبت ، واستحلف محدثه ليطمئن قلبه لما ينقل . قال علي : " كنت إذا سمعت من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حديثا نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه . وكان إذا حدثني غيره استحلفته فإذا حلف صدقته ... "(٢)

١٤٦ — لكن مما ينبغي التنبه له أن عليا — رضي الله عنه — مع علمه وفضله ، وكثرة ما حمل عنه من العلم — قد أدخل عليه الشيء الكثير مما لم يقل به ، ولم يعلمه . وقد ملئت بطون الكتب بمروياته التي دستها الشيعة عليه ، فأفسدوا كثيرا من علمه . فإذا صح المروي عنه لم يعدل إلى غيره . روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : " إذا ثبت لنا الشيء عن علي لم نعدل عنه إلى غيره ".(٣)

١٤٧ — وإذا كان لعلي — رضي الله عنه — كل هذه الفضائل وله هذه المكانة السامية من العلم والمعرفة . فإن ابن عباس — رضي الله عنهما — كان أشد الناس حرصا على ملازمته ، والانتفاع به . وقد دفعه إلى ذلك أمران :

---

(١) انظر غاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ ص ٥٤٦ وطبقات القراء للذهبي جـ ٦ ص ٦٢٨ .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٠

(٣) انظر أسد الغابة جـ ٤ ص ٢٣

١٤٨ ـ أولهما : نشأته في بيت النبوة ، واقتباسه الأخلاق الكريمة الفاضلة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ نعومة أظفاره ، مما يحرص ابن عباس على تلقيه منه ، والاستفادة به ، ولننظر إلى وصية من وصاياه الهامة التي يوجه بها الناس ، لنشعر أنها تنبثق من بيت نبوة ، حيث يقول ـ رضي الله عنه ـ : " احفظوا عني خصالا لو ركبتم الإبل في طلبهن لأنضيتموهن قبل أن تدركوهن : لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم ، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم . والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له "(١) . ففي هذا دلالة واضحة على أن الأنوار النبوية انعكست اشعتها على قلبه ، فأكسبته قدرا كبيرا من الورع ، ومراقبة الله .

١٤٩ ـ وثانيهما : العلم الغزير الذي حازه بملازمته لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال أحمد بن حنبل : " ما جاء لأحد من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما جاء لعلي "(٢) . مما جعل ابن عباس يعجب به اعجابا عظيما ويتحدث عن علمه فيقول : " قسم علم الناس خمسة أجزاء . فكان لعلي منها أربعة أجزاء ، ولسائر الناس جزء ، شاركهم علي فيه ، فكان أعلمهم به "(٣) ولذا كان أهلا لأن يخصه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأمور لا يطلع عليها سواه . يقول حبر الأمة ابن عباس : " كنا نتحدث أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عهد الى علي سبعين عهدا لم يعهد إلى غيره "(٤) .

(١) انظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٧٦

(٢) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري جـ ٣ ص ١٥٩ .

(٣) انظر المرجع السابق .

(٤) انظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٦٨ . هكذا جاءت الرواية ، وفي الكلام نقص لعله : ـ لم يعهد بهن إلى غيره ـ .

١٥٠ - يضاف إلى هذين الدافعين صلة القرابة التي كانت تربط بين علي وابن عباس ، مما سهل لقاءاتهما الكثيرة . ولقد كان علي حريصا على أن يبث توجيهاته في نفس ابن عمه عبدالله بن عباس . وكان هو بدوره يفخر باستاذه ، ومما استفاده منه من علم . قال ابن عباس : " ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانتفاعي بكتاب كتب به علي بن أبي طالب . فإنه كتب إلي : أما بعد فإن المرء يسوءه فوت مالم يكن ليدركه ، ويسره درك مالم يكن ليفوته . فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك . وليكن أسفك على مافاتك منها . وما نلت من دنياك ، فلا تكثرن به فرحا ، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزنا . وليكن همك فيما بعد الموت " (١) . وهذه الرسالة تدل على اهتمام علي - رضي الله عنه - بابن عمه ، لأنه يتوسم فيه الخير ، وترقع أن يكون له شأن كبير . وكان رباني الأمة حريصا على أن يتأثر بهذه الوصية لما جمعت من غزير الآداب في مختصر من القول ، فسار على هديها ، وانتفع بها كثيرا كما أخبر بذلك .

١٥١ - هذا بالنسبة للعلوم عامة ، وللخلق وتربية النفس خاصة . أما بالنسبة لتفسير القرآن فجل علمه من علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - كما صرح بذلك فقال : " ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب " (٢) .

١٥٢ - ولابد أن نشير في ختام ذلك إلى ماصاحب عهد علي - رضي الله عنه - من الفتن ، والاضطرابات ، والخلافات الجسيمة التي كادت تهز أركان الدولة الإسلامية ، لولا ماعرف عن علي - رضي الله عنه -

---

(١) انظر صفة الصفوة جـ ١ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) انظر أسد الغابة جـ ٤ ص ١٨

من رباطة جأش ، وحنكة وحسن تدبير ، خاصة حينما جعل ابن عباس مستشارا له ، ووزيرا . وكان آنذاك قد بلغ نضوجه الفكري ، والجسمي حدا لايستهان به . فكان ترجمان القرآن يشير عليه ، ويأخذ منه ويعطيه . كما استفاد حبر الأمة الشيء الكثير من المناقشات والمناظرات التي كانت تعقد بين علي والناقمين على خلافته وتصرفاته ، مما وسع مداركه ، وأطلق لسانه ، وفتح عقله حتى صار حجة لايغلب .

- ٥ -

زيد بن ثابت

١٥٣ - زيد بن ثابت بن الضحاك النجاري الأنصاري . أبوسعيد ، وأبو خارجة .(١) كان - حين قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة - ابن إحدى عشرة سنة . وكانت علامات الذكاء بادية عليه منذ ذلك الحين ، فقد كان يحفظ آنذاك ست عشرة سورة .(٢) فهو الشاب الذكي الثقف .(٣)

١٥٤ - شهد مع النبي - صلى الله عليه وسلم - غزوة الخندق ، وما بعدها . وأعطاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم راية بني النجار يوم تبوك ، وكانت مع عمارة بن حزم ، فلما استفسر عمارة عن سبب أخذها منه قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " القرآن تقدم . وزيد أكثر أخذا للقرآن منك ".(٤)

١٥٥ - كان يكتب للنبي - صلى الله عليه وسلم - الوحي ، وهو في ذلك ماهر كل المهارة ، فأمره الرسول بكتابة رسائله إلى رؤساء القبائل والملوك .

وما إن خشي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الزيادة على رسائله والعبث بها حتى أمر زيدا أن يتعلم السريانية والعبرانية ، لما يعهد فيه من نبوغ وأمانة . قال زيد : " قال لي النبي - صلى الله عليه وسلم - : إني أكتب إلى قوم ، فأخاف أن يزيدوا عليّ أو ينقصوا ،

---

(١) انظر غاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ ص ٢٩٦ ، وتاريخ التشريع الإسلامي للخضري ص ١٢٩ ، وخلاصة تاريخ التشريع الإسلامي لعبدالوهاب خلاف ص ٢٩٤ .

(٢) انظر خلاصة تاريخ التشريع ص ٢٩٤

(٣) انظر طبقات القراء للذهبي جـ ٦ ص ٦٣١

(٤) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٥٣٧ ، وخلاصة تاريخ التشريع الإسلامي لخلاف ص ٢٩٤ .

فتعلم السريانية . فتعلمتها في سبعة عشر يوما "[1] ثم تعلم العبرانية في خمسة عشر يوما .[2]

١٥٦ — وصار يكتب لأبي بكر وعمر بعد وفاة النبي — صلى الله عليه وسلم — ولما استقر رأي كبار الصحابة في عهد أبي بكر على جمع القرآن وكتابته — لم يجدوا خيرا من زيد ، لما توافر فيه من شروط لم تجتمع في غيره : فقد كان من حفاظ القرآن ، ومن كتاب الوحي لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — وشهد العرضة الأخيرة للقرآن . وكان فوق ذلك معروفا بخصوبة عقله ، وشدة ورعه ، وعظم أمانته ، وكمال خُلقه ، واستقامة دينه . فقال له أبو بكر — رضي الله عنه — : " إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فتتبع القرآن فاجمعه "[3].[4]

١٥٧ — ولما ولي عثمان — رضي الله عنه — وخشي على المسلمين اختلافهم في القرآن . عهد أيضا إلى زيد بن ثابت بكتابته مع نفر من الصحابة .[5]

---

(١) انظر الاصابة جـ ٣ ص ٢٣ ، وتاريخ الخميس جـ ١ ص ٤٦٥ ، وتاريخ التشريع الإسلامي للخضري ص ١٣٠ ، وخلاصة تاريخ التشريع الإسلامي لخلاف ص ٢٩٤ .

(٢) انظر خلاصة تاريخ التشريع مع أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٢٩٤

(٣) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٥٣٨

(٤) انظر صحيح البخاري : باب جمع القرآن جـ ٦ ص ١٨٣ ، والاتقان جـ ١ ص ٥٧ . وورد بنحوه في مسند أحمد جـ ١ ص ١٧٨ رقم (٥٧) و ص ١٨٦ رقم (٧٦) ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري جـ ١ ص ٧ ، والبرهان للزركشي جـ ١ ص ٢٣٣ — ٢٣٥ ، والتبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن ص ٦٨ — ٧٠ .

(٥) انظر غاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ ص ٢٩٦ ، وطبقات القراء للذهبي جـ ٦ ص ٦٣١ .

١٥٨ ـ وقد بلغ زيد من العلم درجة كبيرة ، ولا غرو فقد كان كاتب الوحي ، يسمع الآيات وهي غضة تنزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى صار رأسا في القضاء ، والفتوى ، والقراءة ، والفرائض (١) ، وقد شهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بفضله وتقدمه على الصحابة في الفرائض حين قال لهم : " أفرض أمتي زيد بن ثابت " (٢)

وقد عرف له الصحابة الكرام هذا الفضل ، فكان عمر وعثمان يستخلفانه على المدينة في وقت الحج (٣) . وقال سليمان بن يسار : " ما كان عمر ولا عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحدا في القضاء ، والفتوى ، والفرائض ، والقراءة " . (٤)

١٥٩ ـ ولم يغب عن بال ابن عباس ـ مع جلالة قدره ، وسعة علمه ـ أن يستفيد من زيد ، وأن يجله ويحترمه . فقد أخذ مرة بركابه ، فنهاه زيد . فقال ابن عباس : " هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا " . فقال له زيد : " أرني يدك " فأخرج يده ، فأخذها وقبلها وقال : " هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا " (٥)

---

(١) انظر الاصابة جـ ٣ ص ٢٣

(٢) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٥٣٩ ، ورد بنحوه في طبقات القراء للذهبي جـ ٦ ص ٦٣١ والاصابة جـ ٣ ص ٢٣ ، وجاء في صفة الصفوة جـ ١ ص ٢٩٥ " ... وأعلمها ـ أي أمتي ـ بالفرائض زيد بن ثابت " ، وفي تاريخ التشريع لعبد الوهاب خلاف ص ٢٩٤ " أفرضكم زيد " .

(٣) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٥٣٨ ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٢٩ ، وتاريخ التشريع للمرحوم الخضري ص ١٢٠ ، ومختصر تاريخ التشريع لعبد الوهاب خلاف ص ٢٩٤ .

(٤) انظر تاريخ الاسلام للذهبي جـ ٢ ص ٢٢٥ ، ومختصر تاريخ التشريع لعبد الوهاب خلاف ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

(٥) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٢ ص ١٢٧ ، والاصابة لابن حجر جـ ٢ ص ٣٢٣ ، والأعلام للزركلي جـ ٣ ص ٩٥ .

١٦٠ — وكان ابن عباس كثير الملازمة لزيد . يأتيه فى بيته ، مع ماعرف عنه من علم وأدب وفضل ، ويقول : " العلم يؤتى ولا يأتي "(١) . وكان يجله كثيرا ويعتبره من الراسخين فى العلم . قال ابن عباس : " لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن زيد بن ثابت كان من الراسخين فى العلم ".(٢)

١٦١ — ولما توفى زيد بن ثابت تأثر البحر(٣) ابن عباس لهذا الحادث ، وتألم كثيرا ، واعتبر أن علما من أعلام الإسلام قد انطوى ، وركنا من أركان العلم قد هوى . فوقف على قبره وقال : " من سره أن يرى كيف يقبض العلم ، فهكذا يقبض(٤) !! .. " وكانت وفاته سنة خمس وأربعين من الهجرة — رضى الله عنه وأرضاه .(٥)

١٦٢ — هؤلاء هم أهم شيوخه الذين روى عنهم جل علمه ، وأخذ منهم أكثر ثقافته ، ودار فى جوهم ، وعاش فى دائرة معلوماتهم . إلا أن ابن عباس لم يقتصر — فى الرواية والأخذ — عليهم ، بل استفاد من أكثر الصحابة(٦) ، وقد تقدم معنا كيف كان يسأل عن الأمر الواحد

(١) انظر غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٢٩٦ ، وصفة الصفوة جـ ١ ص ٢٩٤ ، وشرح منظومة حرز الأماني ووجهة التهاني للشاطبي ص ١٠ ، والكلمات الحسان للشيخ محمد بخيت المطيعى ص ٥

(٢) انظر الاصابة جـ ٣ ص ٢٣ ط المطبعة الشرفيه (١٣٢٥هـ) ومختصر تاريخ التشريع لخلاف ص ٢٩٤ .

(٣) انظر تجريد أسماء الصحابة لعبد الله محمد الدهبي الدمشقي (مخطوط) : " عبدالله بن عباس كان يسمى البحر لكثرة علمه .. "

(٤) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٢ ص ٢٢٣

(٥) انظر طبقات القراء للذهبى جـ ٦ ص ١٣١

(٦) فقد روي عنه أنه وجد عامة علم أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عند الأنصار . انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر جـ ١ ص ٩٦ .

ثلاثين من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١) . وإذا أردنا استقصاء من أخذ ابن عباس عنهم ، لأدركنا العجز قبل الانتهاء منهم ، فقد كان ـ رضي الله عنه ـ كالنحلة التي تحوم حول كل زهرة ، لتجني بعد ذلك رحيقا شهيا طيب المذاق . وكان هذا ديدنه ، لا يقصر عنه ليلا ولا نهارا ، ولا يخشى بردا ولا حرا ، وحسبنا دليلا على كثرة شيوخه أن نذكر بعض من روى عنهم للتمثيل ، لا الحصر :

١٦٣ ـ لقد روى عن أسامة بن زيد ، وبريدة بن الحصيب الأسلمي ، وتميم الداري ، وحصين بن عوف الخثعمي ، وحمل بن مالك ابن النابغة الهذلي ، وابن خالته : خالد بن الوليد ، وذؤيب بن جلجلة بن عمر الخزاعي (٢) ، والد قبيصة بن ذؤيب ، وسعد بن عبادة ، والصعب بن خثامة ، وأبيه : العباس بن عبدالمطلب ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعمار بن ياسر ، وأخيه : الفضل بن العباس ، وكعب الأحبار ، ومعاذ بن جبل ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وأبي ذر الغفاري : جندب بن جنادة (٣) ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي سفيان ابن حرب ، وأبي طلحة الأنصاري (٤) ، وأبي هريرة ، وأبي بكر الصديق : عبدالله بن عثمان بن عامر (٥) ، وأسماء بنت أبي بكر الصديق ، ذات النطاقين (٦) ، ومن أمهات المؤمنين : جويرية بنت الحارث ، وسودة بنت

---

(١) انظر تاريخ الاسلام للذهبي جـ ٢ ص ٣٣

(٢) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٩٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٦٧

(٤) واسمه زيد بن سهل بن الأسود انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٩٥

(٥) عبد الله بن عثمان بن عامر هو ابن أبي بكر الصديق . انظر أسد الغابة جـ ٣ ص ٢٠٥ وتلقيح فهوم أهل الأثر ص ٤٩

(٦) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٦٠ .

زمعة ، وعائشة بنت أبي بكر ، وخالته : ميمونة بنت الحارث ، وأم سلمة: هند بنت أبي أمية (١) ، زوجات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأمه أم الفضل : لبابة بنت الحارث ، وأم هاني : فاختة بنت أبي طالب (٢) ، وغيرهم (٣).

١٦٤ - وإنا لنرى البحر ابن عباس قد جمع من العلوم الشيء الكثير ، أما بالنسبة للقرآن وعلومه ، وأوجه قراءته - فقد بلغ مرتبة الأستاذية ، وزاول مهمة تعليم القرآن في عهد عمر - رضي الله عنه - قال ابن عباس : " كنت أقرئ عبدالرحمن بن عوف في خلافة عمر ابن الخطاب ..." (٤).

١٦٥ - وما إن توفي عثمان حتى كان على رأس المفتين بالمدينة والذين صارت إليهم الفتوى بالمدينة آنذاك خمسة : ابن عباس وابن عمر ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري ، وجابر (٥) . فكان ابن عباس

---

(١) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٧٥ ، ١٧٧ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٧٢ ، ١٧٩

(٣) انظر تهذيب الكمال للمزي المجلد الخامس (مخطوط) ، وتهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٧٦

(٤) انظر مخطوط ابن عساكر ، ومقدمة كتاب المباني لنظم المعاني ص ٥٧ ، وانظر هذا التواضع العلمي العظيم عند عبدالرحمن ابن عوف الذي يجلس إلى غلام لم يتجاوز سن المراهقة ، ليعلمه القرآن .

(٥) انظر طبقات القراء للذهبي جـ ٦ ص ٦٣٤ . وجابر : هو جابر بن عبد الله الأنصاري الفقيه ، مفتي المدينة في زمانه . انظر تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٤٠

يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أشياء له من الصحابة (١) وفتي ، ولم يُرو عن أحد من الصحابة في الفتوى أكثر منه " (٢) قال أبو محمد بن حزم : " وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون فتيا عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - في عشرين كتابا " (٣).

١٦٦ - وكانت طريقته في الفتيا حين يُسأل عن الأمر : إن كان في القرآن أخبر به ، وإن لم يكن في القرآن ، وكان عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبر به . وإن لم يكن في القرآن ، ولا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به . فإن لم يكن في شيء من ذلك ، اجتهد رأيه . (٤)

وهكذا كان منهج ابن عباس ، لا يحيد عما أثر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والأعلام من صحابته ، ولا يتخلى عن الرأي عندما يفوته ذلك . فهو قد جمع في منهجه - كما سنرى ذلك مفصلا - بين مدرستي العقل والنقل .

١٦٧ - وقد غدا ابن عباس محط أنظار الناس ، يقصدونه من كل حدب وصوب ، لمختلف العلوم . فهؤلاء يأتونه للشعر ، وأولئك

---

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٧٢

(٢) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي جـ ١ ص ٤٤ .

(٣) انظر اعلام الموقعين لابن القيم جـ ١ ص ١٢

(٤) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٦ ، والإصابة جـ ٢ ص ٣٢٥ ، وفتاوى ابن تيمية . وروى ابن عبدالبر في كتابه جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٢٦ عن ابن عباس قال : " إنما هو كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمن قال بعد ذلك شيئا فما أدري أفي حسناته يجده أم في سيئاته " .

للأنساب ، وآخرون لأيام العرب ووقائعها ، فما منهم من صنف إلا يقبل عليهم بما جاء . (١)

١٦٨ — وإذا أردنا أن نعرف ابن عباس على حقيقته ، فلنأت أبا صالح ليحدثنا فيقول : " لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا . لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق ، فما أحد يقدر على أن يجيء ، ولا أن يذهب قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه ، فقال لي : ضع لي وضوءا . قال : فتوضأ وجلس وقال : اخرج فقل لهم من كان يريد أن يسأل عن القرآن ، وحروفه ، وما أراد منه ، فليدخل . قال : فخرجت فأذنتهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة . فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به ، وزادهم مثل ما سألوا عنه ، أو أكثر . ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا . ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن ، وتأويله ، فليدخل . قال : فخرجت فأذنتهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به ، وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر . ثم قال : إخوانكم . فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام ، والفقه ، فليدخل . فخرجت فقلت لهم . قال : فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة . فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به ، وزادهم مثله . ثم قال : إخوانكم . فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها ، فليدخل . قال : فخرجت فأذنتهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به ، وزادهم مثله .

---

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٧

ثم قال : إخوانكم فخرجوا . ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن العربية ، والشعر والغريب من الكلام ، فليدخل . قال : فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة . فما سألوه عن شئ إلا أخبرهم به ، وزادهم مثله . " وعقب أبو صالح على هذا فقال : " لو أن قريشا فخرت بذلك لكان فخرا . فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس "(١) .

١٦٩ — ولم تمنعه الأمارة عن بث العلم ، والاشتغال به . بل أبى عليه طبعه إلا أن يكون أميرا فى العلم ينشره ، كما كان أميرا فى الحكم . فقد كان يغشى الناس فى رمضان ، وهو أمير على البصرة ، فما ينقضى الشهر حتى يفقههم(٢) . وربما قرأ عليهم سورة البقرة ، ففسرها آية ، آية ، حتى يوجههم إلى الخير ، ويوضح لهم الحق(٣) .

١٧٠ — وإنا لنرى من كل ما مضى أدلة كثيرة على غزارة علمه ، وتعدد مواهبه ، واتساع أفقه ، وفصاحة بيانه ، وقوة جنانه . أوتي — رضي الله عنه — علم العربية ، وأوتي علم الكتاب ، ففقه معانيه ، وطلب أسراره ومراميه .. وأوتي علم الحديث ، فروى له :

---

(١) انظر حلية الأولياء جـ ١ ص ٣٢٠ — ٣٢١ ، وصفة الصفوة جـ ١ ص ٣١٦ .

(٢) انظر الاصابة جـ ٢ ص ٣٢٥ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٧ .

ألف وستمائة وستون حديثا .. (١)

لقد آتاه الله حظا من المواهب يجمله في الذروة من قيادة الفكر والرأي ، فقد كان قوي المدارك ، حاضر البديهة ، تتشاكل عليه المعاني انثيالا في وقت الحاجة إليها . لم تكن به جمودة فكرية ، ولم يكن ممن تغلق عليه الأمور . بل كان يلقي على ما يدرس ضوءا من تفكيره ، فتتفتح بين يديه الحقائق ، ويستقيم أمامه منطقها فيسلك به مسالكها . وكان عميق الفكرة بعيد الغوص ، لا يكتفي من الأمور بدراسة ظاهرها ، بل يذهب بها إلى أعمق أغوارها . كان بعيد المدى في الفهم ، لا يقف عند حد حتى يصل إلى الحق كاملا فيما يراه .

---

(١) انظر أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد (مخطوط) لابن حزم الأندلسي ـ دار الكتب المصرية . مصطلح (٢٥٤) ـ وانظر أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد (مخطوط) لمحمد بن خلف ـ دار الكتب المصرية . مجاميع (٢١ ب) ـ وتجريد أسماء الصحابة (مخطوط) لعبد الله بن محمد الذهبي الدمشقي . وانظر ما أخرج له في الصحيحين ، في كتاب تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي حيث يقول في ص ٢٠١ : " أخرج له في الصحيحين مائتي حديث وأربعة وثلاثون حديثا ، المتفق عليه منها : خمسة وسبعون . وانفرد البخاري بمائة وعشرة ، ومسلم بتسعة وأربعين " . ومجموع ما أخرج لابن عباس في صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه ، وموطأ مالك : ثمانمائة وستة وعشرون حديثا ، انظر في ذلك ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث للشيخ عبد الغني النابلسي جـ ١ ص ٣٠٢ ـ ٣١٣ ، وأول الجزء الثاني .

الباب الثاني

مدرسة

ابن عباس في التفسير

الفصل الأول

* فهم الرسول والصحابة للقرآن !
* مصادر التفسير في عصر الصحابة !
* الذين اشتهروا به !
* نماذج مما ثبت من التفسير في ذلك العهد .

١٧١ — نزل القرآن الكريم على نبي أمي ، وقوم أميين ، ليس لهم إلا ألسنتهم وقلوبهم " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته .. الآية "(١) . وكانت لهم فنون من القول يذهبون فيها مذاهبهم ، ويتواردون عليها ، وكانت هذه الفنون لاتكاد تتجاوز ضربا من الوصف ، وأنواعا من الحكم ، وطائفة من الأخبار والأنساب . وكان كلامهم مشتملا على الحقيقة والمجاز ، والتصريح والكناية ، والايجاز والاطناب .

١٧٢ — وجريا على سنة الله في إرسال الرسل ، نزل القرآن على النبي بلغة قومه ، وعلى أساليبهم في كلامهم " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم "(٢) فجاء على نمط العرب في كلامهم ، غير أن القرآن يعلو على غيره من الكلام العربي ، بمعانيه الرائعة التي افتن بها في غير مذاهبهم ، ونزع منها إلى غير فنونهم ، تحقيقا لاعجازه ، ولكونه من لدن حكيم عليم .

١٧٣ — وكان طبيعيا أن يفهم النبي — صلى الله عليه وسلم — القرآن جملة وتفصيلا ، بعد أن تكفل الله تعالى بحفظه وبيانه " إن علينا جمعه وقرآنه * فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه "(٣) . كما كان طبيعيا أن يفهم أصحاب النبي — صلى الله عليه وسلم — القرآن في جملته ، — أي بالنسبة لظاهره وأحكامه — أما فهمه تفصيلا ومعرفة دقائق باطنه ، بحيث لاتغيب عنهم شاردة ولا واردة — فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن بل لابد

---

(١) سورة الجمعة ، الآية : ٢

(٢) سورة ابراهيم ، الآية ٤

(٣) سورة القيامة ، الآيات : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

لهم من البحث والنظر ، والرجوع إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فيما يشكل عليهم فهمه ، وذلك لأن القرآن فيه المجمل والمشكل ، والمتشابه والمحكم ، وغير ذلك مما لابد في معرفته من أمور أخرى يرجع إليها .

١٧٤ — ولقد كان الصحابة — رضي الله عنهم — يتفاوتون في فهمهم لمعاني القرآن ، فيشكل على بعضهم مايظهر لبعضهم الآخر ، ويرجع هذا إلى القوة العقلية لدى كل منهم ، فهي تختلف من شخص إلى شخص ، وإلى درجة وقوف كل منهم على ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات ، ومعرفته للمعاني التي وضعت لها المفردات ، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة ، ولا ضير في هذا ، فان اللغة لايحيط بها إلا معصوم ، ولا يدّعي أحد أن كل فرد في أمة يعرف جميع ألفاظ لغتها .

١٧٥ — ومما يشهد لذلك ماروي أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر : " وفاكهة وأبّا " فقال : هذه الفاكهة ، قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا لهو التكلف ياعمر ! (١) وقرأ على المنبر يوما : " أو يأخذهم على تخوف " (٢) . ثم سأل عن معنى التخوف فقام إليه رجل من هذيل فقال : التخوف عندنا : التنقص ثم أنشده :

تخوف الرحل منها تامكا قردا ... كما تخوف عود النبعة السفن (٣)

---

(١) انظر الاتقان جـ ٢ ص ١١٣

(٢) سورة النحل ، الآية : ٤٧

(٣) انظر الموافقات للشاطبي جـ ٢ ص ٨٧ — ٨٨ . والتامك : السنام ، والقرد : الذي تجعّد شعره لكأن كأنه وقاية للسنام ، والنبع : شجر للقسي والسهام ، والسفن : كل ماينحت

وقال ترجمان القرآن ابن عباس : " كنت لا أدرى مافاطر السماوات ، حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها . يقول : أنا ابتدأتها ".(١)

١٧٦ ـ فاذا كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى الأبّ ، ومعنى التخوف ، ويسأل عنهما غيره ، وابن عباس ـ ترجمان القرآن ـ لايظهر له معنى فاطر ، إلا بعد سماعها من الأعرابي ، فكيف شأن غيرهما من الصحابة ؟! هذا عدي بن حاتم لايفهم معنى قوله تعالى : " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر "(٢) . فيأخذ عقالا أبيض وعقالا أسود ، فما إن يمضي بعض الليل حتى ينظر إليهما فلا يستبينهما . وفي الصباح يخبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشأنه ، ليعرف بقلة فهمه وفهمه المراد(٣) !

---

(١) انظر الاتقان جـ ٢ ص ١١٣

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٧

(٣) أخرج البخاري في صحيحه جـ ٦ ص ٢٦ عن الشعبي ـ قال : أخذ عدي عقالا أبيض وعقالا أسود حتى كان بعض الليل ، نظر فلم يستبينا ، فلما أصبح قال : يارسول الله ، جعلت تحت وسادتي عقالين . قال : إن وسادك إذاً لعريض أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك . وأخرج البخاري أيضا من طريق أخرى عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت يارسول الله ، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود ؟ أهما الخيطان ؟ ! قال : إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين ، ثم قال : لا ، بل هو سواد الليل وبياض النهار . وانظر فتح الباري جـ ٨ ص ١٢٧ ، وتفسير الألوسي جـ ١ ص ٥٤ .

١٧٧ - والحق أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن ، وبيان معانيه المرادة منه ، بسبب اختلافهم في أدوات الفهم ، وتبعا لما ناله كل منهم من شرف ملازمته للنبي - صلى الله عليه وسلم - ومعرفته بقدر من أسباب النزول ، لا يعرفه غيره . ولهذا قال مسروق : " جالست أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فوجدتهم كالإخاذ - يعني الغدير - فالإخاذ يروي الرجل ، والإخاذ يروي الرجلين ، والإخاذ يروي العشرة ، والإخاذ يروي المائة ، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم "(١)

١٧٨ - وإذا أردنا أن نرسم بأذهاننا صورة متكاملة عن تفاضل الصحابة في فهم ، وتفسير كتاب الله ، فلا بد لنا من أن نبحث عن الخطة التي يتبعها الصحابة ، والمصادر التي يرجعون إليها لفهم كتاب الله وتفسيره .

لقد كان الصحابة يعتمدون على ثلاثة مصادر في تفسيرهم للقرآن الكريم :

١٧٩ - أولها : القرآن الكريم : إن الناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل على كلام فيه من الإيجاز والإطناب ، ومن الإجمال والتفصيل ، ومن الاطلاق والتقييد ، ومن العموم والخصوص . وما أوجز في مكان قد يبسط في مكان آخر ، وما أجمل في موضع قد يفصّل في موضع آخر ، وجاء مطلقا في سورة قد يلحقه التقييد في سورة أخرى ، وكان عاما في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى (٢) . ولهذا كان

---

(١) انظر أعلام الموقعين لابن القيم جـ ١ ص ١٦ ، وتاريخ الفقه الإسلامي لكلية الشريعة بالجامعة الأزهرية للسايس ص ٣٩

(٢) انظر المقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٥ ، والإتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ١٧٥ .

لا بد لمن يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر فى القرآن أولا ، فيجمع ما تكرر منه فى موضوع واحد ، ويقابل الآيات بعضها ببعض ، ليستعين بما جاء مبسطا على معرفة ما جاء موجزا ، وبما جاء مفصلا على ما جاء مجملا ، وليحمل المطلق على المقيد ، والعام على الخاص ، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن ، وفهم مراد الله تعالى بما جاء عن الله . وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها ، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى ، لأن صاحب الكلام أدرى بمعانى كلامه ، وأعرف به من غيره .

١٨٠ ـ وإذا عقل المرء عن بعضه لم يسلم استنباطه من الزلل ، وتعرض تفسيره للفساد ، فلا يفهم ـ مثلا ـ أن يفسر قوله تعالى : " لا تدركه الأبصار "(١) مع الغفلة عن قوله ـ سبحانه ـ : " وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة "(٢) . ولا يجوز أن يفسر آية التيمم ويغفل عن القيد بالمرافق الذي جاء قبلها فى آية الوضوء : " يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ، وأيديكم إلى المرافق "(٣) .

١٨١ ـ ومن تفسير القرآن بالقرآن حمل بعض القراءات على بعضها الآخر(٤) ، فإن بعض القراءات يبين ما هو مجمل فى القراءة الأخرى ، كقراءة : " يطهرن " بالتشديد فى قوله تعالى : " ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن "(٥) ، تبين المعنى بقراءة التخفيف ، وقراءة :

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣

(٢) سورة القيامة ، الآية : ٢٢ ، ٢٣ ، وانظر الاتقان جـ ٢ ص ١٩

(٣) الأنعام : ٦ ، وانظر سلم الثبوت وشرحه لمحب الله عبد الشكور جـ ١ ص ٣٦١ .

(٤) انظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى جـ ١ ص ٥٢ ـ ٥٣

(٥) البقرة : ٢٢٢ .

" فامضوا إلى ذكر الله " تبين أن المراد بقراءة : " فاسعوا " في قوله سبحانه : " يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع .. الآية "(١) ، هو الذهاب لا المشي السريع

وقراءة ابن مسعود : " فاقطعوا أيمانهما " تحدد المراد بقراءة : " فاقطعوا أيديهما "(٢) وهكذا ...

ومما يدل على أن القراءات موجز هام من مراجع تفسير القرآن بالقرآن ، قول مجاهد : " لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ، ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه ".(٣)

١٨٢ - هذا بيان موجز لتفسير القرآن بالقرآن ، وما يحتاج إليه من النظر والتدبر والتعقل ، وهو المصدر الأول من ثلاثة مصادر كان الصحابة يعتمدون عليها في تفسيرهم للقرآن .

١٨٣ - أما المصدر الثاني فهو : النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث كان الصحابة إذا أشكلت على أحدهم آية من كتاب الله ، رجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تفسيرها ، فيبين له ما خفي عليه من معناها ، لأن من مهامه - صلى الله عليه وسلم - البيان ، كما أخبر الله بذلك في كتابه حيث قال : " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون "(٤)

---

(١) سورة الجمعة ، الآية : ٩

(٢) انظر الاتقان جـ ١ ص ٨٢

(٣) ارجع إلى : نظرة عامة لتاريخ التشريع الاسلامي لملي حسن عبدالقادر ص ١٦٣

(٤) سورة النحل ، الآية : ٤٤

والأمثلة على أخذ الصحابة عن النبي — صلى الله عليه وسلم — تفسير القرآن كثيرة ، منها : قوله تعالى : " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين "(١) ، فالقنوت : يطلق على الذكر وعلى الطاعة ، وعلى الخشوع . وهذا كله لا يناني الكلام ، غير أن السنة بينت أن من معاني القنوت : السكوت ، وترك الكلام في الصلاة ، فقد روي عن ابن مسعود أنه قال : " أتيت النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو يصلي ، فسلمت عليه ، فلم يرد علي ، فلما قضى الصلاة قال : إنه لم يمنعني أن أرد عليك السلام إلا أنا أمرنا أن نقوم لله قانتين ، لا نتكلم في الصلاة "(٢) . وعن زيد بن أرقم أنه قال : " كنا نتكلم في الصلاة ، يكلم أحدنا أخاه في حاجته ، حتى نزلت : " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ، وقوموا لله قانتين "(٣) ، فأمرنا بالسكوت "(٤) . وروي عن رجل من الصحابة أنه قال : " يارسول الله ، أرأيت قول الله : " الطلاق مرتان "(٥) ، فأين الثالثة ؟ قال : " أو تسريح باحسان " . وغير ذلك كثير مما ملئت به بطون كتب الحديث .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٨

(٢) انظر مسند أحمد الأحاديث رقم : (٣٥٦٣ و ٣٥٧٥ و ٣٨٨٤ و ٣٨٣٥) وانظر البحث في أصول التشريع الإسلامي للأستاذ علي حسب الله ص ٣٤ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٨

(٤) انظر صحيح البخاري جـ ٦ ص ٣٠ ، والموافقات جـ ٣ ص ٢٤٨ ، وأصول التشريع الإسلامي : للأستاذ علي حسب الله ص : ٣٤ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٩ ، وانظر الإتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ١٩ .

١٨٤ ـ المصدر الثالث ـ الاجتهاد : وقد كان يلجأ إليه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في المرحلة الأخيرة ، عندما يعييهم أن يجدوا التفسير في كتاب الله ، ولا يتيسر لهم أخذه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنهم يجتهدون ويعملون عقولهم !

١٨٥ ـ وأدوات الاجتهاد في التفسير عندهم أربعة :

أولاها ـ معرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها : فإن ذلك يعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب ، أما ترى عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول لأصحابه : " عليكم بديوانكم لا تضلوا . قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم " .(١)

١٨٦ ـ والثانية ـ معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ، ومجاري أحوالها في عصر التنزيل(٢) : فإن ذلك مما يعين على فهم القرآن ، ويُبعد من الوقوع في الشبه . فمن عرف من عادات العرب أن خزاعة منهم عبدت الشعرى ، ولم يعبد العرب كوكبا سواها ـ فهم سر تخصيصها بالذكر في قوله تعالى : " وأنه هو رب الشعرى "(٣) . ومن علم أنهم كانوا يتخذون آلهة في الأرض ، من جمادها أو حيوانها ـ عرف سبب ذكر الجهة حيث لا جهة في قوله تعالى : " أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور "(٤) .

---

(١) انظر الموافقات للشاطبي جـ ٢ ص ٨٨

(٢) انظر المرجع السابق جـ ٣ ص ٣٥١

(٣) النجم : ٤٩ ، وانظر الموافقات جـ ٣ ص ٣٥٢ ، وأصول التشريع الإسلامي ص ٣٦ .

(٤) الملك : ١٦ . وانظر الموافقات للشاطبي جـ ٣ ص ٣٥١ ، وأصول التشريع الإسلامي للأستاذ علي حسب الله ص ٣٦ .

١٨٧ ـ والثالثة : معرفة أسباب النزول (١) ، وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات ، فإنها قرائن تعين على الفهم . قال الواحدي : " لايمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها ، وبيان نزولها " (٢) ، وقال ابن دقيق العيد : " بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معاني القرآن " (٣) . ولا أدل على اعتبار الصحابة لأسباب النزول من قول عبدالله ابن مسعود : " والذي لا إله غيره ماأنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت . ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني ، تناله المطايا لأتيته " (٤) . وانظر إن شئت إلى جواب ابن عباس عندما سأله عمر عن سر اختلاف الأمة ، فقال له : " كيف تختلف هذه الأمة ، ونبيها واحد ، وقبلتها واحدة ؟ " فقال ابن عباس : " يا أمير المؤمنين ، إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه ، وعلمنا فيم نزل ، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ، ولا يدرون فيم نزل ، فيكون لهم فيه رأي ، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا ، فإذا اختلفوا اقتتلوا " (٥) .

---

(١) انظر الموافقات جـ ٣ ص ٣٤٧

(٢) انظر الإتقان جـ ١ ص ١٩

(٣) انظر المرجع السابق جـ ١ ص ١٩ ، ومنهج الفرقان لمحمد أبي سلامه جـ ١ ص ٣٦

(٤) انظر المقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٥ ـ ٢٦ ، والاتقان جـ ٢ ص ١٨٧ .

(٥) انظر الموافقات للشاطبي جـ ٣ ص : ٣٤٨ ، وأصول التفسير الإسلامي : للأستاذ علي حسب الله : ص : ٣٥ .

١٨٨ — والرابعة — قوة الفهم وسعة الادراك : وهذا فضل الله ، يؤتيه من يشاء من عباده . وكثير من آيات القرآن الكريم يدق معناها ، ويخفى المراد منها ، ولا يظهر إلا لمن أوتي حظا من الفهم ، ونور البصيرة . ولقد كان ابن عباس صاحب النصيب الأكبر ، والحظ الأوفر من ذلك ، ببركة دعاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — له ، حيث قال : " اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل " . وقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى أبي جحيفة أنه قال : " قلت لعلي — رضي الله عنه — هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا ، والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ما أعلمه ، إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن ، وما في هذه الصحيفة . قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل (١) ، وفكاك الأسير ، وألا يقتل مسلم بكافر " . (٢)

هذه هي أدوات الفهم والاستنباط التي كان الصحابة يستعينون بها على فهم كثير من آيات القرآن ، وتفسيرها ، وهذا هو مبلغ أثرها في الكشف عن غوامض كتاب الله وأسراره .

١٨٩ — وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الراشدون الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد

---

(١) عقلت القتيل عقلا : أديت ديته . قال الأصمعي : سميت الدية عقلا ، تسمية بالمصدر ، لأن الإبل كانت تعقل بفناء ولي القتيل ، ثم كثر الاستعمال حتى أطلق على الدية ، إبلا كانت أو نقدا . (المصباح المنير) .

(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ج ٤ ص ٦٩ .

ابن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنهم أجمعين . (١)

١٩٠ ـ وكان معظم ماروي عن الخلفاء الراشدين في التفسير ، هو ماروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ والسبب في ذلك يرجع إلى بعده عن مهام الخلافة ، إلى نهاية خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ وتأخر وفاته إلى زمن كثرت فيه حاجة الناس إلى من يفسر لهم ماخفي عنهم من معاني القرآن ، واتسعت فيه رقعة الإسلام ، بدخول كثير من الأعاجم في دين الله ، مما كاد يذهب بخصائص اللغة العربية .

١٩١ ـ وكذلك كثرت الرواية في التفسير عن عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، لحاجة الناس إليهم ، ولصفات عامة ، مكنت لهم ولعلي بن أبي طالب أيضا في التفسير . هذه الصفات هي : توسعهم في اللغة العربية ، وإحاطتهم بأسرار أساليبها ، وعدم تحرجهم من الاجتهاد ، وتقريرما وصلوا إليه باجتهادهم ، ومخالطتهم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ باستثناء ابن عباس ، مخالطة مكنتهم من معرفة الحوادث التي نزلت فيها آيات القرآن ، أما ابن عباس ، فإنه لم يلازم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شبابه ، لوفاة النبي وهو في سن الثالثة عشرة أو مايقاربها ، فاستعاض عن ذلك بملازمة كبار الصحابة ، يأخذ عنهم ويروي لهم . (٢)

١٩٢ ـ وليتضح لنا المنهج الذي كان عليه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في تفسيرهم للقرآن ، لابد من استعراض بعض النماذج التي صحت من تفسيرهم لبعض آيات القرآن الكريم ، بعد أن نعرض شيئا مما صح

---

(١) انظر الاتقان جـ ٢ ص ١٨٧

(٢) انظر المرجع السابق جـ ٢ ص ١٨٧

في التفسير عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعلى ضوء ذلك ، ونتلمس يمكننا أن نعيش فترة يسيرة في جوّ الصحابة - رضي الله عنهم - طريقهم في تفسيرهم لكتاب الله - عزوجل - والمنهل الذي نهلوا منه :

١٩٣ - الرسول - صلى الله عليه وسلم - يلفت نظر الصحابة لتفسير القرآن بالقرآن ، فيقول : " مفاتح الغيب خمس : إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليم خبير "(١) ، وعن عبدالله بن مسعود قال : " لما نزلت هذه الآية : " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم " ، شق ذلك على الناس ، وقالوا : يارسول الله ، فأينا لايظلم نفسه ؟ قال : إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ماقال العبد الصالح : (يابني لاتشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم) ؟ إنما هو الشرك "(٢)

١٩٤ - والرسول - صلى الله عليه وسلم - يعلم الصحابة استنباط الأحكام من القرآن ، وذلك فيما يرويه عنه ابن عباس فيقول : " ماتت شاة لسودة بنت زمعة ، فقالت : يارسول الله ، ماتت فلانة - تعني الشاة - فقال : فلولا أخذتم مسكها ! ، فقالت : نأخذ مسك شاة قد ماتت ؟ فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) لقمان : ٣٤ ، وانظر البخاري جـ ٥ ص ١٩٣ ، باب وعنده مفاتح الغيب .. من كتاب التفسير .

(٢) انظر المسند لأحمد بن حنبل جـ ٥ ص ٢٠٧ رقم (٣٥٨٩) وقد نقله عنه ابن كثير في تفسيره جـ ٣ ص ٣٥١ ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور جـ ٣ ص ٢٦ - ٢٧ للبخاري ومسلم والترمذي وابن جرير وغيرهم .

إنما قال الله ـ عزوجل ـ : " قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا ، أو لحم خنزير "(١) ، فإنكم لا تطعمونه ، إن تدبغوه فتنتفعوا به ، فأرسلت إليها فسلخت مسكها فدبغته ، فاتخذت منه قربة ، حتى قطرت عندها ".(٢)

١٩٥ ـ كذلك يشرح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للصحابة بعض الأمور الغيبية ، حيث يبين لهم رؤيته لجبريل فيما يرويه ابن مسعود فيقول : " في هذه الآية : " ولقد رآه نزلة أخرى "(٣) قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : رأيت جبريل عند سدرة المنتهى ، عليه ستمائة جناح ، ينثر من ريشه التهاويل : الدر والياقوت "(٤) . ويبين لهم وضع بني إسرائيل ، وظلمهم ، بتبديلهم قولا غير الذي قيل لهم فيقول : " قيل لبني إسرائيل : (ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة)(٥) ، فدخلوا يزحفون على أستاههم ، فبدلوا وقالوا : حبة في شعرة "(٦) .

١٩٦ ـ وما يلفت النظر استعماله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسائل الإيضاح في سبيل الله ، وسبل الضلالة ، وذلك طريق من طرقه التربوية الكثيرة . روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : " خط لنا رسول الله ـ صلى

---

(١) الأنعام : ١٤٥

(٢) انظر مسند أحمد جـ : ٥ ص ١٣ ، وهو في تفسير ابن كثير جـ : ٣ ـ ص ٤١٥ ـ ٤١٦ عن هذا الموضع ، وكذلك في الفتح جـ ٩ ص ٥٩٦ .

(٣) النجم : ١٣ .

(٤) انظر مسند الامام أحمد بن حنبل جـ ٦ ص ٩ وذكره ابن كثير في تفسيره جـ ٨ ص ١٠٣ عن المسند من رواية أحمد عن حسن بن موسى عن حماد بن سلمه بنحوه ، وقال : " وهذا اسناد جيد قوي " .

(٥) البقرة : ٥٨

(٦) انظر البخاري جـ ٥ ص ١٤٨ باب وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم ... وورد ص ١٩٧ باسناد آخر .

الله عليه وسلم ـ خطا ، ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله ، ثم قال : هذه سبل متفرقة ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : (ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) "(١) .

١٩٧ ـ والنماذج مما روي عن الصحابة في التفسير كثيرة . منها ما روى عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : " ما كذب الفؤاد ما رأى "(٢) قال : " رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل في حلة من رفرف ، وقد ملأ ما بين السماء والأرض "(٣) .

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : " لما أسري برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهي في السماء السادسة ، وإليها ينتهي ما يصعد به من الأرض " . وقال مرة : " وما يعرج به من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها ، فيقبض منها ، (إذ يغشى السدرة ما يغشى)(٤) قال : فراش من ذهب ، قال : فأعطي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاث خلال : الصلوات الخمس ، وخواتيم سورة البقرة ، وغفر(٥) لمن لا يشرك بالله ـ عز وجل ـ من أمته المقحمات (٦) .

---

(١) الانعام : ٥٣ وانظر مسند الامام أحمد بن حنبل جـ ١ ص ٨٩ ، ورواه الحاكم في المستدرك جـ ٢ ص ٣١٨ من طريق أبي بكر بن عياش ، ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن عاصم ، به ، وقال : " هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه " . (٢) النجم : ١١

(٣) انظر مسند أحمد جـ ١ ص ٢٧٩ ، ورواه الترمذي وقال : " حديث حسن صحيح " والرفرف : ما كان من الديباج وغيره رقيقا حسن الصنعة .

(٤) النجم : ١٦ .

(٥) هكذا ورد في الأصل : وغفر لمن لا يشرك بالله ... وهو خطأ ، لأن الفعل " غفر " لا يصح عطفه على ما أعطيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصواب : والمغفرة لمن ... (٦) انظر مسند الامام أحمد جـ ١ ص ٤٥ .

وروى الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله أنه قال في هذه الآية : (اقتربت الساعة وانشق القمر)(١) قال : " قد انشق على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرقتين ، أو فلقتين ـ الشك من شعبة ـ فكان فلقة من وراء الجبل وفلقة على الجبل ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اللهم اشهد "(٢)

١٩٨ ـ وروى الإمام أحمد في مسنده بسنده إلى أبي بكر الصديق أنه قام فحمد الله وأثنى عليه فقال : " يا أيها الناس ، إنكم تقرأون هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم .. إلى آخر الآية) ، وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه ، أوشك أن يعمهم الله بعقابه " . قال قيس ـ هو ابن أبي حازم ، راوي الحديث ـ وسمعت أبا بكر يقول : " يا أيها الناس إياكم والكذب ، فإن الكذب مجانب للإيمان "(٣) .

وروى البخاري في صحيحه قال : حدثنا اسحق ، قال : حدثنا النضر ، قال : حدثنا شعبة عن سليمان ، قال : سمعت أبا وائل ، عن حذيفة : " (وأنفقوا في سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)(٤) قال : نزلت في النفقة "(٥) .

---

(١) القمر : ١ .

(٢) انظر المسند جـ ٦ ص ١٣٥ ، وقد ورد فيه : ـ شعبة الذي يشك ـ ، والأصوب : ـ الشك من شعبة ـ .

(٣) انظر المسند جـ ١ ص ١٦٣ رقم (١٦) وإسناد الحديث صحيح .

(٤) البقرة : ١٩٥ . وتمام الآية : " وأنفقوا في سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين " .

(٥) انظر صحيح البخاري جـ ٥ ص ١٥٨ .

((الفصل الثاني))

* منهج ابن عباس في التفسير !
* هل له تفسير كامل مكتوب ؟

١٩٩ ـ لقد كان ابن عباس كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير ، يرجع في فهم معاني القرآن إلى القرآن أولا وإنا لنرى شاهد ذلك واضحا عندما يسأله مجاهد عن السجدة التي في سورة ص ، فيجيبه ترجمان القرآن : " أتقرأ هذه الآية : (ومن ذريته داود وسليمان)(١) ، وفي آخرها : (فبهداهم اقتده)(٢) ؟ " ثم أتبع يقول : " أمر نبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقتدى بداود "(٣) .

٢٠٠ ـ فإذا لم يجد في القرآن ما يفسر به القرآن ، رجع إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثانيا : فيأخذ عنه تفسيره وبيانه للقرآن . وشواهد ذلك مستفيضة في كتب الحديث والتفسير بما يغني عن البيان .

٢٠١ ـ ولا ننسى في هذا المضمار أن ابن عباس كان إذا فاته سماع شيء من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بيان القرآن ، لصغر سنه ، وقصر مدة ملازمته له ، فإنه يعوض ما فاته بتلقيه عن الأكابر من صحابته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويهدي ابن عباس في الأخذ عن الصحابة تثبتا منقطع النظير ، فيقول عن نفسه : " إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ "(٤) .

---

(١) الأنعام : ٨٤ .

(٢) الأنعام : ٩٠ .

(٣) انظر المسند للامام أحمد جـ : ٥ ص ١٣١ رقم الحديث (٣٣٨٨) . ونقله ابن كثير في تفسيره جـ : ٧ ص ١٩٤ عن البخاري من طريق محمد ابن عبيد الطنافيسي ، عن العوام ، ونقله أيضا في جـ : ٣ ص ٣٥٧ عن البخاري من طريق سليمان الأحول عن مجاهد بمعناه .

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي جـ : ٣ ص ٣٣ .

٢٠٢ ـ وإذا ما فاته الأخذ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته الكرام ، فإنه يلجأ أخيرا ـ إلى إعمال عقله والاجتهاد برأيه ، وهنا يظهر تفوقه ونبوغه ، ويكاد يتميز منهجه عن منهج غيره من الصحابة .

٢٠٣ ـ لقد رأينا أن أدوات الاجتهاد عند الصحابة أربعة :

ـ معرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها .

ـ معرفة عادات العرب في أقوالها ، وأفعالها ، ومجاري أحوالها في عصر التنزيل .

ـ معرفة أسباب النزول ، وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات تعين على الفهم .

ـ قوة الفهم ، وسعة الإدراك .

٢٠٤ ـ وابن عباس لم يكن ليقول في كتاب الله برأيه دون علم ولا قواعد في اجتهاده ، إنما كان كغيره من الصحابة ، يعتمد على هذه الأدوات نفسها ويركن إليها عندما يجتهد في كتاب الله ، لكنه يسبق فيها على غيره كما تسبق النخلة السحوق على الودي الصغار .

٢٠٥ ـ أما عن قوة الفهم وسعة الإدراك : فلا تسل عن صاحبنا وعلو كعبه في هذا المضمار ، مما كان نتيجة لمواهبه الفطرية وذكائه المتكامل ، وبركة كثرة دعاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ له (١) ، وعناية به ، بعد توصية جبريل الأمين ـ عليه السلام ـ به (٢) .

---

(١) انظر الاستيعاب جـ : ٢ ص ٣٤٤ ، وتاريخ بغداد جـ : ١ ص ١٧٣ وتذكرة الحفاظ جـ : ١ ص ٤٠ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر جـ : ٥ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ ، والاتقان جـ : ٢ ص ١٨٨ ، وغيرها .

(٢) انظر تهذيب التهذيب جـ : ٥ ص ٢٧٩ ، والإتقان جـ : ٢ ص ١٨٨ .

٢٠٦ - ويكفينا لنعلم مدى اطلاع ابن عباس على أسباب النزول ، أن نعرف أنه قد عرف - أو كاد يعرف - من ذلك ما عند الصحابة جميعا ، ومن البديهي أن ما يعرفه من أسباب النزول واحد منهم ، ليس بلازم أن يعرفه الآخر ، فكان - رضى الله عنه - كالنحلة التي تطير من زهرة إلى زهرة ، لتمدنا بمد ذلك عسلا طيب المذاق ، وقد ألمحنا من قبل إلى جلده ودأبه في أخذه عن أوعيه العلم من الصحابة ، وكيف سافر مع عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - السفر الطويل ، وقام على خدمته ، ليعرف منه المرأتين من أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - اللتين قال الله - تعالى - لهما : " إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما " (١) . وكيف كان يجلس على باب أحد الصحابة وهو قائل ، فيتوسد رداءه تسفي الريح عليه التراب (٢) ، متحديا عوادي الطبيعة ، غير آبه للحر والقر ، والجوع والعطش ، ليسأله عما نزل من القرآن بالمدينة ، أو عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم - ، وما نزل من القرآن في ذلك (٣) ، أو غير هذا وذاك ، مما يريد من العلم (٤) .

٢٠٧ - أما معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها في عصر التنزيل ، فقد كان حجة ، يرجع إليه فيها ، وكان مرجعا

---

(١) التحريم : ٤ . وانظر ذلك موسعا في البخاري جـ : ٣ ص ١٠٣ ، واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ : ٢ ص ١٢٩ - ١٣٥ ومسند الطيالسي جـ : ١ ص ٦ باختصار .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ جـ : ١ ص ٤١ ، والإصابة جـ : ٢ ص ٣٢٣ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد جـ : ٢ ص ٣٧١ .

(٤) انظر المرجع السابق جـ : ٢ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

يقصده الناس من كل حدب وصوب لمعرفة أيام العرب ووقائعها (١) .

٢٠٨ ـ وأما إحاطته بأسرار اللغة العربية وأوضاعها : فحدث عنها ولا حرج (٢) . لقد أوتي علم العربية ، وخبر أسرارها ، ووقف على دقائقها ، حتى ليلفت الانتباه إلى مواقع الحروف ، ومعانيها ، ومواضع استعمالها في كتاب الله بأسلوب العربي الحكيم ، كما في قوله : " الحمد لله الذي قال : عن صلاتهم ساهون ، ولم يقل : في صلاتهم ساهون " (٣) .

وإذا أردت الأدب من شعر ونقد وغير ذلك ، فقد كان أديبا ناقدا ، اعترف له أكابر الصحابة بالتقدم في هذا الميدان ، فهذا عمر مع بعض أصحابه يتذاكرون الشعر يوما ، فيقول بعضهم : فلان أشعر الناس . ويقول بعضهم : بل فلان أشعر ، ويقبل ابن عباس عليهم حينئذ . فيقول عمر لأصحابه : " قد جاءكم أعلم الناس بها " ، ثم يسأله عن أشعر الشعراء ، ومن دليل من شعره ، فيجيبه حبر الأمة ، بأن أشعر الشعراء زهير بن أبي سلمى ، ويذكر من شعره ما يستدل به على ذلك (٤) .

٢٠٩ ـ والآن بعد أن عرضت منهج ابن عباس في التفسير عرضا مبسطا ، أستطيع أن أقول عنه : إنه كان يجمع في تفسيره للقرآن الكريم بين المنقول والمعقول ، وأرى من المحتم علي في هذه المرحلة من البحث العلمي ، أن ألقي الأضواء على النقاط التي تفرد بها في نهجه ، فأبرزها بوضوح :

---

(١) انظر ما رواه ابن سعد في طبقاته : جـ٢ ص ٣٦٨ عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، وما ذكره الزركلي في الأعلام جـ ٤ ص ٢٢٩ عن عطاء ، وانظر الاستيعاب جـ٢ ص ٣٤٩ ، وغاية النهاية ص ٤٢٦ .

(٢) انظر في المراجع السابقة : قصد الناس لابن عباس في الشعر والأنساب .

(٣) انظر الاتقان جـ١ ص ١٤٥ .

(٤) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري جـ٣ ص ٢٤ ، وارجع الى الفقرة (١٢٢) من هذه الرسالة .

٢١٠ ـ فقد امتاز حبر الأمة في الأمور النقلية بالتثبت ، وكأنه به يريد أن يأخذ ما فاته أخذه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بطريق التواتر ، فيسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من الصحابة (١) . ولعله اقتبس هذه الخصيصة من أستاذه وابن عمه علي بن أبي طالب ، الذي كان يتثبت بطلب اليمين ممن يروي له الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، إذا لم يكن قد سمعه منه بنفسه ، قال علي ـ رضي الله عنه ـ : " كنت إذا سمعت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثا ، نفعني الله بما شاء منه ، وإذا حدثني عنه غيري استحلفته ، فإذا حلف صدقته . وحدثني أبو بكر ـ وصدق أبو بكر ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (ما من عبد يذنب ذنبا ، ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله ، إلا غفر الله له) " (٢) .

٢١١ ـ أما في الاجتهاد ، فقد أكثر من الاعتماد على الشعر الجاهلي ، لفهم الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن ، وكان يقول : " الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب ، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه " . ويقول أيضا : " إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب " (٣) . وليس هذا مجرد توجيه كلامي إلى طريقة معرفة غريب القرآن ، فقد كان يمارس ذلك عمليا ، عندما يسأل عن القرآن ، فينشد الشعر ليستشهد به على التفسير (٤) ، وقد روي عنه من ذلك الشيء الكثير .

---

(١) انظر ما مر في الفقرة (١٣٦) من هذه الرسالة .

(٢) انظر مسند أحمد جـ١ ص١٥٣ـ١٥٤ رقم٢ ، وتذكرة الحفاظ جـ١ ص١٠

(٣) انظر غاية النهاية في طبقات القراء ص٤٢٦ ، والإتقان جـ١ ص١١٩ .

(٤) انظر الإتقان جـ١ ص١٢٠ .

قال : الوسيلة : الحاجة .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت عنترة وهو يقول :

إنّ الرجال لهم إليك وسيلة إنْ يأخذوك تكحلي وتخضبي

قال : أخبرني عن قوله : " شرعة ومنهاجا "(١) .

قال : الشرعة : الدين ، والمنهاج : الطريق .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول :

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبين للإسلام دينا ومنهجا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " إذا أثمر وينعه "(٢) .

قال : نضجه ، وإدراكه .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

إذا ماشت وسط النساء تأودت كما اهتز غصن ناعم النبت يانع

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " وريشا "(٣)

قال : الريش : المال .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

فوشني بخير طال ماقد بريتني وخير الموالي من يريش ولا يبري

---

(١) المائدة : من الآية ٤٨ .

(٢) الأنعام : من الآية ٩٩ .

(٣) الأعراف : من الآية ٢٦ .

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " لقد خلقنا الانسان في كبد " (١) .

قال : في اعتدال واستقامة .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول :

يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " يكاد سنا برقه " (٢) .

قال : السنا : الضوء .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث يقول :

يدعو إلى الحق لا يبغي به بدلا يجلو بضوء سناه داجي الظلم

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " وحفدة " (٣) .

قال : ولد الولد ، وهم الأعوان .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

حفد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأحمال

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " وحنانا من لدنا " (٤) .

قال : رحمة من عندنا .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت طرفة بن العبد يقول :

---

(١) البلد : ٤ .

(٢) النور : من الآية ٤٣ .

(٣) النحل : من الآية ٧٢ .

(٤) مريم : من الآية ١٣ .

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " أفلم ييأس الذين آمنوا " (١) .

قال : أفلم يعلم ، بلغة بني مالك .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت مالك بن عوف يقول :

لقد يأس الأقوام اني أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائبا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " مثبورا " (٢) .

قال : ملعونا ، محبوسا من الخير .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت عبد الله بن الزبعري يقول :

إذ أتاني الشيطان في سنة النو م ومن مال ميله مثبورا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " فأجاءها المخاض " (٣) .

قال : ألجأها .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت يقول :

إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " نديا " (٤) .

قال : النادي : المجلس .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

---

(١) الرعد : من الآية ٣١ .

(٢) الاسراء : من الآية ١٠٢ .

(٣) مريم : من الآية ٢٣ .

(٤) مريم : من الآية ٧٣ .

قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " أثاثا ورئيا " (١) .

قال : الأثاث : المتاع ، والرئي : من الشراب .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

كأن على الحمول غداة ولوا من الرئي الكريم من الأثاث

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " فيذرها قاعا صفصفا " (٢) .

قال : القاع : الأملس ، والصفصف : المستوي .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

بملوحة شهباء لو قذفوا بها شماريخ من رضوى إذن عاد صفصفا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " وإنك لاتظمأ فيها ولاتضحى " (٣) .

قال : لاتعرق فيها من شدة حر الشمس .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخضر

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " له خوار " (٤) .

قال : له صياح .

---

(١) مريم : من الآية ٧٤ .

(٢) سورة طه : من الآية ١٠٦ .

(٣) سورة طه : من الآية ١١٩ .

(٤) طه : من الآية ٨٨ ، والأعراف : من الآية ١٤٨ .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

كأن بني معاوية بن بكـر إلى الاسلام صائحة تخـور

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " ولا تنياني ذكري " (١)

قال : لاتضعفا عن أمري .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

إني ـ وجدك ـ ما وليت ولم أزل أبغي الفكاك له بكل سـبيل

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " القانع والمعتر " (٢)

قال : القانع : الذي يقنع بما أعطي ، والمعتر : الذي يعترض الأبواب .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

على مكثريهم حق مُعتَرِّ بابهم وعند المقلّين السماحة والبذل

قال : أخبرني عن قوله تعالى : " وقصر مشيد " (٣)

قال : مشيد بالجصّ والآجرّ .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت عدي بن زيد يقول :

شاده مرمرا وجلله كلـ ـسا فللطير في ذراه وكور

إلى آخر المسائل وأجوبتها (٤) وهي تدل على قوة ابن عباس في معرفته بلغة

---

(١) طه : من الآية ٤٢ .

(٢) الحج : من الآية ٣٦ .

(٣) الحج : من الآية ٤٥ .

(٤) انظرها في الإتقان ج : ١ ص ١٢٠ ـ ١٢٣ .

العرب ، وإلمامه بغريبها إلى حد لم يصل إليه غيره ، مما جعله بحق زعيم هذه الناحية من التفسير على الخصوص ، حتى اني أستطيع أن أطلق على منهجه اسم :

((المنهج اللغوي في تفسير القرآن))

باعتبار الناحية اللغوية قسما بارزا في منهجه .

٢١٣ ـ ولا ينبغي أن يفهم من ذلك أن طريقة ابن عباس جعل الشعر أصلا للقرآن ، إنما كل ماني الأمر ، تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر ، لأن الله تعالى قال : " إنا جعلناه قرآنا عربيا " (١) ، وقال : " بلسان عربي مبين " (٢) .

٢١٤ ـ وإذا كان عمر قد سلك هذا الطريق قبل ابن عباس ، عندما سأل أصحابه يوما عن معنى التخوف في قوله تعالى : " أو يأخذهم على تخوف " ، فقام إليه شيخ من هذيل فقال له : هذه لغتنا ، التخوف : التنقص ، فقال عمر : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم ، وروى قول الشاعر :

تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ لأصحابه : " عليكم بديوانكم لاتضلوا " ، قالوا : وما ديواننا ؟ قال : " شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم " ومعاني كلامكم " (٣) . فالذي لاينبغي الشك فيه أن ابن عباس قد اقتبس هذه

---

(١) الزخرف : ٣ .

(٢) الشعراء : ١٩٥ . وانظر مانقله السيوطي في الاتقان جـ : ١ ص ١١٩ عن أبي بكر بن الأنباري .

(٣) انظر الموافقات للشاطبي جـ : ٢ ص ٨٨ .

الطريقة عن أستاذه عمر ، غير أنه امتاز بها واشتهر أكثر من غيره ، وساعده على ذلك ذكاؤه وقوة حافظته ، وإحاطته بالأدب الجاهلي .

ويكفينا ـ لنأخذ صورة واضحة عن حفظه الذي لايكاد يجاريه فيه إنسان ـ أن نعلم أن ابن أبي وبيعة أنشده قصيدته التي مطلعها :

((أمن آل نعم أنت غاد فمبكر)) ...

فحفظها في مرة واحدة ، وهي ثمانون بيتا (١) .

٢١٥ ـ أضف إلى هذا وذاك ماكان عليه ترجمان القرآن من جرأة في تقرير ما وصل إليه باجتهاده منذ حداثة سنه ، والامثلة على ذلك كثيرة ، منها : مامر معنا من أن عمر بن الخطاب عندما قال لأصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فيمن ترون هذه الآية نزلت : " أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب .... الآية "(٢) قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر فقال : قولوا نعلم ، أو لانعلم . وهنا برزت جرأة ابن عباس ، فقال بكل أدب وتوقير لأصحاب النبي : في نفسي منها شيء ، فقال عمر : يا ابن أخي ، قل ولاتحقر نفسك ، قال : ضربت مثلا لعمل ، فقال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس : رجل غني يعمل بطاعة الله ، ثم بعث له الشيطان ، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله (٣) .

٢١٦ ـ ومن أجل أن نأخذ صورة واضحة عن هذه الجرأة عند صاحبنا ، يحسن بنا أن نأخذ مثالا عن واحد من الصحابة ، ممن هم في

---

(١) انظر صفة الصفوة جـ : ١ ص ٣١٤ ، وحلية الأولياء جـ : ١ ص ٣١٤ ، ونكت الهميان ص ١٨٠ .

(٢) البقرة : ٢٦٦ .

(٣) انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني جـ : ١٨ ص ١٢٩ ، الحديث رقم ٦١ .

مثل سنه تقريبا ، ليبرز لنا لدى الموازنة إقدام ابن عباس وإحجام غيره .

قال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : " كنا عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أخبروني بشجرة تشبه ، أو كالرجل[1] المسلم ، لايتحاتّ ورقها ، ولا ، ولا ، ولا ، تؤتي أكلها كل حين . قال ابن عمر : فوقع في نفسي أنها النخلة ، ورأيت أبا بكر وعمر لايتكلمان ، فكرهت أن أتكلم ، فلما لم يقولوا شيئا ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هي النخلة . فلما قمنا قلت لعمر : يا أبتاه ، والله لقد وقع في نفسي أنها النخلة ، فقال عمر : ما منعك أن تكلّمَ ؟ قال : لم أركم تكلمون فكرهت أن أتكلم ، أو أقول شيئا . قال عمر : لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا "[2] .

٢١٧ ـ وهذا ابن عمر ذاته يكشف عما في نفسه ، فيعترف أنه لا تعجبه جرأة ابن عباس في كتاب الله ، لكنه يخبره من بعده فيتأكد له أن هذه الجرأة تستند إلى قوة علمية : أتى رجل إلى ابن عمر يسأله عن " السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما "[3] ؟ فقال : اذهب إلى ابن عباس فاسأله ، ثم تعال أخبرني ، فذهب فسأله ، فقال : " كانت السماء رتقا لاتمطر ، وكانت الأرض رتقا لاتنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنبات " فرجع إلى ابن عمر ، فأخبره ، فقال ابن عمر : " قد كنت أقول : ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن ، فالآن قد علمت أنه أوتي علما "[4] .

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعله شك وقع من الراوي .

(٢) انظر البخاري جـ : ٥ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(٣) الأنبياء : ٣٠ .

(٤) انظر الاتقان : جـ : ٢ ص ١٨٧ .

٢١٨ — وهذا الحطيئة في مجلس عمر يأخذه العجب من جرأة حبر الأمة وشجاعته في بيان ما يعتقد أنه الحق ، دون أن يأبه لملامة لائم ، أو نقد ناقد ، مادام يثق بأن الحق في جانبه ، فينظر إليه ويقول : " من هذا الذي نزل على القوم بسنّه وعلاهم في قوله ؟ " ، فيقولون له : هذا ابن عباس ! فتتفتح قريحة الحطيئة وينشد :

إني وجدت بيان المرء نائلة يهدي له ووجدت العيّ كالصمم
المرء يبلى ويبقى الكلم سائرة وقد يلام الفتى يوما ولم يلم (١)

٢١٩ — وقد حدثتني نفسي عن مصنف في التفسير لابن عباس ، فبدأت البحث والتنقيب ، لكنني ما وصلت إلى شيء من ذلك ، وهذا طبيعي ، فإن عصر التدوين متأخر عن عصر الصحابة .

ورأيت بين المراجع تفسيرا نسب إلى ابن عباس ، إسمه : " تنوير المقباس من تفسير ابن عباس " ، جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادي الشافعي ، صاحب القاموس المحيط . وقد اطلعت على هذا التفسير فوجدته يبدأ من سورة الفاتحة ، ويختم بسورة الناس ، ووجدت جامعه عند الكلام عن البسملة يسوق الرواية عن ابن عباس بهذا السند : " أخبرنا عبد الله الثقة ابن المأمون الهروي ، قال : أخبرني أبي ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمود بن محمد الرازي ، قال : أخبرنا عامر بن عبد المجيد الهروي ، قال : أخبرنا علي بن اسحق السمرقندي ، عن محمد بن مروان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس " .

وعند تفسير أول البقرة وجدته يسوق الكلام " بإسناده إلى عبد الله ابن المبارك ، قال : حدثنا علي بن اسحق السمرقندي ، عن محمد بن مروان ،

---

(١) انظر الاصابة جـ : ٢ ص ٣٢٥ .

عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس " . وفي مستهل كل سورة يقول : " وبإسناده عن ابن عباس " ، فيظهر لنا بشكل واضح أن جميع ما روي عن ابن عباس في هذا الكتاب يدور على محمد بن مروان ، وهو السدي الصغير ، عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

٢٢٠ — وإن طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، هي من أوهى الطرق ، وللكلبي أحاديث صالحة ، وخاصة عن أبي صالح ، وهو معروف بالتفسير ، وليس لأحد تفسير أطول ولا أمهج ، كما يقول ابن عدي في الكامل (١) ومع ذلك ، فإن وجد من قال : رضوه في التفسير ، — فقد وجد من قال : أجمعوا على ترك حديثه ، وليس بثقة ، ولا يكتب حديثه ، واتهمه جماعة بالوضع (٢) . فإن انضم إلى ذلك — أي طريق الكلبي — رواية محمد بن مروان (السدي الصغير) فهي سلسلة الكذب (٣) .

٢٢١ — وقال السيوطي أيضا في كتابه الدر المنثور : " الكلبي اتهموه بالكذب وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه : كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب . ومع ضعف الكلبي ، فقد روى عنه تفسيره مثله ، أو أشد ضعفا ، وهو محمد بن مروان السدي الصغير (٤) .

---

(١) انظر الإتقان ج : ٢ ص ١٨٩ .

(٢) انظر التفسير — معالم حياته — منهجه اليوم ، لأمين الخولي ص ٩ ، والتعبير بـ "لا يكتب حديثه" هو أحد التعابير المصطلح عليها في مراتب الجرح وهو يساوي قولهم : "رد حديثه ، أو مردود الحديث ، أو ضعيف جدا ... الخ" انظر كتاب الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ، للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ص ٨٠ .

(٣) انظر الاتقان ج : ٢ ص ١٨٩ .

(٤) انظر الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج : ٦ ص ٤٢٣ .

((الفصـــل الثالـث))

* مدرسة ابن عباس في التفسـير .
* الرواية عن ابن عباس .

٢٢٢ — قامت مدرسة ابن عباس في التفسير بمكة فكان يجلس لأصحابه من التابعين ، يفسر لهم كتاب الله تعالى ، ويوضح لهم ما خفي من معانيه ، وكان تلاميذه يدونون عنه ما يقول ، ويروون لمن بعدهم ما سمعوه منه .

٢٢٣ — وإذا كانت قد قامت مدرسة ثانية للتفسير بالمدينة ، أستاذها أبي بن كعب ، ومدرسة ثالثة بالعراق ، عمادها عبد الله بن مسعود ، فإنا نستطيع أن نقول : إن مدرسة ابن عباس هذه من أهم المدارس التي قامت آنذاك ، وعنها — أكثر من غيرها — انتشر التفسير في أنحاء البلاد الإسلامية ، وذلك لمركزها العلمي الذي أضفاه عليها ترجمان القرآن ابن عباس ، ولموقع مكة الديني ، حيث هي ملتقى الحجيج من جميع الأقطار الإسلامية ، ينزحون إليها من كل فج عميق ، ليحجوا ، وليستفيدوا علما يحملونه إلى بلدانهم ، فيعلمون قومهم إذا رجعوا إليهم . قال ابن تيمية : "وأما التفسير ، فأعلم الناس به أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس ، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاوس ، وأبي الشعثاء ، وسعيد بن جبير ، وأمثالهم ..." (١) .

٢٢٤ — وقد استمرت طريقة ابن عباس — رضي الله عنهما — في الرجوع إلى الشعر العربي للتعرف منه على غريب القرآن ، — بنقل تلاميذه عنه — إلى عهد التابعين ومن يليهم ، إلى أن حدثت خصومة بين المتورعين من الفقهاء وأهل اللغة ، فانكروا عليهم هذه الطريقة ، وقالوا : إن فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن (٢) .. وكيف يجوز أن يحتج بالشعر

---

(١) انظر مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص ١٥ ، وإبراز المعاني من حرز الأماني (وهو شرح متن الشاطبية في القراءات السبع) لأبي شامة ص ٣ .

(٢) انظر ما ذكره النيسابوري في مقدمة تفسيره : غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ : ١ ص ٦ .

على القرآن ، وهو مذموم في القرآن والحديث ؟ ..

والحق أن هذه الخصومة التي انبعثت في الأجيال المتأخرة لا تقوم على أساس صحيح ، فالأمر ليس كما زعم أصحاب هذا الرأي من جعل الشعر أصلا للقرآن ، بل هو ـ في الواقع ـ بيان للحرف الغريب من القرآن بالشعر ، لأن الله تعالى يقول : " إنا أنزلناه قرآنا عربيا " (١) ، ويقول : " بلسان عربي مبين " (٢) ، ولهذا لم يتخرج المفسرون إلى يومنا هذا من الرجوع إلى الشعر الجاهلي للاستشهاد به على المعنى الذي يذهبون إليه في فهم كتاب الله تعالى .

٢٢٥ ـ وأشهر رجال هذه المدرسة ، وأوعية العلم فيها من تلاميذ ابن عباس هم : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وطاوس بن كيسان اليماني ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح .

وسأتكلم الآن عن كل واحد منهم ، لتتبين مكانته في التفسير ، ومقداره في العلم .

---

(١) الزخرف : ٣ .

(٢) الشعراء : ١٩٥ .

ـ ا ـ

سعيد بن جبير

٢٢٦ ـ سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء ، أبو عبد الله (١) ، أحد كبار التابعين ، وعلم من أعلام الإسلام المشهورين . نشأ بالكوفة ، وكان ـ رضي الله عنه ـ أسود اللون . ولعل ذلك ناشئ من أصله الحبشي (٢) ، كثير الصمت دائم التفكر ، يجلس بعد مطلع الفجر فلا يتكلم ولا يجيب سائلا ، يذكر ربه ويتفكر فيه ، ويجد في ذلك شغلا عن الناس وعن أحاديثهم (٣) . امتلأ قلبه خشية من الله ، وارتفعت نفسه عن سفاسف الأمور . كان إذا جلس اكتنف مجلسه الهيبة والوقار ، فلا يتكلم أحد في مجلسه إلا بما يرضيه ، وإذا أراد أحد أن يغتاب أحدا في مجلسه نهاه عن ذلك وقال له : إن أردت ذلك ففي وجهه (٤) .

رضي عنه فأرضاه ، كثير الشكر يلهج لسانه بالثناء في كل الأحوال ، إذا جلس إلى طعامه فأكل قال : " اللهم أشبعت وأرويت فهنئنا ، ووفرت فأكثرت فزدنا " (٥) ، كثير الصبر يؤثره على الشكر . سئل مرة : الشكر أفضل أم الصبر ؟ فقال : " الصبر والمعافية أحب إلي " (٦) .

---

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ ٦ ص ٢٥٦ ، وغاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ ص ٣٠٥ ، ووفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٠٤ ، وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٣ ، وتقريب التهذيب جـ ١ ص ٢٩٢ ، والأعلام جـ ٣ ص ١٤٥ .

(٢) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٦ ص ٢٥٨ ، ووفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٠٤ ، وتهذيب التهذيب جـ ٤ ص ١١ ، وحلية الأولياء جـ ٤ ص ٢٧٢ . والأعلام جـ ٣ ص ١٤٥ .

(٣) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٦ ص ٢٦١ .

(٤) انظر المرجع السابق .

(٥) انظر المرجع السابق .

(٦) انظر المرجع السابق جـ ٦ ص ٢٦٢ .

زهدا عما في أيدي الناس بما في خزائن الله ، أوصى ولده مرة فقال له : " أظهر اليأس مما في أيدي الناس فإنه عناء[1] ، وإياك وما يعتذر منه فانه لايعتذر من خير ".[2]

٢٢٧ ـ قرأ القرآن فوعاه ، وحفظه فاهتدى بهداه فأنس به فلا يكاد يدعه ليلا أو نهارا ، كثير التلاوة ، شديد التدبر ، يختم القرآن كل ليلتين[3] . وربما قرأ القرآن كله في ركعة واحدة ، قال سعيد بن جبير : " قرأت القرآن في ركعة في البيت الحرام ".[4]

وقد أفاد من ذلك العلم الغزير والفضل الكبير ، والبعد عن السلطان ، والالتجاء إلى ربه آناء الليل وأطراف النهار ، والتبحر في العلوم والاتصال بالعلماء والشيوخ من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجلس إليهم ، ويأخذ عنهم ، ويعرض عليهم .

٢٢٨ ـ وكان عامة علمه من ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ فقد استفاد من صحبته كثيرا ، وخاصة في تفسير القرآن الذي وعى سعيد منه الشيء الكثير ، ولا غرو فقد كان يجلس عنده ، ويتحدث الناس من حوله ، فيسكت وينصت فيعي ويحفظ . سئل مرة : أكلّ ما أسمعك تحدث

---

(١) العناء : الحبس في شدة وذل (لسان العرب) وعنى الانسان عناء ، أي تعب ونصب ، (الصحاح) . والمعنى : ان عدم اليأس عناء وذل .

(٢) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٦ ص ٢٦٢ .

(٣) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٦ ص ٢٥٩ ، وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٣ .

(٤) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٦ ص ٢٥٦ ، ووفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٠٤ وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٣ .

سألت عنه ابن عباس ؟ فقال : " لا ، كنت أجلس ولا أتكلم حتى أقوم ، فيتحدثون فأحفظ ". (١)

٢٢٩ ـ وكأن ابن عباس شعر أن علمه قد انتقل إليه ، فجلس مرة يوصيه أن يتوثق مما يرويه عنه ، دخل عليه مؤذن بني وادعة ، فوجد سعيد بن جبير عند رجليه وهو يقول له : " انظر كيف تحدث عني ، فإنك قد حفظت عني حديثا كثيرا ". (٢)

٢٣٠ ـ ولم يكتف ابن عباس بذلك ، بل كان يحب أن يسمع من تلميذه وهو يحدث الناس ، كي يطمئن إليه ، وتقر عينه برؤية غرسه وقد أينع وأعطى الناس ثمرا شهيا ، قال له مرة : " حدث ، فقال : أحدث وأنت ههنا ؟! فقال : أليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد ، فإن أصبت فذاك ، وإن أخطأت علمتك ؟ ". (٣)

إنها عناية الأستاذ بتلميذه الذي ترعرع على يديه ، وشرب على سقايته ، ونهل من فيض علومه ، فلما اكتمل ، أراد أن تكتحل عيناه برؤيته وهو يحدث الناس بما تعلم ، فيشكر الله على تلك النعمة . وما إن اطمأن إلى علمه وفهمه حتى صار يوصي بالأخذ عنه ، والاستفادة من علومه ، فقد قال لأهل الكوفة : " يا أهل الكوفة ، تسألونني وفيكم سعيد ابن جبير (٤) ". يالها من شهادة صادقة لهذا التلميذ الذكي ، توصي بالأخذ عنه في حياة أستاذه ، ولهذا أقبل الناس عليه ينهلون من علومه ،

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٦ ص ٢٥٧

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) انظر المرجع السابق جـ ٦ ص ٢٥٧ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٤) انظر طبقات القراء للذهبي ص ٦٤٣ .

ويلتفون حوله ، حتى صارت له حلقة خاصة يجلس فيها إلى تلامذته كل يوم مرتين (١) ، فيحدثهم بعد صلاة الفجر وبعد العصر ، فيتلقفون العلم عنه .

٢٣١ ـ إلا أنه مع جلالة قدره ، وسعة اطلاعه ، وفخره بأستاذه حبر الأمة ، لم يأخذ العجب من نفسه مأخذه ، بل كان يعرف لأهل الفضل فضلهم ، فما إن شعر بأستاذه يذوي ، ويلحق بالرفيق الأعلى ، حتى صار يلزم عبدالله بن عمر ويكتب عنه ، ويأخذ من آرائه فيطعّمها بما عنده .

عن سعيد بن جبير قال : " كنت أسأل ابن عمر في صحيفة ، ولو علم بها كانت الفيصل بيني وبينه ، قال : فسألته عن الإيلاء فقال : أتريد أن تقول : قال ابن عمر وقال ابن عمر ؟ قال : قلت : نعم ، ونرض بقوله ونقنع . قال : يقول في ذلك الأمراء (٢) " . وإذا اختلف مع أحد التابعين في مسألة أو في حكم وهو بالكوفة سجله عنده حتى يلقى ابن عمر فيسأله عنه (٣) . فكان يثق به كل الثقة ، ويسلم له في كل شئ ، ويسمع منه ويتقبل مواعظه بدون مناقشة ، فأعجب به ابن عمر ، وأحبه ووثق به ، فصار يوصي بالأخذ عنه ، وخاصة في علم الحساب والفرائض ، فعن سعيد قال : " جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن فريضة فقال : ائت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني ، وهو يفرض منها ما أفرض " (٤) .

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٦ ص ٢٥٩

(٢) انظر المرجع السابق جـ ٦ ص ٢٥٨ .

(٣) انظر المرجع السابق والصفحة .

(٤) انظر المرجع السابق .

٢٣٢ ـ ولقد جمع سعيد علم أقرانه من التابعين ، وألَمَّ بما عندهم من النواحي التي برزوا فيها ، فقد قال خصيف : " كان من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب ، وبالحج عطاء ، وبالحلال والحرام طاوس ، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير ".(١)

٢٣٣ ـ أضف إلى ذلك أنه أحاط بالقراءات الثابتة عن الصحابة وكان يقرأ بها ، يدلنا على ذلك ماجاء عن إسماعيل بن عبدالملك أنه قال : " كان سعيد بن جبير يؤمنا في شهر رمضان ، فيقرأ ليلة بقراءة عبدالله بن مسعود ، وليلة بقراءة زيد بن ثابت ، وليلة بقراءة غيره ، وهكذا أبدا .. "(٢) ولاشك أن جمعه لهذه القراءات كان يعطيه القدرة على التوسع في معرفة معاني القرآن وأسراره . وإن الذي لايفسر القرآن ولا يفهم معانيه ، لايساوي شيئا في نظر سعيد ، فقد روي عنه أنه قال : " من قرأ القرآن ، ثم لم يفسره ، كان كالأعمى ، أو كالأعرابي ".(٣)

٢٣٤ ـ وإذا رجعنا إلى بعض أقواله في التفسير لنأخذ منها صورة عامة عن شخصيته في هذا الفن ، رأيناه قد ذكر أن السبع الطوال هي : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .(٤) وهي المثاني في نظره ، وقد علل سبب تسميتها بالمثاني فقال : إنما سميت مثاني ، لأنها بينت فيها الفرائض والحدود .(٥)

---

(١) انظر وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥
(٢) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص ٢٠٤
(٣) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٢٧
(٤) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٣٣
(٥) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٣٤

وعن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: " الحمد لله رب العالمين " قال: الجن والإنس.(١) وفي قوله سبحانه: " والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون "(٢) قال: يفعلون مايفعلون، وهم يعلمون أنهم صائرون إلى الموت، وهي من المبشرات.(٣) وروي عنه في قوله سبحانه: " مستكبرين به سامرا تهجرون "(٤) قال: يسمرون بالليل يخوضون في الباطل.(٥) وفي قوله تعالى: " فوجد من دونهما امرأتين تذودان "(٦) قال: حابستين.(٧) وعند قوله تعالى: " وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس ... الآية "(٨) قال: هو الرجل يعطي العطية ليثيبه.(٩)

٢٣٥ـ ولدى التتبع لم أجد لسعيد أقوالا كثيرة في التفسير، بل رأيته في أكثر الأحيان رواية لشيخه عبدالله بن عباس، ويرجع ذلك في نظري إلى سببين:

الأول: قرب وفاته.

والثاني: انه ـ رضي الله عنه ـ كان يتورع من القول في التفسير برأيه، ويدلنا على ذلك ماروه ابن خلكان من أن رجلا سأل سعيدا أن

---

(١) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٤٧

(٢) المؤمنون: ٦٠

(٣) انظر الطبري جـ ١٨ ص ٢٢

(٤) المؤمنون: ٦٧

(٥) انظر تفسير الطبري جـ ١٨ ص ٢٢

(٦) القصص: من الآية: ٢٣

(٧) انظر تفسير الطبري جـ ٢٠ ص ٣٣

(٨) الروم: ٣٩، وتمام الآية: " فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ".

(٩) انظر تفسير الطبري جـ ٢١ ص ٢٧

يكتب له تفسير القرآن فغضب وقال : " لأن يسقط شقي أحب إلـــيّ من ذلـك ".(١)

٢٣٦ ـ وما إن سطع نجم سعيد وظهر فضله حتى عرف الناس له هذا الفضل ، فصاروا يُجلّونه ويحترمونه ، ويقدمونه على أنفسهـــم ، وبرزت مآثره الحميدة ، ولكن الناس في ذلك الوقت بدلوا وغيروا ، وأحدثوا فتنا وبدعا لم يألفها هو ولم يكن ليرضى بها ، فخرج على الخليفـــة مع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث ، فلما قتل عبد الرحمن وانهـزم أصحابه من دير الجماجم هرب سعيد فلحق بمكة ، وكان واليها يومئـذ خالد بن عبدالله القسري ، فأخذه وبعث به إلى الحجاج بن يوســف الثقفي مع اسماعيل بن واسط البجلي ، فقال له الحجاج : ما اسمـــك؟ قال : سعيد بن جبير . قال : بل أنت شقي بن كُسير . قال : بـــل كانت أمي أعلم باسمي منك . قال : شقيت أمك وشقيت أنت . قال : الغيب يعلمه غيرك . قال : لأبدلنك بالدنيا نارا تلظّى . قال : لو علمـــت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهـا . قال : فما قولك في محمد ؟ قـــال : نبي الرحمة وإمام الهدى . قال : فما قولك في علي ، أهو في الجنـــة ، أو هو في النار ؟ قال : لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها ، قـــال : فما قولك في الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل . قال : فأيهم أعجب اليك ؟ قال : أرضاهم لخالقهم . قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ قال : علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم . قال : أحب أن تصدقـــني . قال : إن لم أحبك لم أكذبك . قال : فما بالك لم تضحك ؟ قال : وكيف يضحك مخلوق خُلق من طين ، والطين تأكله النار . قال : فما بالنـــا نضحك ؟ قال : لم تستو القلوب ، ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجـــد

---

(١) انظر وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥

والياقوت فجمعه بين يديه ، فقال سعيد : إن كنت جمعت هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير في شيء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا ، ثم دعا الحجاج بالعود والناي ، فلما ضرب بالعود ونفخ بالناي بكى سعيد ، فقال : مايبكيك هو اللعب ، قال سعيد : هو الحزن ، أما النفخ فذكرني يوما عظيما ، يوم النفخ في الصور ، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق ، وأما الأوتار فمن الشاء تبعث معها يوم القيامة . قال الحجاج : ويلك ياسعيد . قال : لاويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة . قال الحجاج : اختر ياسعيد أي قتلة أقتلك . قال : اختر لنفسك ياحجاج ، فوالله لاتقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة . قال : أفتريد أن أعفو عنك ؟ قال : إن كان العفو من الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر . قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه ، فلما خرج ضحك ، فأخبر الحجاج بذلك فرده ، وقال : ما أضحك ؟ قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك ، فأمر بالنطع فبسط وقال اقتلوه ، فقال سعيد : وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، قال : وجهوا به لغير القبلة . قال سعيد : فأينما تولوا فثم وجه الله ، قال : كبوه لوجهه . قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . قال الحجاج : اذبحوه . قال سعيد : أما إني أشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة ، ثم دعى سعيد فقال : اللهم لاتسلطه على أحد يقتله بعدي (١) . وروى أنه لما ضرب عنقه

---

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص ٢٠٥ — ٢٠٦ ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٧١ — ٧٣ .

وسقط رأسه هلل ثلاثا ، فلما قتل التهس عقل الحجاج فجعل يقول : قيودنا ، قيودنا ، فظنوا أنه يريد القيود ، فقطعوا رجلي سعيد من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود ، وكان الحجاج إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول : ياعدو الله ، فيم قتلتني ؟ ! فيقول : مالي ولسعيد بن جبير ، مالي ولسعيد بن جبير . وعاش الحجاج بعده أياما ثم هلك . قال الإمام الشعراني في الطبقات : قتله في شعبان من السنة الخامسة والتسعين للهجرة وتوفي الحجاج في رمضان وكان بينهما خمسة عشر يوما .(١)

٢٣٧ـ استشهد سعيد فحزن الناس لموته ، وفجعوا بعزيز غال ، وإمام صادق ، ولسان صارم في الحق لايهاب إلا الله ، صمد أمام الطغيان واستعلى على زخارف الحياة الدنيا ، وفضل ما عند الله على مافي أيدي الناس ، فكان نبراسا يقتدي به العلماء العاملون ، والأتقياء الصالحون ، والمجاهدون الصابرون . فرحمه الله رحمة واسعة لاينتهي مداها ، فلقد خسر به المسلمون علما غزيرا ، وفقدوا بقتله خيرا كثيرا ، حتى قال أحمد بن حنبل : " قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه "(٢) . وروى

---

(١) انظر الفتوحات الاسلامية : لأحمد بن زيني دحلان : ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

(٢) انظر الطبقات لابن سعد : جـ ٦ ص ٢٦٦ ، ووفيات الأعيان : جـ ١ ص ٢٠٦ ، وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٣ ، والفتوحات الإسلامية جـ ١ ص ٣٠٥ ، والأعلام للزركلي جـ ٣ ص ١٤٥ .

عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه قال : " مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه[1] ".

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد : جـ٦ ص ٢٦٦ ، وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٣ .

ـ ٢ ـ

مجاهـــــــد

٢٣٨ ـ مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي المخزومي ، مولى عبدالله بن السائب المخزومي ، شيخ القراء والمفسرين (١) ، وأحد الأئمة الأعلام الموثقين ، اشتهر بفطنته وذكائه وقوة حافظته حتى قال له عبدالله بن عمر : " وددت لو أن ناقعا يحفظ حفظك " . (٢)

كان يقبل على الله ولا يهتم بمظاهر الحياة وملذاتها ، فيلبس الخشن من الثياب ، قال الأعمش : " كنت إذا رأيت مجاهدا ازدريته متبذلا (٣) ، كأنه خربندج قد ضل حماره " . وفي رواية : " فإذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ " . (٤)

٢٣٩ ـ تعلقت نفسه بالله وما عند الله ، فصرف نظره عن الدنيا وأقبل على العلم ، وهو حريص عليه يخشى أن يفوته الوقت فلا يظفر إلا بالقليل ، فنراه يلزم حبر الأمة ليأخذ عنه القرآن . يقول

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٥ ص ٤٤٦ ، والكمال في أسماء الرجال للمقدسي (مخطوط) وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري : جـ ٢ ص ٤١ ، وميزان الاعتدال للذهبي جـ ٣ ص ٢٣٩ ، وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٢ ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٨٦ ، وتهذيب التهذيب جـ ١ ص ٤٢

(٢) انظر الكمال في أسماء الرجال للمقدسي (مخطوط)

(٣) لم أقع على معنى كلمة خربندج في المعاجم ، ويبدو أنها كلمة فارسية تدل على التبذل أو بائع متجول كما قال لي من له اطلاع على الفارسية .

(٤) انظر الطبقات لابن سعد : جـ ٥ ص ٤٦٦ ، وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٢ ، وميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٤٤٠ ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٨٦ .

مجاهد : " عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة "(١) . ولكن دلّ هذا التكرار على شيء فإنه يدل على الحرص الشديد في الإتقان والإجادة والتثبت من كلام الله تعالى . ولايغيب عن باله أن يستفيد من أستاذه عبد الله بن عباس الذي دعا له النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن يفقهه الله في الدين ، ويعلمه التأويل ، فنراه يعرض عليه القرآن ثلاث مرات يقف عند كل آية ليسأل عن معناها ، ووجوه تفسيرها ، وأسباب نزولها ، وما إلى ذلك ، ثم هو يفخر أن يكون له هذا الجلد وهذا الحرص وهذا الفضل فيقول : " عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت ، وكيف كانت "(٢) .

وعن ابن أبي مليكة قال : " رأيت مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه ، فقال ابن عباس : اكتب ، حتى سأله عن التفسير كله "(٣) .

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد : جـ ٥ ص ٤٦٦ ، والكمال في أسماء الرجال للمقدسي (مخطوط) ، وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٢ ، وميزان الاعتدال للذهبي جـ ٣ ص ٤٣٩ ، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الأثير الجزري جـ ٢ ص ٤١ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر جـ ١ ص ٤٣ .

(٢) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٣٠ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي : جـ ١ ص ٨٦ ، وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٢ ، وغاية النهاية في طبقات القراء جـ ٢ ص ٤١ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر جـ ١ ص ٤٣ ، والأعلام للزركلي جـ ٦ ص ١٦١

(٣) انظر مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص ٢٨ ، وانظر بنحوه في تفسير الطبري جـ ١ ص ٣٠ .

٢٤٠ ـ فإذا ذكرنا أنه ـ مع هذا ـ كان يمتاز بحب الاطلاع على كل عجيب وغريب ، وكان يميل إلى الضرب في البلاد ـ رأينا كيف اتسعت مداركه ، ونمت أفكاره ، وفتحت أمامه آفاق الفهم والمعرفة ، وزادت معلوماته العامة ، فكان بهذا كله أقدر على فهم كتاب الله وعلى تفسيره . روى الأعمش : " كان مجاهد لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب لينظر إليها ، ذهب إلى حضرموت ليرى بير برهوت ، وذهب إلى بابل وعليها وال فقال له مجاهد : تعرض على هاروت وماروت ، فدط رجلا[1] من السحرة فقال : اذهب به ، فقال اليهودي : بشرط ألا تدعو الله عندهما ، قال : فذهب بي إلى قلعة فقطع منها حجرا ، ثم قال : خذ برجلي ، فهوى به حتى انتهى إلى جوسة[2] ، فإذا هما معلقان منكسان كالجبلين ، فلما رأيتهما قلت : سبحان الله خالقكما ، فاضطربا فكأن الجبال تدكدكت ، فغشي عليّ وعلى اليهودي ، ثم أفاق فبكى فقال : أهلكت نفسك وأهلكتني[3] . فهو هنا يذهب ليرى بأم عينه آية من آيات الله ، فيقف على تفسيرها ، تفسير الشاهد الناظر ، مما يقوى رأيه في هذا التفسير ويشد أزره .

وهو إذا طلب المعرفة والعلم فإنه لا يطلب ذلك طمعا في مغنم ولا رياء ، وإنما يطلبه ويحرص عليه لوجه الله ، فقد قال سلمة ابن كهيل : " ما رأيت أحدا أراد بهذا العلم طلب رحمة الله

---

(١) هكذا في الأصل . والمناسب : فدعا يهوديا من السحرة .

(٢) الجوسة : الحفرة ، والمكان الوطئ من الأرض القليلة الشجر ، وجوة ما بين البيوت ، أو فضاء أملس بين أرضين (القاموس المحيط ، والمعجم الوسيط) .

(٣) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي : جـ١ ص٨٧ ، والأعلام للزركلي جـ٦ ص ١٦١ .

الإعطاء وطاوس ومجاهدا ".(١)

٢٤١ — نهل مجاهد من علوم التفسير الشيء الكثير ، ووقف على دقائق كلام الله حتى صار من أعلم التابعين فيه ، وعنه يقول مصعب : " كان أعلمهم بالتفسير مجاهدا "(٢) . وورد مثل هذا الثناء عن خصيف وقتادة(٣) ، ووصل الحد في مديحه أن قال فيه ابن جريج : " لأن أكون سمعت من مجاهد أحب إليَّ من أهلي ومالي "(٤) . فأي ثقة وأي تقدير أحرزه هذا المفسر الجليل من طبقات الأمة ، لقد أجمعوا على إمامته ، والاحتجاج بكلامه(٥) . وقد بلغ من محبة الناس له أن ابن عمر كان يجله ويحترمه ، فعن مجاهد قال : " ربما أخذ لي ابن عمر بالركاب "(٦) ، وكان سفيان الثوري يقول : " إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ".(٧)

---

(١) انظر الكمال في أسماء الرجال (مخطوط) المجلد الثالث ، وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٢ ، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الأثير الجزري جـ ٢ ص ٤١ ، وتهذيب التهذيب : جـ ١٠ ص ٤٣ .

(٢) انظر تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٤٣

(٣) انظر الكمال في أسماء الرجال (مخطوط) ، وتذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٨٦ ، وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٢ ، وغاية النهاية في طبقات القراء جـ ٢ ص ٤١

(٤) انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٨٦

(٥) انظر ماذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٤٣ نقلا عن الذهبي .

(٦) انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٨٦ ، وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٢ ، وتهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٤٣ .

(٧) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٣٠

٢٤٢ ـ وليس غريبا بعد هذا أن نجد كتب التفسير زاخرة بأقواله ، وإذا أردنا منها نماذج فحسبنا ما يأتي :

عن مجاهد ـ رضي الله عنه ـ أنه قال في قول الله ـ عز وجل ـ : " يوم الفرقان " (١) : يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل .

وعنه في قوله ـ سبحانه ـ : " ويذرك وآلهتك " (٢) ، قال : وعبادتك .

وفي قوله تعالى : " الحمد لله رب العالمين " (٣) قال : الإنس والجن .

ونراه مثل للقلب بكفه وأصابعه ليضرب مثلا توضيحيا حسيًا عن كيفية الختم على القلب في قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم " (٤) ، قال الأعمش : " أرانا مجاهد بيده فقال : كانوا يرون أن القلب مثل هذا ـ يعني الكف ـ فإذا أذنب العبد ذنبا ضم منه ، وقال بأصبعه الخنصر هكذا ، فإذا أذنب ضم ، وقال باصبع أخرى ، فإذا أذنب ضم ، وقال باصبع أخرى ، فإذا أحنى أصابعه كلها قال : ثم يطبع الله عليه بطابع . قال مجاهد : وكانوا يرون أن ذلك الران " .(٥)

---

(١) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٣٢

(٢) انظر المرجع السابق ص ٤١

(٣) انظر المرجع السابق ص ٤٨

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٧

(٥) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٨٦ . والران : هو الذي ذكره الله سبحانه في الآية (١٤) من سورة المطففين فقال : " كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون " . ويتضح من ذلك كيف كان المفسر عندما يفسر آية من كتاب الله يضع نصب عينيه الآيات التي تتعلق بموضوعها .

وعندما يتحدث عن شياطين المنافقين ، لايغيب عن ذهنه أن الله - سبحانه - قد بين في سورة الناس أن الشياطين تكون من الناس كما تكون من الجنة ، ففي قوله تعالى : " وإذا خلوا إلى شياطينهم ... الآية "(١) قال مجاهد : أصحابهم من المنافقين والمشركين.(٢) وفسر الرعد فقال : ملك يزجر السحاب بصوته .(٣) وعنه في قوله تعالى : " ولهم فيها أزواج مطهرة ... الآية "(٤) قال : لايبلن ولا يتغوطن ولا يمذين .(٥) وزاد في رواية أخرى : ولا يمنين ولا يحضن . وجاء قوله مثل قول شيخه ابن عباس في قوله سبحانه : " لافارض ولا بكر "(٦) قال : الفارض : الكبيرة .(٧) ووافق قوله قول شيخه أيضا في قوله تعالى : " تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل "(٨) قال مجاهد : ماينقص من أحدهما يدخل في الآخر يتعاقبان .(٩) وفسر الخلق بالصنع في قوله تعالى : " فتبارك الله أحسن الخالقين "(١٠) قال : يصنعون ويصنع الله ، والله خير الصانعين .(١١) وإذا كان بعض النحويين قد فسر البناء

---

(١) البقرة : ١٤ ، والآية بتمامها : " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون " .

(٢) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ١٠٠

(٣) انظر المرجع السابق جـ ١ ص ١١٥

(٤) البقرة : من الآية : ٢٥

(٥) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ١٣٥

(٦) البقرة : من الآية : ٦٨

(٧) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٢٥٩

(٨) آل عمران : ٢٧

(٩) انظر تفسير الطبري جـ ٣ ص ١٣٧

(١٠) المؤمنون : من الآية : ١٤

(١١) انظر تفسير الطبري جـ ١٨ ص٨

الداخلة على لفظ الدهن في قوله سبحانه : " وشجرة تخرج من طـــور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين "(١) بأنها للمصاحبة(٢) ، فإن مجاهـــدا ـ رضي الله عنه ـ قد بين أن مجرور الباء في هذه الآية مقدر وهـــو ثمر الدهن فمنه : " تنبت بالدهن " قال بثمره(٣) . وفي قوله تعالى : " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما "(٤) بيّن معنى لفظ (هونا) فقال : بالسكينة والوقـــار(٥) . ومما يجدر بنا ملاحظته أن مجاهدا ـ رضي الله عنه ـ لاينسى الربـــط بين الآيات عندما يشرع في تفسيرها . روى الطبري عن مجاهد فـــي قوله تعالى : " وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحـــرث والنسل والله لايحب الفساد "(٦) ، قال : إذا ولّى سعى بالتعـــدي والظلم ، فيحبس الله القطر ، فيهلك الحرث والنسل ، والله لايحـــب الفساد ، ثم قرأ مجاهد : " ظهر الفساد في البر والبحر .. الآيـــة "(٧) ثم قال : أما والله ماهو بحركم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار فهـــو بحـــر(٨) . إلى غير ذلك من أقواله التي ملأت بطون كتب التفسير .

---

(١) المؤمنون : ٢٠

(٢) انظر في مغني اللبيب لابن هشام : معاني الباء والشواهد عليهـا .

(٣) انظر تفسير الطبري جـ ١٨ ص ١٠

(٤) الفرقان : ٦٣

(٥) انظر تفسير الطبري جـ ١٩ ص ٢٠

(٦) البقـرة : ٢٠٥

(٧) الروم : ٤١ ، وتمامها : " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلّهم يرجعون " .

(٨) انظر تفسير الطبري جـ ٢١ ص ٢٩ .

٢٤٣ ـ لكن شيئا واحدا جعل بعض المفسرين يتوقفون عن الأخذ من تفسيره ، مع علو شأنه وكثرة علومه ودقة حفظه ، ألا وهو أخذه من أهل الكتاب ، فقد سئل الأعمش : مالهم يتقون تفسير مجاهد ؟ قال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب .(١)

هذا هو كل ما أخذ على تفسيره ، ولكن لم نر أحدا طعن عليه في صدقه وعدالته ، وهو من أجمع الناس على إمامته والأخذ عنه . وإذا صح أنه كان يسأل أهل الكتاب فإن ذلك فيما يبيحه الشرع ، كالتوسع في بعض القصص التي أوجزها القرآن مما يدور في مجال التوجيه التربوي ، ولا يتعلق به حكم تشريعي ، فقد سمع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنقله عن أهل الكتاب . روى البخاري عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " بلّغوا عني ولو آية ، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "(٢) . وكيف يأخذ عن أهل الكتاب غير هذا وهو تلميذ حبر الأمة ابن عباس الذي شدد النكير على من يأخذ عن أهل الكتاب .

ولقد كان له من ورعه وتقواه ، وحرصه الشديد على حفظ كلام الله ما يجعلنا نرجح هذا الجانب . توفي ـ رضي الله عنه سنة مائة وأربع هجرية على الأشهر ، وقيل غير ذلك .(٣)

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٥ ص٤٦٦ ، وميزان الاعتدال جـ٣ص٣٣٩ والاعلام للزركلي جـ٦ ص ١٦١

(٢) انظر مشكاة المصابيح ص ٧٠

(٣) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٥ ص٤٦٦ ، والكمال في أسماء الرجال (مخطوط) ، وتذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٨٦ ، وطبقات القراء للذهبي ص ٦٤٢ ، وميزان الاعتدال للذهبي جـ ٣ ص ٤٤٠ ، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الأثير الجزري جـ ٢ ص ٤١ ، وتهذيب التهذيب جـ١٠ ص ٤٣ .

ـ ٣ ـ

طاوس بن كيسان

٢٤٤ ـ طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء ، أبو عبدالرحمن[١] ، سمع ابن عباس وأبا هريرة ، وروى عنه مجاهد وعمرو ابن دينار[٢] . وهو من أكابر التابعين تفقها في الدين ورواية للحديث ، وتقشفا في العيش ، وجرأة في وعظ الخلفاء ، والملوك .[٣]

وكان من أحب التلاميذ إلى ابن عباس لما يمتازبه من صفاء واخلاص ، ودقة فهم ونباهة فكر ، قال ابن عيينة : " قلت لعبدالله ابن يزيد مع من تدخل على ابن عباس ؟ قال : مع عطاء وأصحابه ، قلت : وطاوس ، قال : هيهات ذلك ، يدخل مع الخواص[٤] " . ولقد كان كثير العبادة كثير الحج ، بين عينيه أثر السجود .[٥]

٢٤٥ ـ يحب العلماء ومجالستهم ، ويكره الأمراء ومصاحبتهم ، ويعتبرهم شر الأصحاب ، وكان يقول : " لا أعلم صاحبا شرا من ذي مال وذي شرف[٦] " ، وإذا جالسهم حفظ لنفسه الوقار والهيبة ، وعزة العلم والعلماء . دخل مرة مع وهب بن منبه على محمد بن يوسف أخي الحجاج فى غداة باردة ، فقعد على كرسي ، فقال محمد : ياغلام ، هلم ذاك الطيلسان فألقه على أبي عبدالرحمن ، فألقوه عليه ، فلم يزل يحرك كتفيه

---

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٥٣٧ ، ووفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٣٣ ، والأعلام جـ ٣ ص ٣٢٢ .

(٢) انظر وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٣٣

(٣) انظر الأعلام جـ ٣ ص ٣٢٢

(٤) انظر وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٣٣

(٥) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٥ ص ٥٣٩

(٦) انظر المصدر السابق .

حتى ألقى عنه الطيلسان ، وغضب محمد بن يوسف ، فقال وهب لطاوس : " والله إن كنت لفنيا أن تغضبه علينا ، لو أخذت الطيلسان فبعته وأعطيت ثمنه المساكين " ، فقال : " نعم ، لولا أن يقال من بعدي : أخذه طاوس ، فلا يصنع فيه ما أصنع ، إذاً لفعلت "(١) . وقد عرف لـه أهل الفضل تلك المكانة حتى قال ابن عيينة : " متجنبو السلطان ثلاثة : أبو ذر ، وطاوس ، والثوري "(٢) .

٢٤٦ ـ وكان ـ رضي الله عنه ـ قوي الشخصية ثابت الـرأى واثقا من نفسه وعلمه ، متثبتا من أخباره ، إذا سئل أجاب ، وإذا ناقش أظهر براعة وقوة ، فقد أنكر عليه سعيد بن جبير قوله عن ابن عباس: ان الخلع طلاق ، فلقيه مرة فقال له : " لقد قرأت القرآن قبل أن تولد ، ولقد سمعته وأنت إذ ذاك همك لقم الثريد "(٣) ، وقال مسرة لأبي ثابت : " إذا حدثتك الحديث فأثبته لك فلا تسألن عنه أحداً "(٤) ، وقال عنه ليث : " كان يمد الحديث حرفا حرفا "(٥) . إنها الثقة القوية بالنفس ، والقوة والتثبت في العلم ، وإنها لمنزلة لا يدركها إلا الأقلون ، ولكن نفس هذا العالم الجليل مؤهلة لهذه المكانة السامية حتى نالها بجدارة ، وبشهادة العلماء فيه ، قال قيس بن سعد : " كان طاوس فينا مثل ابن سيرين فيكم "(٦) .

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٥ ص ٥٤٢

(٢) انظر وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٣٣ ، وصفة الصفوة جـ ٢ ص ١٦٠ ، وتهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٨ ، والأعلام جـ ٣ ص ٣٢٢

(٣) انظر الطبقات جـ ٥ ص ٥٤٠ .

(٤) انظر المرجع السابق جـ ٥ ص ٥٣٩

(٥) انظر المرجع السابق نفس الصفحة .

(٦) انظر طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٥٤١ ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٨٣

٢٤٧ — وأي شهادة أعظم من شهادة الأستاذ لتلميذه ، فهذا عبد الله بن عباس — رضي الله عنه — يقول : " إني لأظن طاوسا من أهل الجنة "(١) . وهو يتألم من أهل زمانه لانصرافهم عن العلم وانشغالهم بالدنيا ، وعدم تثبتهم من الأخبار ، فيوصي أحد تلاميذته قائلا له : " ما تعلمت فتعلمه لنفسك ، فإن الناس قد ذهبت منهم الأمانة "(٢) . وقال عثمان الدارمي : قلت لابن معين : " طاوس أحب إليك أم سعيد ابن جبير ؟ فلم يخيّر "(٣) فهما فرسا رهان في حومة الميدان ، لا يُفضّل واحد منهما الآخر ، نهلا من معين واحد حتى ارتويا .

٢٤٨ — وكان من جرأته في الحق قوله في الحجاج : " عجبت لإخوتنا من أهل العراق يسمون الحجاج مؤمنا "(٤) ، فأي جرأة هذه ؟ إنها جرأة المؤمن بالله ، الموقن بلقائه ، يتكلم بالحق غير هياب ولا وجل ، في وقت ملأ ذكر الحجاج فيه أسماع الناس ، ودخلت رهبته قلوبهم ، ولكنه الإيمان يجعل عمله في النفوس الزكية ، حتى ينكر على الناس ترفهم ، فقد قال لفتية من قريش يطوفون بالكعبة : " إنكم تلبسون لبوسا ما كان آباؤكم يلبسونها ، وتمشون مشية ما يُحْسِن الزَّفَّانون (٥) أن يمشوها "(٦) .

٢٤٩ — وهو لا يقصر في نصح الملوك والخلفاء ، لأنه يعتبر ذلك أمانة في أعناق المسلمين ، فعندما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاوس : " إنْ أردت أن يكون عملك خيرا كله ، فاستعمل أهل الخير "

---

(١) انظر تهذيب التهذيب جـ : ٥ ص ٩ .
(٢) انظر الطبقات لابن سعد جـ : ٥ ص ٥٤١ .
(٣) انظر تهذيب التهذيب جـ : ٥ ص ٩ .
(٤) انظر الطبقات لابن سعد جـ : ٥ ص ٥٤٠ .
(٥) الزَّفْنُ : الرقص ، وقال للرقاص : زَفَّان (لسان العرب) .
(٦) انظر الطبقات لابن سعد جـ : ٥ ص ٥٤٢ .

فقال عمر : " كفى بها موعظة "(١) . إنها موعظة خرجت من القلب فدخلت في القلب ، وعملت عملها في النفس . هكذا يكتب إلى الخليفة ولا يقصد دار خلافته ، وهل له من غاية إلا إيصال النصح له ، وهذا تكفي فيه المراسلة ، إذن فلِمَ يقف على بابه ويدخل دار إمارته ؟! . إنه يصرف هذا الوقت في منفعة أخرى ، فتراه محبا للحج يسير إليه شهرا ويعود منه في شهرين ، فإذا سئل عن ذلك قال : " بلغني أن الرجل لا يزال في سبيل الله حتى يأتي بيته "(٢) .

٢٥٠ ـ فإذا التفت إلى حالته النفسية والخلقية ، وجدته ذا نفس زكية ، زاهدا فيما عند الناس ، راغبا فيما عند الله ، يقول : " اللهم احرمني المال والولد ، وارزقني الإيمان والعمل "(٣) . فأين المال من الإيمان ؟ وأين الولد من العمل الصالح ؟ إنه ينظر إلى الباقي ، ويتخلى عن زينة الحياة الدنيا ، طمعا فيما عند الله وإيثارا للباقية على الفانية .

ورأى رجلا أخذَ بسرقة فافتداه بدينار وأرسله (٤) ، فأين تجد مثل هذه النفس الكريمة التي تنظر إلى المذنب نظرة الرحمة والشفقة عليه ، لا شك إنها أخلاق من سمت نفسه وارتفعت إلى مستوى الملائكة ، ثم جعلت تنظر إلى الناس نظرة الفاحص الخبير .

٢٥١ ـ وإذا أمعنا النظر في كتب التفسير ، لم نجد لطاهر فيها إلا أقوالا قليلة جدا تعد على الأصابع ، وقد قرنها بأقوال شيخه ابن عاشور

---

(١) انظر وفيات الأعيان جـ : ١ ص٢٣٣ .

(٢) انظر الطبقات لابن سعد جـ : ٥ ص٥٤٢ .

(٣) انظر المرجع السابق جـ : ٥ ص٥٣٩ .

(٤) انظر المرجع السابق جـ : ٥ ص ٥٤٠ .

نجد أكثرها شديد الشبه بأقوال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، مما يكاد يجعلنا نقول : إن طاوسا لايعدو أن يكون راوية لابن عباس في التفسير ، ففي قوله سبحانه : " وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ... الآية "(١) قال ابن عباس : " هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضا ، يعطي الرجل الرجل العطية يريد أن يعطى أكثر منها "(٢) ، وقال طاوس : " هو الرجل يعطي العطية ويهدي الهدية لثياب أفضل من ذلك ، ليس فيه أجر ولا وزر "(٣) .

وفي قوله تعالى : " كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال : إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين * فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين "(٤) روي عن ابن عباس قال : " كان راهب من بني إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته ، وكان يؤتى من كل أرض فيسأل عن الفقه ، وكان عالما . وأن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت حسنة من أحسن الناس ، وأنهم أرادوا أن يسافروا ، فكبر عليهم أن يخلفوها ضائعة ، فجعلوا يأتمرون مايفعلون بها فقال أحدهم : أدلكم على من تتركونها عنده . قالوا : من هو ؟ قال : راهب بني إسرائيل ، إن ماتت قام عليها ، وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه . فعمدوا إليه فقالوا : إنا نريد السفر لانجد أحدا أوثق في أنفسنا ، ولا أحفظ لما ولي منك لما جعل عندك ، فإن شئت أن نجعل أختنا عندك فإنها ضائعة شديدة الوجع ، فإن ماتت فقم عليها ، وإن عاشت فأصلح إليها حتى نرجع . فقال : أكفيكم

---

(١) الروم : ٣٩ .
(٢) انظر تفسير الطبري جـ : ٢١ ص ٢٧ .
(٣) انظر تفسير الطبري جـ : ٢١ ص ٢٧ .
(٤) الحشر : ١٦ ، ١٧ .

إن شاء الله . فانطلقوا ، فقام عليها فداواها حتى برئت وعاد إليها حسنها ، فاطلع عليها فوجدها متصنعة ، فلم يزل به الشيطان يزين له أن يقع عليها حتى وقع عليها ، فحملت ، ثم ندَّمه الشيطان فزين له قتلها ، قال : إن لم تقتلها افتضحت وعرف شبهك في الولد . فلم يكن له معذرة ، فلم يزل به حتى قتلها . فلما قدم إخوتها قالوا : قد أحسنت . ثم جعلوا يرون في المنام ويُخبرون أن الراهب هو قتلها ، وانها تحت شجرة كذا وكذا . فعمدوا إلى الشجرة فوجدوها تحتها قد قتلت ، فعمدوا إليه فأخذوه . فقال له الشيطان : أنا زينت لك الزنا ، وقتلها بعد الزنا ، فهل لك أن أنجيك ؟ قال : نعم . قال : أتطيعني ؟ قال : نعم . قال : فاسجد لي سجدة واحدة ، فسجد له ، ثم قتل . فذلك قوله : "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان : اكفر ، فلما كفر قال : إني بريء منك ....." الآية "(١) .

وروى في هذه الآية عن طاوس قال : " كان رجل من بني إسرائيل عابدا ، وكان ربما داوى المجانين ، فكانت امرأة مجنونة ، فأخذها الجنون ، فجيء بها إليه ، فتركت عنده ، فأعجبته فوقع عليها فحملت . فجاءه الشيطان فقال : إن علم بهذا افتضحت فاقتلها وادفنها في بيتك ، وقل لأهلها : قد ماتت ، فقتلها ودفنها . فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه فقال : ماتت . فلم يتهموه لصلاحه فيهم . فجاءهم الشيطان فقال : إنها لم تمت ولكنه وقع عليها فقتلها ودفنها في بيته ، في مكان كذا وكذا . فجاء أهلها فقالوا ما نتهمك فأخبرنا أين دفنتها ؟ ومن كان معك ؟ ، فوجدوها حيث دفنها ، فأخذ وسجن . فجاءه الشيطان فقال : إن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فتخرج منه فاكفر بالله ، فأطاع الشيطان ،

---

(١) انظر تفسير الطبري جـ : ٢٨ ص ٣٢ .

أو لثياب عليها وهو قوله : " ليس فيه أجر ولا وزر " .

لهذا نكاد نقول عن طاوس : إنه فقيه لا مفسر ، بالنسبة للناحية الفنية الاصطلاحية فقط — وإن كان المصدر الأول والأسامي للفقه وشرع الأحكام هو كتاب الله سبحانه ، الذي بينته سنة رسول الله وأقوال الأعلام من صحابته — ، وهذا ما جعل علماء الفقه يعدون طاوسا بين الفقهاء عندما يأتي ذكر الفقهاء (١) .

٢٥٣ — وإذا اعتبرنا طاوسا راوية لأقوال شيخه ابن عباس في التفسير ، وناشرا للفقه — وإن كان فقيها بحد ذاته — فإن المنطقة التي روى ونشر فيها علمه وعلم شيخه غير المنطقة التي قام فيها بقية تلاميذ ابن عباس ، فمنطقة طاوس هي أرض اليمن ، وقد خلفه ابنه بعد وفاته في الفقه وفي الرواية عن ابن عباس (٢) ، فإن ابن أبي ليلى عندما عدد فقهاء مكة ذكر في أولهم : عطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير . وعندما عدد فقهاء اليمن ذكر في أولهم : طاوس وابنه (٣) . وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ : " طاوس كان شيخ أهل اليمن وعالمهم وفقيههم ، له جلالة عظيمة .... الخ " (٤) .

---

(١) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج : ٣ ص ٤١٦ .

(٢) اذا رجعنا إلى تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني — المخطوط بدار الكتب المصرية — رأينا عبد الرزاق يروي فيه كثيراً من أقوال ابن عباس من طريق معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه طاوس ، عن عبد الله بن عباس .

(٣) انظر العقد الفريد ج : ٣ ص ٤١٦ .

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ج : ١ ص ٨٤ .

٢٥٤ ـ وقد حُبب إليه الحج حتى أدركه منيته وهو حاج ، فلم تخرج جنازته إلا بصعوبة شديدة يحمله عبد الله بن الحسن بن علي ابن أبي طالب على كاهله وقد سقطت قلنسوته ومزق ردائه من خلفه (١) .

وكانت وفاته ـ رضي الله عنه ـ قبل يوم التروية بيوم سنة ست ومائة ، وصلى عليه هشام بن عبد الملك وهو خليفة (٢) .

---

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج : ١ ص ٢٣٣ .

(٢) انظر طبقات ابن سعد ج : ٥ ص ٢٤٢ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ج : ١ ص ٤٤١ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ج : ١ ، ص ٢٣٣ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج : ١ ص ٨٣ ، والأعلام للزركلي ج : ٣ ص ٣٢٢ .

- ٤ -

عكـــــرمة

٢٥٥ - عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، أبو عبد الله ، مولى عبد الله بن عباس (١) ، أصله من البربر من أهل المغرب (٢) ، كان لحصين ابن الخير العنبري ، فوهبه لابن عباس - رضي الله عنهما - حين ولاه علي ابن أبي طالب البصـرة (٣) .

وما إن دخل بيت ابن عباس حتى اهتم بتعلّم القرآن والســـنة ، روي عن عكرمة أنـه قال : " كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبـــل (٤) ، يعلمني القرآن ويعلمني السنة " (٥) .

سمع من عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعمرو بن العاص ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري وغيرهم (٦) .

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد جـ : ٥ ص ٢٨٧ ، ووفيات الأعيان لابـــن خلكان جـ : ١ ص ٣١٩ ، والأعلام جـ : ٥ ص ٤٣ .

(٢) انظر الكمال في أسماء الرجال (مخطوط) ، ووفيات الأعيان جـ : ١ ص ٣١٩ .

(٣) انظر المرجعين السابقين .

(٤) الكبل : قيد ضخم . قال ابن سيده : الكَبْل والكِبل : القيد من أي شيء كان ، وقيل : هو أعظم مايكون من الأقياد ، يقال : كَبَلْتُ الأســـير وكَبَّلْتُه إذا قيدته (لسان العرب) . وهذا يدل على حرص ابن عبـاس على تعليم عكرمة ، وجره إلى استماع الخير ، فهو من باب قول الرســول - صلى الله عليه وسلم - : " ضحكت من قوم يُؤتَى بهم إلى الجنة فـــي كبل الحديد " انظر لسان العرب جـ ١١ ص ٥٨٠ ط بيروت ١٩٥٦م .

(٥) انظر طبقات ابن سعد جـ : ٥ ص ٢٨٧ ، وميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٩٥ وتذكرة الحفاظ جـ : ١ ص ٨٩ .

(٦) انظر طبقات ابن سعد جـ : ٥ ص ٢٨٧ ، والكمال في أسماء الرجـــال (مخطوط) ، ومعجم الأدباء جـ : ١٢ ص ١٨١ ، وغاية النهاية فـــي طبقات القراء جـ : ١ ص ٥١٥ ، ووفيات الأعيان جـ : ١ ص ٣١٩ .

٢٥٦ ـ وقد استفاد من عبد الله بن عباس علما غزيرا ، وجاوز بعلمه الذي أخذه عنه حدود مكة ، فنشره في كثير من الأقطار الإسلامية ، لأنه طاف بالبلدان شرقا وغربا ، يحدث من علمه ، ويأخذ الناس عنه ، فقد رحل إلى خراسان ، واليمن ، والعراق ، والشام ، ومصر ، والحرمين . ولعلّ قسوة العيش كانت من الدوافع التي تدفعه إلى الأسفار . حدّث الحاكم بإسناد رفعه إلى أبي خالد عبد المؤمن بن خالد الحنفي قال : "رأيت عكرمة بنيسابور فقلت له : تركت الحرمين وجئت إلى خراسان ؟ قال : جئت أسعى على بنياتي" (١) .

٢٥٧ ـ والباحث المتتبع لتاريخه يجد أنه على مبلغ عظيم من العلم ، وعلى مكانة عالية في التفسير خاصة ، وقد شهد له العلماء بذلك ، قال عنه ابن حبان : "كان من علماء زمانه بالفقه والقرآن" (٢) ، وقال عمرو بن دينار : "دفع إليّ جابر بن زيد مسائل أسأل عنها عكرمة ، وجعل يقول : هذا عكرمة مولى ابن عباس ، هذا البحر فسلوه" (٣) . وعن الشعبي قال : "ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة" (٤) . وروى ابن سعد في طبقاته بإسناده إلى سلام بن مسكين قال : "كان عكرمة من أعلم الناس بالتفسير" (٥) .

وهذا سيّده وأستاذه عبد الله بن عباس يثني عليه ، ويكسوه حلة ، لأنه برهن على دقة ذكائه ، وغزارة فهمه ، فعن عكرمة قال : "قرأ ابن عباس

---

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت جـ : ١٢ ص ١٨١ .
(٢) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٥ ص ٢٨٨ وميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٩٣ .
(٣) انظر المرجعين السابقين وتاريخ التشريع الإسلامي للسبكي ، والسايس والبوبري ص ١٨٧ الطبعة الثانية .
(٤) انظر معجم الأدباء جـ : ١٢ ص ١٨٨ ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٩٠ .
(٥) انظر الطبقات لابن سعد جـ : ٥ ص ٢٨٨ .

هذه الآية : " لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا "(١) قال : قال ابن عباس : لم أدر أنجا القوم أم هلكوا ، فمازلت أبين له ، أبصره حتى عرف أنهم قد نجوا ، قال فكساني حلة "(٢) .

وكان ابن عباس لا يألو جهدا في إرشاده وتثقيفه ، روى البخاري في صحيحه عن عكرمة ، أن ابن عباس قال له : " حدث الناس كل جمعة مرة ، فإن أبيت فمرتين ، فإن أكثرت فثلاث مرات ، ولا تمل الناس هذا القرآن ، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ، ولكن أنصت ، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه ، وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإني عهدت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه لا يفعلون ذلك "(٣) . وبهذا استحق أن يخلف ترجمان القرآن ابن عباس ويكون حبر الأمة من بعده . عن شهر ابن حوشب قال : " عكرمة حبر هذه الأمة "(٤) وهذا سفيان الثوري يقول بالكوفة : " خذوا التفسير عن أربعة : سعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، والضحاك "(٥) ، وقال علي بن المديني (٦) : " لم يكن في موالي ابن

---

(١) الأعراف : ١٦٤ .

(٢) انظر طبقات ابن سعد : جـ : ٥ ص ٢٨٨ .

(٣) انظر مشكاة المصابيح ص ٨٤ .

(٤) انظر ميزان الاعتدال جـ : ٣ ص ٩٢ .

(٥) انظر معجم الأدباء لياقوت جـ : ١٢ ص ١٨٨ .

(٦) علي بن المديني : هو علي بن محمد بن عبد الله ، أبو الحسن المديني : راوية مؤرخ ، له تصانيف تزيد عن المائتين ، من أهل البصرة ، سكن المدائن ، ثم انتقل إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن توفي . ولد سنة / ١٣٥ / هـ ومات سنة / ٢٢٥ / هـ . انظر الفهرست لابن النديم جـ ص ١٤٧ ـ ١٥٢ وتاريخ بغداد جـ ١٢ ص ٥٤ .

عباس أغزر من عكرمة ، كان عكرمة من أهل العلم "(١) . وعن عكرمة أنه قال : " طلبت العلم أربعين سنة ، وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدار "(٢) .

هذا هو مقدار علمه ، ولا عجب ، فإن ملازمته لابن عباس ، ومبالغة مولاه في تعليمه إلى درجة أنه كان يجعل في رجله الكبل ، وكان يعلمه القرآن والسنة — جعلتاه ينهل من معينه الفياض ، ويأخذ عنه علمه الغزير .

٢٥٨ — وتطالعنا كتب التفسير بأقوال كثيرة لعكرمة ، نثبت فيما يلي طرفا منها ، لتتكامل الصورة عن شخصيته في التفسير فنقول :

روي عن عكرمة في تفسير الرعد قال : " ملك في السحاب يجمع السحاب كما يجمع الراعي الإبل " وعن تسبيح الرعد قال : " إن الرعد ملك يوكل بإزجاء السحاب ، فيؤلف بينه ، فذلك الصوت تسبيحه "(٣) .

وفي مجال العقيدة نرى عكرمة قد اعتبر أن إسناد أي أمر من الأمور إلى مخلوق من مخلوقات الله ضرب من ضروب الشرك بالله ، فعندما نرجع إلى تفسير قوله سبحانه : " فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون "(٤) نرى عكرمة قال : " فلا تجعلوا لله أندادا ، أي ، لا تقولوا : لولا كلبنا لدخل علينا اللص ، لولا كلبنا في الدار ونحو ذلك ، فنهاهم الله تعالى أن يشركوا

---

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت جـ : ١٢ ص ١٨٨ .

(٢) انظر معجم الأدباء جـ : ١٢ ص ١٨٨ . وانظر فتواه في حياة ابن عباس في تذكرة الحفاظ جـ : ١ ص ٩٠ .

(٣) انظر تفسير الطبري جـ : ١ ص ١١٦ .

(٤) البقرة : عجز الآية (٢٢) وتمامها بأولها مع التي قبلها : " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون " .

به شيئا ، وأن يعبدوا غيره ، أو يتخذوا له ندا وعدلا في الطاعة "(١) .

وفي قوله سبحانه : " ثم أنشأناه خلقا آخر "(٢) قال : "نفخ فيه الروح "(٣) ، وعنه في قوله سبحانه : " والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون "(٤) قال : " يعطون ما أعطوا "(٥) . وفي قوله سبحانه : " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما "(٦) . قال : " هونا : بالوقار والسكينة "(٧) .

وفي قوله تعالى : " من جاء بالحسنة فله خير منها ، وهم من فزع يومئذ آمنون * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوهم في النار ، هل تجزون إلا ما كنتم تعملون "(٨) ، بيّن أن الحسنة : شهادة أن لا إله إلا الله ، والسيئة : الشرك ، ثم عم بالنسبة للسيئة ، فجعلها قاعدة من قواعد أصول التفسير فقال : " كل شيء في القرآن السيئة ، فهو الشرك "(٩) :

وعنه في قوله سبحانه وتعالى : " وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم .. الآية "(١٠) ، قال : " من حصونهم "(١١) ، إلى غير ذلك من الكثير مما روي عنه .

---

(١) انظر تفسير الطبري جـ : ١ ص ١٢٥ .
(٢) المؤمنون : من الآية ١٤ .
(٣) انظر تفسير الطبري جـ : ١٨ ص ٧ .
(٤) المؤمنون : ٦٠ .
(٥) انظر تفسير الطبري جـ : ١٨ ص ٢٢ .
(٦) الفرقان : ٦٣ .
(٧) انظر تفسير الطبري جـ : ١٩ ص ٢٠ .
(٨) النمل : الآيتان ٨٩ ، ٩٠ .
(٩) انظر تفسير الطبري جـ : ٢٠ ص ١٥ .
(١٠) الأحزاب من الآية ٢٦ وتمامها : " وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا " .
(١١) انظر تفسير الطبري جـ : ٢١ ص ٨٩ .

٢٥٩ ـ ولئن قيل عنه : إنه كان يكذب على ابن عباس ، وإنه حبس في ذلك ـ فإن هذا مما لا يقوم عليه دليل صحيح ، ولقد رَدَّ هو بنفسه على هؤلاء ، كما روى ابن سعد عنه أنه قال : " أرأيت هؤلاء الذين يكذبوني من خلفي ، أفلا يكذبوني في وجهي ، فإذا كذبوني في وجهي ، فقد والله كذبوني "(١) . ثم إن أمر ابن عباس له أن يفتي في عهده ، دليل عظيم على توثيق استاذه له ، وإجازته إياه بنشر علمه . حدث الحاكم بإسناد رفعه إلى يزيد النحوي عن عكرمة قال : " قال لي ابن عباس : انطلق فأفت الناس فأنا لك عون . قال : قلت : لو أن هذا الناس مَثَلُهم بَيْن لأفتيتهم ، قال : انطلق فأفت الناس ، فمن جاءك يسألك عما يعلمه فأفته ، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته ، فإنك تطرح عني ثلثي مؤنة الناس "(٢) ! أليست ثقة ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ به وصلته هي التي جعلته يأمره بالفتيا بين الناس ؟!

٢٦٠ ـ وقد شهد له أئمة العلم بالفضل وثقوه ، إلا أنه كان ينسب إليه أنه يرى رأي الخوارج وينشر مذهبه ورأيه ، وينسبه إلى ابن عباس ، فعن أحمد بن حنبل قال : " كان عكرمة من أعلم الناس ، ولكنه كان يرى رأي الصفرية "(٣) .

ولم يدع عكرمة موضعا إلا خرج إليه : خراسان ، والشام ، واليمن ، ومصر ، وإفريقية ، كان يأتي الأمراء فيطلب جوائزهم ،

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٥ ص ٢٨٨

(٢) انظر وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٩ ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي جـ ١٢ ص ١٨١ .

(٣) انظر ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٩٦ .

وأتى الجَنَد[١] إلى طاوس فأعطاه ناقة[٢]. وقال مصعب الزبيري[٣]: "كان عكرمة يرى رأي الخوارج، فطلبه متولي المدينة، فتغيب عند داود بن الحصين حتى مات عنده".[٤]

ولعل هذه الناحية هي التي جعلت بعض الناس يتركون الرواية عنه، ويتكلمون فيه، فانصرف عنه الناس حتى كان في فقر مدقع، يلبس المخرق من الثياب، وهو يومئذ من العلماء. قال عمران بن حُدير: "انطلقت أنا ورجل إلى عكرمة فرأينا عليه عمامة مشققة، فقال لصاحبي: ما هذه العمامة؟ إن عندنا عمائم. فقال عكرمة: إنا لا نأخذ من الناس شيئا، إنا نأخذ من الأمراء. قلت: بل الانسان على نفسه بصيرة، فسكت. قلت: إن الحسن قال: يا ابن آدم، عملك أحق بك، قال: صدق الحسن[٥]". ولا بأس عليه في ذلك مادام واثقا

---

(١) الجَنَد: من المدن النجدية باليمن، بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخا، والجَنَد مسماة بجَنَد بن شهران، بطن من المعافر. انظر معجم البلدان لياقوت جـ ٢ ص ١٦٩ طبع بيروت عام ١٩٥٦م.

(٢) انظر ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٩٦

(٣) مصعب الزبيري: هو مصعب بن عبدالله بن مصعب بن ثابت ابن عبدالله بن الزبير، أبو عبدالله: علّامة بالأنساب، غزير المعرفة بالتاريخ، كان أوجه قومه مروءة وعلما وشرفا. ولد بالمدينة، وسكن بغداد وتوفي بها.

انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ١٦٢، وتاريخ بغداد جـ ١٣ ص ١١٢، والفهرست لابن النديم، طبعة فلوجل جـ ١ ص ١١٠.

(٤) انظر ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٩٦

(٥) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٥ ص ٢٩١.

من نفسه ومعلوماته ، فقد صبر على هذا وتحمل الجوع مع بناته وذاق مرّ العيش ، وتنقل في البلاد ليحصل على طعامه .

ولا يضيره ماقيل عنه مادام صادقا في حديثه ، أمينا في نقله ، وقد قال عنه البخاري : " ليس أحد من أصحابنا إلا يحتج بعكرمة "(١) . وسئل يحيى بن معين عن عكرمة بن خالد فقال : " ثقة " ، فقيل له : هو أصح حديثا أو عكرمة مولى ابن عباس ؟ فقال : " كلاهما ثقتان "(٢) ، وقال : " إذا رأيت إنسانا يقع في عكرمة وفي حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام "(٣) . وقيل لأبي أيوب : أكان عكرمة يُتَّهم ؟ فسكت ساعة ثم قال : " أما أنا فلم أكن أتهمه "(٤) . ولقد حفظ علم ابن عباس ونقله إلى الناس ، وكان علي بن عبدالله بن عباس يحترمه لذلك ، حدث أن باعه لخالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ، فقال له عكرمة : ماخير لك ، بعت علم أبيك ، فاستقاله فأقاله فأعتقه .(٥)

٢٦١ ـ وخلاصة القول : أن عكرمة كان من العلماء المكثرين ، وأحد أوعية العلم الثقات . وإن مارمي به لايؤثر على علمه ، والثقة به ، وعدالته ، قال ابن حجر : " وأما البدعة ، فإن ثبتت عليه ، فلا تضر حديثه ، لأنه لم يكن داعية ، مع أنها لم تثبت عليه ".(٦)

---

(١) انظر الكمال في أسماء الرجال للمقدسي (مخطوط بدار الكتب المصرية ج ٣ مصحح :٢)

(٢) انظر معجم الأدباء ج ١٢ ص ١٨٩ .

(٣) انظر المرجع السابق .

(٤) انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٩٣ .

(٥) انظر المرجع السابق ج ٣ ص ٩٥

(٦) انظر مقدمة فتح الباري ص ١٤٨ .

وهل يبقى كلام بعد توثيق البخاري ، وابن معين ، وأحمد لـــه ؟

لاشك أنهم أهل الرأي الأول والأخير في هذا الموضـــوع ، وقد وثقـوه ، ونقلوا عنه ، وأخرجوا له في كتبهم الصحيحـة . توفـي بالمدينة سنة سبع ومائـة رضي الله عنه وأرضـاه .(١)

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٩٠ .

- ٥ -

عطاء بن أبي رباح

٢٦٢ - عطاء بن أبي رباح - واسم أبي رباح : أسلم بن صفوان - أبو محمد ، مولى آل أبي ميسرة بن أبي حثيم الفهري (١) ، سيد التابعين علما وعملا وإتقانا في زمانه بمكة (٢) ، نشأ فيها ، وسمع من عائشة ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وأم سلمة ، وغيرهم (٣).

٢٦٣ - امتلأ علما ، واكتسب زهدا وورعا ، إذا نظرت إليه رأيته أسود اللون ، مفلفل الشعر ، أفطس الأنف ، ولكن ما إن تستمع إليه حتى يجذبك إليه بعلمه وتقواه ، ولقد كان يُحَبَّبُ إليه جليسه بما يتمتع به من صبر وأناة وخلق رزين ، حدث رجل مرة بحديث أمام عطاء فاعترضه رجل آخر ، فغضب عطاء وقال : " ماهذه الأخلاق ؟! ماهذه الطباع ؟! والله إن الرجل ليحدث بالحديث لأنا أعلم به منه ، ولحسن أن يكون سمعه مني ، فانصت إليه وأريه كأني لم أسمعه قبل ذلك " (٤) بهذه الأخلاق ملك قلوب جلسائه ، حتى إذا جلس للفتيا ، وهو يومئذ في مركز الصدارة ، علته هيبة ووقار ، ثم ذكر الله طويلا والناس ينظرون إليه ، ثم يبتدرونه بالسؤال ، فإذا تكلم خِلْتَهُ يُؤَيَّد . (٥)

---

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٤٦٧ ، ووفيات الأعيان : جـ ١ ص ٣١٨ ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٩٢ .

(٢) انظر ميزان الاعتدال للذهبي جـ ٣ ص ٧٠

(٣) انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٩٢

(٤) انظر طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٤٦٩ ، وميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٧٠ .

(٥) انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٩٢ .

٢٦٤ - وكان مسدد الجواب ، حسنه ، قال محمد بن عبدالله الديباج : " ما رأيت مفتيا خيرا من عطاء ، إنما كان مجلسه ذكر الله لايفتر ، فإن سئل أحسن الجواب "(١) . يأنس بالجلوس في المسجد ، لايحب مغادرته ، وربما أطال مكثه فيه ونام ، قال ابن جريج : " كان المسجد فراشه عشرين سنة ، وكان من أحسن الناس صلاة "(٢) ، حتى بان أثر السجود عليه ، حدث أبو معاوية المغربي فقال : " رأيت عطاء بن أبي رباح بين عينيه أثر السجود "(٣) .

وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث ، انتهت إليه الفتيا في مكة ، وصار علما يشار إليه . جاء أعرابي فجعل يقول : أين أبو محمد ؟ قال : فأشاروا إلى سعيد بن جبير ، فقال : أين أبو محمد ؟ فقال سعيد : مالنا ههنا مع عطاء شئ .(٤)(٥)

٢٦٥ - ولقد برع عطاء في الفقه ، وامتاز على أقرانه بدقائق أحكام الحج ومناسكه ، حتى احتاج إلى علمه أبو حنيفة النعمان حيث قال : " أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام ، وذلك أني أردت أن أحلق رأسي فقال لي : أعرابي أنت ؟ قلت : نعم . وكنت قلت له : بكم تحلق رأسي ؟ ، فقال : النسك لايشارط فيه ، اجلس ، فجلست منحرفا عن القبلة فأومأ إلي باستقبال القبلة ، وأردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر ، فقال : أدر شقك الأيمن من رأسك

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٩٢

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) انظر طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٤٩٦

(٤) انظر المرجع السابق .

(٥) انظر نفس المرجع .

فأدرته ، وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت ، فقال لي : كبّر ، فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب ، فقال : أين تريد ؟ قلت : رحلي ، فقال : صل ركعتين ثم امض ، فقلت : ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلا ومعه علم ، فقلت : من أين لك ما رأيتك أمرتني به ، فقال : رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا "(١) . وقد شهد له العلماء الأفذاذ بذلك ، فعن أسلم المنقري قال : كنت جالسا مع أبي جعفر إذ مر عليه عطاء بن أبي رباح فقال : " ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء بن أبي رباح "(٢) ، وعن قتادة قال : " كان عطاء من أعلم الناس بالمناسك "(٣) .

٢٦٦ ـ وكان يجمع إلى هذا دقة في الحديث وتثبتا في الرواية . حدث سفيان عن ابن جريج قال : " كان عطاء إذا حدث بشيء ، قلت : علم أو رأي ؟ فان كان أثرا قال : علم ، وإن كان رأيا قال : رأي "(٤) . فأي دقة أعظم من هذه ؟ إنه يتحرى ذلك حتى لا يبقي شيئا غامضا بل يوضح ويجلو الحقيقة ، وهو إلى هذا يجمع حب الناس له ، وثقتهم به ، فهذا ليث يروي عن عبدالرحمن أنه قال : " والله ما أرى إيمان أهل الأرض يعدل إيمان أبي بكر ، ولا أرى إيمان أهل مكة يعدل إيمان عطاء "(٥) .

٢٦٧ ـ وإذا كان عطاء قد خلف ابن عباس بالفقه والمناسك في مكة ، فإن له دورا لا بأس به في التفسير ، فقد كان راوية لشيخه

---

(١) انظر وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٨

(٢) انظر طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٤٦٩

(٣) انظر المرجع السابق .

(٤) انظر نفس المرجع .

(٥) انظر نفس المرجع .

ابن عباس ، وكان يدلي برأيه أحيانا في تفسير بعض آيات القرآن . وإنا لنعرض فيما يلي جانبا من أقواله :

عن عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى : " ذلك الكتاب لاريب فيه " قال : " لاشك فيه "(١) . وفي قوله سبحانه : " أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق .. الآية "(٢) قال : " مثل ضرب للكافر "(٣) ، وفسّر الصيب فقال : " الصيب : المطر "(٤) ، وفي قوله تعالى : " ولهم فيها أزواج مطهرة "(٥) قال عطاء : " مطهرة من الولد والحيض والغائط والبول "(٦) ، وفي قوله تعالى : " ولا تأخذكم بهما رأفة .. الآية "(٧) قال : " يقام حد الله ولايعطل "(٨) ، وفي قوله سبحانه : " والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ، فإن الله غفور رحيم "(٩) قال عطاء : " القاذف إذا تاب تجوز شهادته "(١٠) . وفي قوله سبحانه : " والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات "(١١) قال : " الطيبات من القول للطيبين من الناس ،

---

(١) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٧٤

(٢) البقرة : من الآية ١٩

(٣) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ١١٩

(٤) انظر المرجع السابق جـ ١ ص ١١٤

(٥) البقرة : من الآية : ٢٥

(٦) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ١٣٥

(٧) النور : من الآية : ٢

(٨) انظر تفسير الطبري جـ ١٨ ص ٤٦

(٩) النور : ٤ ، ٥

(١٠) انظر تفسير الطبري جـ ١٨ ص ٥٤

(١١) النور : ٢٦ والآية بتمامها : " الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ، أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم " .

والطيبون من الناس للطيبات من القول ، والخبيثات من القول للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول "(١) . وروي عنه في تفسير الحسنة والسيئة قال : " من جاء بالحسنة ، قال : لا إله إلا الله . ومن جاء بالسيئة ، قال : الشرك "(٢) . وفي قوله تعالى : " ياعبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون "(٣) قال عطاء : " إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا ، فإن أرضي واسعة "(٤) .

وفي قوله سبحانه : " فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم "(٥) . عن عطاء بن أبي رباح ، في الرجل يفطر في اليوم الغيم يظن أن الليل قد دخل عليه ، في الشهرين المتتابعين ، أنه لا يزيد على أن يبدله ـ أي يصوم يوما بدله ـ ولا يستأنف شهرين آخرين .(٦)

٢٦٨ ـ ولعل أفضل ما نختم به كلامنا عنه شهادة أستاذه عبدالله بن عباس عندما قال : " يا أهل مكة ، تجتمعون علي وعندكم عطاء !! " إنها شهادة حق ، وتوجيه ظاهر للأخذ عن هذا التابعي الجليل ، لما اجتمع فيه من علم غزير ودقة وحذر . فلينهل الناس من علمه ، فهو جدير بمنصبه الذي ناله ، ولقد خلّد آثارا كبيرة في العلم

---

(١) انظر تفسير الطبري جـ ١٨ ص ٧٧

(٢) انظر تفسير الطبري جـ ٢٠ ص ١٤

(٣) العنكبوت : ٥٦

(٤) انظر تفسير الطبري جـ ٢١ ص ٧

(٥) المجادلة : ٤

(٦) انظر تفسير الطبري جـ ٢٨ ص ٨ .

(٧) انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٩١ .

والزهد والتقوى (١) ، فرضي الله عنه وأرضاه ، لقد أراد بعلمه وجه الله بشهادة سلمة عندما قال : " ما رأيت أحدا أراد بهذا العلم وجه الله غير هؤلاء الثلاثة : عطاء وطاوس ومجاهد (٢) " . مات على الأصح في رمضان سنة أربع عشرة ومائة ، وقيل سنة خمس عشرة بمكة (٣) ، تغمده الله بالرحمة والرضوان .

٢٦٩ - وفي ختام الحديث عن تلاميذ ابن عباس أحب أن أقول : إننا عندما ندرس أقوالهم جميعا في التفسير ، نجد بينها التشابه حينا ، والتطابق أحيانا ، وإذا قارنا أقوالهم بأقوال شيخهم ترجمان القرآن ، نراها تقارب أو تطابق أقوال شيخهم ، مما يكاد يجعلني أقول : إنهم قاموا بمهمة النشر والتوزيع لما حملوه من علم ابن عباس .

٢٧٠ - ولنستعرض الآن أقوالا في التفسير لابن عباس ، ونقارنها بأقوال تلاميذه ليظهر لنا ما ذكرته واضحا جليا .

- فسر ابن عباس الفرقان فقال : " الفرقان : المخرج (٤) "

وقال مجاهد : " يوم الفرقان : يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل (٥) " .

وقال عكرمة : " الفرقان : النجاة (٦) " . فإذا كان المراد بالمخرج والنجاة : المخرج والنجاة من الباطل ، كانت الآراء واحدة .

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٩١

(٢) انظر طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٤٦٨

(٣) انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٩٤

(٤) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٣٤

(٥) انظر المرجع السابق جـ ١ ص ٣٢

(٦) انظر نفس المرجع .

- وفي قوله : " ويذرك وآلهتك " قال ابن عباس: " عبادتك ، إنه كان يُعْبَد ولا يَعْبُد " وفي رواية أخرى عنه قال : " إنما كان فرعون يُعبد ولا يَعبد "(١)

وقال مجاهد : " ويذرك وآلهتك : وعبادتك "(٢)

- وفي قوله تعالى : " الحمد لله رب العالمين "(٣) . قال ابن عباس : " رب العالمين : الجن والإنس "(٤)

وقال مجاهد : " رب العالمين : الإنس والجن "(٥)

وقال سعيد بن جبير : " رب العالمين : الجن والإنس "(٦)

- وفي قوله تعالى : " ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين "(٧)

قال ابن عباس : " لاريب فيه : لاشك فيه "(٨).

وقال مجاهد : " لاريب فيه : لاشك فيه "(٩)

وقال عطاء : " لاريب فيه : أي لاشك فيه "(١٠)

- وفسر ابن عباس الصيب فقال : " الصيب : المطر " وكذلك قال عطاء .(١١)

---

(١) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٤١

(٢) انظر المرجع السابق

(٣) الفاتحة : ١

(٤) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ٤٧

(٥) انظر نفس المرجع جـ ١ ص ٤٨

(٦) انظر نفس المرجع جـ ١ ص ٤٧

(٧) البقرة : ٢

(٨) انظر تفسير الطبرى جـ ١ ص ٧٤

(٩) انظر المرجع السابق

(١٠) انظر نفس المرجع

(١١) انظر نفس المرجع جـ ١ ص ١١٤

- وفسر ابن عباس الرعد في قوله تعالى : " أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ... الآية "(١) فقال : " الرعد : ملك يسبح الله "(٢)

وقال مجاهد : " الرعد : ملك يزجر السحاب بصوته "(٣)

وقال عكرمة : " الرعد : ملك في السحاب ، يجمع السحاب كما يجمع الراعي الإبل " ، وفي رواية أخرى عنه ، قال : " إن الرعد ملك يؤمر بازجاء السحاب فيؤلف بينه ، فذلك الصوت تسبيحه "(٤).

- وفي قوله سبحانه : " ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون "(٥) قال ابن عباس : " وأزواج مطهرة من القذر والأذى "(٦).

وقال مجاهد : " مطهرة من الحيض ، والغائط ، والبول ، والنخام ، والبزاق ، والمني ، والولد "(٧).

وقال عطاء : " مطهرة من الولد ، والحيض ، والغائط ، والبول ... وذكر أشياء من هذا النحو "(٨).

- وفي قوله تعالى : " ثم أنشأناه خلقا آخر "(٩) ، قال ابن عباس : " نفخ فيه الروح "(١٠).

---

(١) البقرة : ١٩

(٢) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ١١٥ـ ١١٦

(٣) انظر المرجع السابق جـ ١ ص ١١٥

(٤) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ١١٦

(٥) البقرة : من الآية : ٢٥

(٦) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ١٢٥

(٧) انظر المرجع السابق

(٨) انظر نفس المرجع

(٩) المؤمنون : من الآية : ١٤

(١٠) انظر تفسير الطبري جـ ١٨ ص ٧ .

وقال مجاهد : " ثم أنشأناه خلقا آخر : نفخ فيه الروح "(١) .

وروي عن عكرمة مثل ذلك (٢) .

- وفي قوله تعالى : " فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين "(٣)

قال ابن عباس : " جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر "(٤) .

وقال مجاهد : " غثاء : كالريم الهامد الذي يحتمل السيل "(٥) .

- وفي قوله تعالى : " والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة ... الآية "(٦)

قال ابن عباس : " المؤمن ينفق ماله ويتصدق وقلبه وجل ، أنه إلى ربه راجع " وفي رواية أخرى عنه قال : " يعملون خائفين "(٧) .

وقال مجاهد : " المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل "(٨) .

وقال سعيد : " يفعلون ما يفعلون ، وهم يعلمون أنهم صائرون إلى الموت ، وهي من المبشرات "(٩) .

وقال عكرمة : " يعطون ما أعطوا قلوبهم وجلة "(١٠)

- وفي قوله تعالى : " سامرا تهجرون "(١١) قال ابن عباس :

---

(١) انظر تفسير الطبري جـ : ١٨ ص ٧ .

(٢) انظر نفس المرجع .

(٣) المؤمنون : من الآية (٤١) والآية بتمامها : " فأخذتهم الصيحة فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين " .

(٤) انظر تفسير الطبري جـ: ١٨ ص ١٥ .

(٥) انظر المرجع السابق .

(٦) المؤمنون (٦٠) وتمامها : " أنهم إلى ربهم راجعون " .

(٧) انظر تفسير الطبري جـ : ١٨ ص ٢٢ .

(٨) انظر المرجع السابق .

(٩) انظر نفس المرجع .

(١٠) انظر نفس المرجع .

(١١) المؤمنون (٦٧) والآية بتمامها : " مستكبرين به سامرا تهجرون " .

" سامرا : يسمرون حول البيت "(١) ، وفي تهجرون قال : " تقولون هجرا "(٢) .

وعن مجاهد سامرا قال : " مجلسا بالليل ، وعنه في تهجرون ، قال : " بالقول السيء في القرآن "(٣) .

وعن سعيد بن جبير في " سامرا تهجرون " قال : " يسمرون بالليل ، يخوضون في الباطل "(٤) .

وعن عكرمة أنه قرأ : " سامرا تهجرون " قال : " أبي تسبون "(٥) .

- وفي قوله تعالى : " والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ، فإن الله غفور رحيم "(٦) . تلا ابن عباس الآية إلى قوله : " ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا " ثم قال : " فمن تاب وأصلح فشهادته في كتاب الله تقبل "(٧) .

وقال عطاء وطاوس ومجاهد : " القاذف إذا تاب تجوز شهادته "(٨) ، وزاد طاوس : " توبة القاذف أن يكذب نفسه "(٩) .

---

(١) انظر تفسير الطبري جـ : ١٨ ص ٢٦ .
(٢) انظر المرجع السابق جـ : ١٨ ص ٢٨ .
(٣) انظر المرجع السابق جـ : ١٨ ص ٢٧ .
(٤) انظر نفس المرجع .
(٥) انظر نفس المرجع جـ : ١٨ ص ٢٨ .
(٦) النور : ٤ ، ٥ .
(٧) انظر تفسير الطبري جـ : ١٨ ص ٥٦ .
(٨) انظر المرجع السابق جـ : ١٨ ص ٥٤ .
(٩) انظر نفس المرجع جـ : ١٨ ص ٥٦ .

- وفي قوله تعالى : " من جاء بالحسنة فله خير منها ، وهم من فزع يومئذ آمنون * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار ، هل تجزون إلا ما كنتم تعملون " (١) ، روي عن ابن عباس قوله : " من جاء بالحسنة " قال : " من جاء بلا إله إلا الله " ، ومن جاء بالسيئة ، قال : " الشرك " (٢) .

وعن مجاهد قوله : " من جاء بالحسنة ، قال : " كلمة الإخلاص " ، ومن جاء بالسيئة ، قال : " الشرك " (٣) .

وعن عكرمة قوله : من جاء بالحسنة قال : " شهادة أن لا إله إلا الله " ، ومن جاء بالسيئة ، قال : " السيئة : الشرك " ، ثم أضاف عكرمة على ذلك فقال : " كل شيء في القرآن السيئة فهو الشرك " (٤) .

وعن عطاء من جاء بالحسنة قال : " لا إله إلا الله " ، ومن جاء بالسيئة ، قال : " الشرك " (٥) .

- وفي قوله سبحانه : " ووجد من دونهم امرأتين تذودان ..الآية " (٦) قال ابن عباس : " تذودان : يعني بذلك حابستان " (٧) ، وقال سعيد بن جبير مثل قوله (٨) .

---

(١) النمل : ٨٩ ، ٩٠ .
(٢) انظر تفسير الطبري جـ : ٢٠ ص ١٤ .
(٣) انظر المرجع السابق .
(٤) انظر نفس المرجع : جـ : ٢٠ ص ١٥ .
(٥) انظر نفس المرجع جـ : ٢٠ ص ١٤ .
(٦) القصص : من الآية ٢٣ .
(٧) انظر تفسير الطبري جـ : ٢٠ ص ٣٣ .
(٨) انظر المرجع السابق .

ـ وفي قوله تعالى : " وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم هم المضعفون "(١) ، قال ابن عباس : " وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس : هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضا ، يعطي الرجلُ الرجلَ العطيةَ يريد أن يُعطَى أكثر منها "(٢) .

وقال مجاهد : " هي الهدايا ، يعطي ماله يبتغي أفضل منه "(٣) .

وقال سعيد بن جبير : " هو الرجل يعطي الرجل العطية ليثيبه "(٤) .

وقال طاوس : " هو الرجل يعطي العطية ويهدي الهدية ليثاب أفضل من ذلك ، ليس فيه أجر ولا وزر "(٥) .

ونكتفي بهذا القدر من النماذج ، التي يرى الباحث فيها أنها تخرج من مشكاة واحدة ، وتظهر فيها جميعا شخصية المفسر الجليل حبر الأمة عبد الله بن عباس .

٢٧١ ـ وقبل أن أضع القلم سأتناول باختصار دور هذه المدرسة ـ التي أسسها ابن عباس ـ في نشر وتوزيع التفسير على كافة المناطق الإسلامية ، مما زاد في شهرة ابن عباس ، وجعل الأعناق تشرئب لسماع أقواله .

لقد أسس ابن عباس مدرسته في مكة ، وعنها كان يحمل الحجاج في كل عام ما يحملونه من علم إلى بلادهم .

---

(١) الروم : ٣٩ .
(٢) انظر تفسير الطبري جـ : ٢١ ص ٢٧ .
(٣) انظر المرجع السابق .
(٤) انظر نفس المرجع .
(٥) انظر نفس المرجع .

— وفي قوله تعالى : " وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم هم المضعفون "(١) ، قال ابن عباس : " وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس : هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضا ، يعطي الرجلُ الرجلَ العطيةَ يريد أن يُعطَى أكثر منها "(٢) .

وقال مجاهد : " هي الهدايا ، يعطي ماله يبتغي أفضل منه "(٣)

وقال سعيد بن جبير : " هو الرجل يعطي الرجل العطية ليثيبه "(٤) .

وقال طاوس : " هو الرجل يعطي العطية ويهدي الهدية ليثاب أفضل من ذلك ، ليس فيه أجر ولا وزر "(٥) .

ونكتفي بهذا القدر من النماذج ، التي يرى الباحث فيها أنها تخرج من مشكاة واحدة ، وتظهر فيها جميعا شخصية المفسر الجليل حبر الأمة عبد الله بن عباس .

٢٧١ — وقبل أن أضع القلم سأتناول باختصار دور هذه المدرسة — التي أسسها ابن عباس — في نشر وتوزيع التفسير على كافة المناطق الإسلامية ، مما زاد في شهرة ابن عباس ، وجعل الأعناق تشرئب لسماع أقواله .

لقد أسس ابن عباس مدرسته في مكة ، وعنها كان يحمل الحجاج في كل عام ما يحملونه من علم إلى بلادهم .

---

(١) الروم : ٣٩ .
(٢) انظر تفسير الطبري جـ : ٢١ ص ٢٧ .
(٣) انظر المرجع السابق .
(٤) انظر نفس المرجع .
(٥) انظر نفس المرجع .

٢٧٢ - وبعد وفاة ابن عباس استقر المركز الرئيسي لهذه المدرسة في مكة ، حيث تابع نشر العلم وتوزيعه منها إلى أقطار العالم الإسلامي ثلاثة من تلاميذه : هم عطاء بن أبي رباح ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، حتى أصبح هؤلاء الثلاثة يعدون من رؤوس فقهاء مكة وعلمائها (١) . وإذا كان لسعيد بن جبير رحلة إلى الري نشر فيها الكثير من العلم (٢) ، ولمجاهد رحلات سياحية استطلاعية كثيرة (٣) ، فإن مركزهما الرئيسي ومستقرهما كان في مكة (٤) .

٢٧٣ - واستقر طاوس في اليمن ينشر هناك علم ابن عباس وتفسيره (٥) .

أما عكرمة فقد طاف في البلاد الإسلامية شرقا وغربا ، ينشر العلم ويحدث عن شيخه ابن عباس ، فقد رحل إلى خراسان ، واليمن ، والعراق ، والشام ، ومصر ، والحرمين (٦) .

وهكذا شع نور العلم من مدرسة ابن عباس ، وأصبح لها فرعان آخران خارج مكة ، فرع استقر في أقصى الجنوب في أرض اليمن ، ومثل هذا الفرع طاوس ، وفرع متنقل في البلاد الإسلامية ، ومثله عكرمة ، رضي الله عنهم جميعا .

---

(١) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه جـ : ٣ ص ٤١٦ .

(٢) انظر ما جاء في تفسير الطبري جـ ١ ص ٣٠ عن عبد الملك بن ميسرة قال : " لم يلق الضحاك ابن عباس ، وإنما لقي سعيد بن جبير بالري ، وأخذ عنه التفسير " .

(٣) انظر الفقرة : ٢٤٠ من هذه الرسالة ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٨٧ .

(٤) انظر تهذيب التهذيب جـ : ١٠ ص ٤٢ .

(٥) انظر العقد الفريد جـ ٣ ص ٤١٦ ، وتهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٨ .

(٦) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٥ ص ٢٨٧ ، والكمال في أسماء الرجال (مخطوط) ، ومعجم الأدباء جـ : ١٢ ص ١٨١ ، وغاية النهاية في طبقات القراء جـ : ١ ص ٥١٥ ، ووفيات الأعيان جـ : ١ ص ٣١٩ .

الرواية عن ابن عباس

٢٧٤ ـ إنا لنلمس التناقض ظاهرا بين أقوال في التفسير نسبت إلى ابن عباس ، والسر في ذلك تسرب الخلل إلى ماروي عنه ، وتطرق الضعف إليه ، إلى درجة كادت تفقدنا الثقة بكل ماروي عنه ، حتى نقل عن الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : " لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شيء بمائة حديث " (١) .

ولقد كثرت الروايات عنه كثرة جاوزت الحد ، فكانت عاملا قويا في صرف همة العلماء عن البحث والتمحيص ، والتعديل والتجريح ، فظل صحيح هذه الروايات وسقيمها خليطا في كثير من بطون الكتب .

٢٧٥ ـ واختلاط الصحيح بالسقيم من هذه الروايات جعل بعض من ينظر إليها ، وليس عنده القدرة على التمييز بينها ، أو عنده القدرة على ذلك لكنه يريد ـ لحاجة في نفسه ـ أن يشكك بعض المسلمين في تراثهم العظيم ، جعله هذا الاختلاط ينظر إلى جميع ماروى بعين واحدة ، ويحكم عليه كله بالصحة ، ثم لايلبث بعد هذا أن يعثر على روايات متناقضة فيتهم ابن عباس بالتناقض في قوله ، ويتهم المسلمين بقبول هذه الروايات المتضاربة ، كما حدث لجولد زيهر في كتابه : المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن (٢) ، فقد ساق مثالا من تفسير ابن جرير الطبري ، استدل به على ورود التناقض ، وهذا المثال هو قول ابن عباس تارة بأن الذبيح إسحق ، وتارة أخرى : إنه إسماعيل (٣) .

---

(١) انظر الإتقان جـ : ٢ ص ١٨٩ .

(٢) انظر كتاب المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن لجولد زيهر جـ : ١ ص ٧٨ ـ ٨٢ .

(٣) انظر المصدر السابق .

٢٧٦ - والحقيقة أن الطبري لم يلتزم في تفسيره الصحة في كل ماير ويه ، وأن الروايتين اللتين أوردهما جولد زيهر منه دليلا على التناقض في بعض أقوال ابن عباس ، إذا عرضناهما على قواعد المحدثين في نقد الرواية لتجريحها أو تعديلها ، تبين لنا بكل وضوح أن ابن عباس لم تصح عنه إلا واحدة منهما ، وهي الرواية القائلة بأن الذبيح هو إسماعيل ، لأن هناك أدلة كثيرة تؤيدها . أما الرواية التي يذكرها ابن جرير عن ابن عباس مرفوعة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتي تفيد بأن الذبيح هو إسحق ، فمن بين رجال سندها الحسن بن دينار عن علي بن زيد ، والحسن بن دينار متروك ، وعلي بن زيد منكر الحديث (١) .

وقال ابن جرير في تفسيره (٢) : " حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمر بن قيس عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عباس أنه قال : الفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحق وكذبت اليهود " (٣) وهذا الأثر صحيح عن ابن عباس وهو كما نرى صريح في تكذيب اليهود فيما زعموه ، وهو يقضي على كل أثر بخلافه .

٢٧٧ - وإنما يبدو بعض التناقض فيما نسب إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - ، بسبب كثرة الدس عليه . وترجع كثرة الدس هذه إلى أسباب متعددة :

منها أن ابن عباس كان حجة في التفسير ، وهو من بيت النبوة ، فالوضع عليه يكسب الموضوع ثقة وقبولا .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج : ٤ ص ١٧ .

(٢) انظر تفسير الطبري ج : ٢٣ ص ٥٣ .

(٣) وانظر الاثر أيضا في كتاب العرائس للثعلبي ص ٩٥ .

وقد ينسب إليه بعض الشيعة ما يستحسنونه من أقوال التفسير ، ظنا منهم أن ذلك يعلي من قدره ويرفع من شأنه .

ولا ينكر ما للعامل السياسي من أثر ، فإن الخلفاء العباسيين من نسل ابن عباس ، وربما وجد في الناس من يتزلف إليهم ويتقرب بكثرة ما يروه لهم عن جدهم ابن عباس . فكان لزاما علينا أن نلقي نظرة على الطرق التي حملت لنا هذا التراث العظيم من التفسير عن ابن عباس .

٢٧٨ ـ وأشهر الطرق عنه :

أولا ـ طريق الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة (١) ، عن ابن عباس . وتعتبر هذه الطريق من السلاسل الذهبية .

وقد أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره من هذه الطريق قليلا بوسائط بينه وبين الزهري (٢) . وأخرج منها أيضا عبد الرزاق بن

---

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أبو عبد الله الهذلي حليف بني زهرة ، أحد الفقهاء السبعة . قال عنه أبو زرعة : " مديني ثقة مأمون " . مات سنة ثمان وتسعين . انظر كتاب الجمع بين رجال الصحيحين جـ : ١ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ ، وكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم جـ ٢ ، ق : ٢ ، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

وقال الخطيب البغدادي في كتابه (موضح أوهام الجمع والتفريق) : " وهو عبيد الله الأعمى الذي روى عنه أبو الزناد " انظر كتاب موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي ـ طبع الهند ـ جـ : ٢ ص ٢٢٩ .

(٢) انظر تفسير الطبري جـ : ٢١ ص ١١ .

همام الصنعاني (١) في تفسيره عن معمر (٢) ،

---

(١) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع ، أبو بكر الحميري ، مولاهم الصنعاني أحد الأعلام الثقات ، ولد سنة ست وعشرين ومائة ، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة ، وكتب شيئا كثيرا ، وصنف الجامع الكبير ، وهو خزانة علم ، ورحل الناس إليه ، وله تفسير قيم ، لا زال مخطوطا في دار الكتب المصرية . سمع معمرا وابن جريج والثوري ، وغير واحد . قال أبو زرعة الدمشقي : قلت لأحمد بن حنبل : " كان عبد الرزاق يحفظ حديث معمر ؟ قال : نعم . قيل له : فمن أثبت في ابن جريج ، عبد الرزاق أو البرساني ؟ قال : عبد الرزاق " . وعن أحمد بن حنبل : " إذا اختلف الناس في حديث معمر ، فالقول ما قاله عبد الرزاق " . وقال أحمد بن صالح : " قلت لأحمد بن حنبل : رأيت أحسن حديثا من عبد الرزاق ؟ قال : لا " . وقد أسندوا عنه أحاديث ليست في كتبه كان يلقنها بعد ما عمي ، لذلك قال النسائي : " فيه نظر لمن كتب عنه بأخرة " . نسبوه إلى التشيع ، ولا ضير عليه من ذلك في نظري ، فإن سائر الحفاظ وأئمة العلم يحتجون به إلا في بعض المناكير المحدودة في سعة ما روى . مات في النصف من شوال سنة إحدى عشرة ومائتين . انظر كتاب الجمع بين رجال الصحيحين للمقدسي جـ ١ ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ، وميزان الاعتدال جـ ٢ ص ٦٠٩ - ٦١٤ .

(٢) هو معمر بن راشد ، وهو معمر بن أبي عمرو ، أبو عروة ، أحد الأعلام الثقات . له أوهام معروفة ، احتملت له في سعة ما أتقن . قال يحيى بن معين : " هو من أثبتهم في الزهري " وقال أحمد بن حنبل : " ليس يضم إلى معمر أحد إلا وجدته فوقه " . توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة .

انظر كتاب موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي جـ ٢ ص ٤٠٩ - ٤١٠ ، وميزان الاعتدال جـ ٤ ص ١٥٤ .

٢٧٩ ـ ثانيا ـ طريق سفيان بن عيينة (١) عن عمرو بن دينار (٢) ، عن عطاء بن أبي رباح ـ وعن عكرمة أحيانا ـ عن ابن عباس .

وهذه الطريق جيدة جدا ، وكثيرا ما يخرج منها عبدالرزاق في تفسيره ، ولم أجد ابن جرير الطبري يخرج منها شيئا .

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي ، يكنى أبا محمد الهلالي . أحد الثقات الأعلام ، أجمعت الأمة على الاحتجاج به ، وكان يدلس ، لكن المعهود عنه أنه لايدلس إلا عن ثقة . وكان قوي الحفظ ، وما في أصحاب الزهري أصغر سنا منه ، ومع هذا فهو من أثبتهم ، وقال أحمد بن حنبل : "هو أثبت الناس في عمرو بن دينار" . ولد سنة تسع ومائة ومات سنة ثمان وتسعين ومائة ـ

(انظر ترجمته في كتاب الجمع بين رجال الصحيحين : ج ١ ص ١٩٥ ، وميزان الاعتدال : ج ٢ ص ١٢٠ ـ ١٧١ وغيرهما .)

(٢) هو عمرو بن دينار المكي ، أبو محمد الأثرم ، الجُمَحي مولاهم ، عالم الحجاز ، الحجَّة ، ثقة ثَبْت ، من الطبقة الرابعة . مات سنة ست وعشرين ومائة . قال الذهبي في ميزان الاعتدال : "وما قيل عنه من التشيع فباطل" .

(انظر ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٦٠ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٦٩) .

٢٨٠ ـ ثالثا ـ طريق معاوية بن صالح[(١)] عن علي بن أبي طلحة[(٢)] عن ابن عباس .

وهذه الطريق من أجود الطرق . قال أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ : " بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة ، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا "[(٣)] . وقال الحافظ ابن حجر : " وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث[(٤)] ،

---

(١) هو معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي ، أبو عمرو . أحد الأعلام ، وقاضي الأندلس ، ثقة ، وقد أخطأ من ليّنه في نظري . وكفينا أن أحمد بن حنبل وأبو زرعة وغيرهما قد وثقوه ، واحتج به مسلم ـ (انظر موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي جـ ٢ ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ، وميزان الاعتدال جـ ٤ ص ١٣٥ ، وتقريب التهذيب جـ ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) هو علي بن أبي طلحة ، مولى بني هاشم ، ويكنى أبا الحسن ويقال : أبا محمد ، واسم أبيه سالم . قال الذهبي في الميزان : " وأخذ تفسير ابن عباس عن مجاهد ، فلم يذكر مجاهدا ، بل أرسله عن ابن عباس " ، وفي التهذيب أن ابن حبان ذكره في الثقات ، وقد أخرج له مسلم في صحيحه . مات سنة ثلاث وأربعين ومائة . (انظر كتاب الجمع بين رجال الصحيحين جـ ١ ص ٣٥٩ ، وميزان الاعتدال جـ ٣ ص ١٣٤ .

(٣) انظر الإتقان جـ ٢ ص ١٨٨

(٤) أبو صالح : هو عبد الله بن صالح المصري ، كاتب الليث بن سعد ، صحبه عشرين سنة ، ومن تكلم في بعض حديثه عن الليث ، فقد تكلم فيه بغير حجة . له ترجمة جيدة في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم جـ ٢ ق : ٢ ص ٨٦ ـ ٨٧ ، وفي تذكرة الحفاظ جـ ١ ص : ٣٥١ ـ ٣٥٣ . ولد سنة /١٢٧/ ومات سنة /٢٢٢/ .

رواها عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وهي عند البخاري عن أبي صالح ، وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس ".(١)

وقد أخرج ابن جرير الطبري من هذه الطريق كثيرا ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر بوسائط بينهم وبين أبي صالح .(٢)

٢٨١ - وإذا كان بعض النقاد قد حاول أن يقلل من قيمة هذه الطريق ، فقال : " لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير ، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير "(٣) فقد فنّد ابن حجر هذا النقد بقوله : " بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة ، فلا ضير في ذلك "(٤) ، وقال صاحب إيثار الحق : " وقال الذهبي في الميزان(٥) : وقد روى - أي علي بن أبي طلحة - عن ابن عباس تفسيرا كثيرا منتما . والصحيح عندهم أن روايته عن مجاهد عن ابن عباس . وإن كان يرسلها عن ابن عباس فمجاهد ثقة يقبل ".(٦)

---

(١) انظر الإتقان جـ ٢ ص ١٨٨

(٢) انظر المرجع السابق

(٣) انظر ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ١٣٤ ، والإتقان جـ ٢ ص ١٨٨ .
وانظر في ميزان الاعتدال أيضا قول دُحَيْم : " لم يسمع علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ".

(٤) انظر الإتقان جـ ٢ ص ١٨٨

(٥) انظر ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ١٣٤

(٦) انظر إيثار الحق لأبي عبدالله اليماني ص ١٥٩ .

٢٨٢ ـ رابعا ـ طريق عطاء بن السائب (١) ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :

---

(١) هو عطاء بن السائب بن زيد الثقفي ، أبو زيد الكوفي أحد علماء التابعين الأعلام . سمع سعيد بن جبير عند البخاري . وثقه أحمد بن حنبل والنسائي وابن معين وأبو داود وغيرهم ، وأخرج له البخاري . أما من تكلم فيه ، فإنما تكلم لأنه ساء حفظه في آخر حياته ، قال الذهبي في الميزان : " وقال أحمد بن حنبل : عطاء ابن السائب ثقة ، ثقة ، رجل صالح ، ومن سمع منه قديما كان صحيحا ، وكان يختم كل ليلة " ، وقال النسائي : " ثقة في حديثه القديم ، لكنه تغيّر ، ورواية شعبة ، والثوري ، وحماد بن زيد عنه ـ جيدة " . وروى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل عن أحمد بن حنبل ، قال : " من سمع من عطاء قديما كان صحيحا ، ومن سمع منه حديثا لم يكن بشيء . سمع منه قديما : شعبة وسفيان ، وسمع منه حديثا جرير ، وخالد ، وعبدالله ، وإسماعيل ـ يعني ابن علية ـ ، وعلي بن عاصم ، فكان يرفع عن سعيد بن جبير أشياء لم يكن يرفعها " . وروى ابن أبي حاتم أيضا عن ابن معين قال : " عطاء بن السائب اختلط . فمن سمع منه قديما فهو صحيح ، وما سمع منه جرير وذووه ليس من صحيح حديث عطاء ، وقد سمع أبو عوانة من عطاء في الصحة وفي الاختلاط جميعا ، ولا يحتج بحديثه " .

(انظر كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم جـ ٣ ق : ١ ص ٣٣٢ ـ ٣٣٤ وكتاب الجمع بين رجال الصحيحين للمقدسي جـ ١ ص ٣٨٧ ، وميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٧٠ ـ ٧١ .

وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين ، وكثيرا ما يخرج منها الضياء والحاكم في مستدركه .(١)

وأخرج منها ابن جرير الطبري في تفسيره عن سفيان الثوري ، وغيره . ورواية سفيان عن عطاء جيدة ، لأن سفيان من الذين سمعوا منه قديما .(٢)

٢٨٣- خامسا - طريق محمد بن إسحق(٣) صاحب السير ، عن محمد

---

(١) انظر الاتقان جـ٢ ص ١٨٨

(٢) انظر ما سبق قبل قليل من ترجمة عطاء بن السائب في الهامش .

(٣) هو محمد بن إسحق بن يسار ، أبو بكر المخزمي مولاهم المدني ، أحد الأعلام .

ويسار من سبي عين التمر ، من موالي قيس بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف .

وثقه غير واحد ، ووهاه آخرون . وهو عندي ثقة ، لأن من تكلم فيه ، فقد تكلم بغير حجة ، وبغير وجه . وسبب الكلام فيه يعود إلى هشام بن عروة ، فقد كذبه ، وتكلم من تكلم فيه لذلك . وكل ما في الأمر أن هشام بن عروة - في نظري - رجل كثير الغيرة ، وقد روى محمد بن إسحق عن زوجته ، فأنكر هشام رؤيته لها ، وروايته عنها ، وكذبه . وقد رد الذهبي على هشام بن عروة فقال : " عساه دخل عليها وهو صغير ، أو سمع منها في المسجد ، أو من وراء حجاب ... وكانت امرأة قد كبرت وأسنت " . وروى الذهبي أيضا عن أبي داود سليمان بن داود قال : " قال لي يحيى القطان : أشهد أن محمد بن إسحق كذاب . قلت : وما يدريك ؟ قال : قال لي وهيب ، فقلت لوهيب =

. . . . . .

= وما يدريك ؟ قال : قال لي مالك بن أنس ، فقلت لمالك : وما يدريك ؟ قال : قال لي هشام بن عروة . قال : قلت لهشام بن عروة : وما يدريك ؟ قال : حدثت عن امرأتي فاطمة بنت المنذر ، وأدخلت علي وهي بنت تسع ، وما رآها رجل حتى لقيت الله تعالى " ، وقد علق الذهبي على ذلك فقال : " قد أجبنا عن هذا ، والرجل فما قال : إنه رآها . أفبمثل هذا يعتمد على تكذيب رجل من أهل العلم . هذا مردود " .

ومن هنا يظهر أن سبب الكلام فيه هو هشام بن عروة ، ولا حجة له فيما ذهب إليه فالرجل ثقة ملئ علما . قال الزهري : " لا يزال بهذه الحرة علم مادام بها ذاك الأحول ـ يريد محمد بن إسحق ـ " . وقال يزيد بن هارون : " سمعت شعبة يقول : لو كان لي سلطان لأمرت ابن إسحق على المحدثين " .

وقال ابن عدي : " قد فتشت أحاديث ابن إسحق الكثير ، فلم أجد في أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف . وربما أخطأ أو وهم كما يخطئ غيره ، ولم تتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به " . وقال يعقوب بن شيبة : " سألت ابن المديني عن ابن إسحق ، قال : حديثه عندي صحيح . قلت : فكلام مالك فيه ؟ قال : مالك لم يجالسه ولم يعرفه ، وأي شئ حدث بالمدينة . قلت : فهشام بن عروة تكلم فيه ؟ قال : الذي قال هشام ليس بحجة فلعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها ، وإن حديثه ليتبين فيه الصدق .. الخ " وقال أحمد بن عبد الله العجلي : " ابن إسحق ثقة " . مات ابن اسحق سنة إحدى وخمسين ومائة ، وقيل بعدها بسنة .

(انظر ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤٦٨ ـ ٤٧٥ ، وغيره) .

ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت (١) ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وهي طريق جيدة وإسنادها حسن ، وقد أخرج منها ابن جرير الطبري كثيرا (٢) ، وابن أبي حاتم ، كما أخرج منها الطبراني في معجمه الكبير (٣) .

٢٨٤ ـ سادسا طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدّي الكبير (٤) ،

---

(١) محمد بن أبي محمد : قال الذهبي في ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ٢٦ " مدني . عن سعيد بن جبير ، وغيره . لا يعرف . روى عنه ابن إسحق " . وهو معروف : أنصاري مدني ، مولى زيد بن ثابت ترجمه البخاري في تاريخه الكبير جـ ١ ق ١ ص ٢٢٥ فلم يذكر فيه جرحا ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وكفى بذلك توثيقا .

(٢) في آخر الجزء /٢٢/ فقط من تفسير الطبري ، كثيرا ما يكون الإسناد منقطعا حيث يورده الطبري كما يلي : " حدثني محمد ابن إسحق فيما بلغه عن ابن عباس " .

(٣) انظر الإتقان جـ ٢ ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُّدي ـ أبو محمد القرشي مولاهم الكوفي الأعور ، وهو السدي الكبير ، كان يقعد في سدة الجامع فسمي السدي .

ضعفه يحيى بن معين ، والعقيلي . وقال أبو زرعة : ليّن .

وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، ولا يحتج به .

وقال النسائي : صالح . وقال في موضع آخر : ليس به بأس .

ويغلب على ظني توثيقه ، فقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ، وعبد الرحمن ابن مهدي ، والعجلي ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقال القطان :

=

تارة عن أبي مالك (١) ، وتارة عن أبي صالح (٢) ، عن ابن عباس .

= " لابأس به ماسمعت أحدا يذكره إلا بخير ، وما تركه أحد " . وقد أخرج له مسلم ، وأهل السنن الأربعة .

أما ماروه الذهبي في الميزان وابن حجر في التهذيب: " إن الشعبي قيل له : إن السدي قد أعطي حظا من علم القرآن ، فقال : قد أعطي حظا من جهل بالقرآن إ" . فإن هذه الكلمة من الشعبي - في نظري - قد تكون أساسا لقول كل من تكلم في السدي بغير حق . ولذلك نرى البخاري لم يعبأ بهذا القول من الشعبي ، ولم يروه في تاريخه الكبير ، بل روى عن مسدد عن يحيى قال : " سمعت ابن أبي خالد يقول : السدي أعلم بالقرآن من الشعبي " . وروى في تاريخه أيضا عن ابن المديني عن يحيى - وهو القطان - قال : " ما رأيت أحدا يذكر السدي إلا بخير ، وما تركه أحد " .

(انظر كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم جـ ١ ق ١ ص ١٨٤-١٨٥ وميزان الاعتدال جـ ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ، والتاريخ الكبير للبخاري جـ ١ ق ١ ص ٣٦١ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر جـ ١ ص: ٣١٣ - ٣١٤ ، وإيثار الحق ص ١٥٩ .

(١) أبو مالك : هو الغفاري ، واسمه غزوان . وهو تابعي كوفي ثقة . روى ابن أبي حاتم توثيقه عن يحيى بن معين .

(انظر طبقات ابن سعد جـ ٦ ص ٢٠٦ ، والجرح والتعديل : جـ ٣ ق ٢ ص ٥٥ ، والتاريخ الكبير للبخاري جـ ٤ ق ١ ص ١٠٨ .)

(٢) أبو صالح : هو باذان ، ويقال : باذام ، وهو مولى أم هانئ بنت أبي طالب . وهو تابعي يغلب على ظني توثيقه . وإذا كان ابن مهدي قد ترك حديثه ، كما ورد في التاريخ الكبير للبخاري ،

وإسماعيل السدي مختلف فيه (١) ، وحديثه عند مسلم وأهل السنن الأربعة ، وهو تابعي شيعي (٢) ، يغلب على ظني توثيقه ، فقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ، وعبد الرحمن بن مهدي ، والعجلي ، وذكره ابن حبان في الثقات (٣) ، وروى البخاري في تاريخه الكبير عن مسدد عن يحيى قال: " سمعت ابن أبي خالد يقول : السدي أعلم بالقرآن من الشعبي " ، وروى في تاريخه أيضا عن ابن المديني عن يحيى القطان قال: " ما رأيت أحدا يذكر السدي إلا بخير وما تركه أحد " (٤) . وقال السيوطي في الإتقان نقلا عن الارشاد للخليلي : " روى عن السدي الأئمة مثل الثوري وشعبة ،

= في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ، فإن ابن أبي حاتم روى أيضا في الجرح والتعديل عن سعيد القطان قال: " لم أر أحدا من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانئ وما سمعت من الناس من يقول فيه شيئا ، ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبد الله بن عثمان " وروى أيضا عن يحيى بن معين قال : " أبو صالح مولى أم هانئ ليس به بأس ، فإذا روى عنه الكلبي فليس بشيء ، وإذا روى عنه غير الكلبي فليس به بأس ، لأن الكلبي يحدث مرة من رأيه ، ومرة عن أبي صالح ، ومرة عن أبي صالح عن ابن عباس " . وهذا من كلام ابن معين هذا أن الطعن فيما يروى عنه ، إنما هو في رواية الكلبي . (انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم جـ ١ ق ١ ص ٤٣١ ، وميزان الاعتدال جـ ١ ص ٢٩٦ ، والتاريخ الكبير جـ ١ ق ٢ ص ١٤٤ ، وتهذيب التهذيب جـ ١ ص : ٤١٧)

(١) انظر ترجمة اسماعيل السدي في الهامش قبل قليل .

(٢) انظر الجرح والتعديل جـ ١ ق ١ ص ١٨٤ - ١٨٥ ، وميزان الاعتدال جـ ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ، وإيثار الحق ص ١٥٩

(٣) انظر المراجع السابقة ، وتهذيب التهذيب جـ ١ ص ٣١٣ - ٣١٤

(٤) انظر التاريخ الكبير للبخاري جـ ١ ق ١ ص ٣٦١ .

لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر (١) ، وأسباط بن نصر لم يتفقوا عليه ، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدى (٢) ".

٢٨٥ - وإذا رجعنا إلى تفسير الطبري نرى هذه الطريق من أكثر الطرق دورانا فيه ، وإن لم تكن أكثرها ، فلا يكاد يخلو تفسير آية ، من رواية بهذه الطريق ، وقد عرّض الطبري نفسه بها ، فبعد أن ذكر خبرا ساق إسناده بهذه الطريق قال : " فإن كان ذلك صحيحا ، ولست أعلمه صحيحا ، إذ كنت بإسناده مرتابا ... الخ (٣) " . ولم يبين علة ارتيابه في إسناده . وهو مع ارتيابه قد أكثر من الرواية به ، لكنه لم يجعلها حجة قط .

٢٨٦ - ويظهر لي أن ماروي عن السدي مفرقا على الآيات أصله تفسير كامل للقرآن من تأليف السدي ، جمعه من أقوال ابن عباس ، وابن مسعود ، وآخرين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) هو أسباط بن نصر الهمداني ، أبو يوسف ، ويقال : أبو نصر .
وثقه مُرّة ، وابن معين ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال عنه البخاري : صدوق " .
ويغلب على ظني ضعفه ، لأن من يضعفه يذكر سببا معتبرا مقبولا في تضعيفه ، وهو عدم اتزانه ، وعدم دقته في أسانيده ، روى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل عن أبيه قال : " سمعت أبا نعيم يضعف أسباط بن نصر ، وقال : أحاديثه عامّة ، سقط ، مقلوبة الأسانيد " وروى أيضا عن مهران الجمال قال : " سألت أبا نعيم عن أسباط ابن نصر فقال : لم يكن به بأس ، غير أنه أهوج " ، وقد توقف فيه أحمد ابن حنبل وكأنه ضعفه ، وقال النسائي : " ليس بالقوي " .
(انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم جـ ١ ق ١ ص ٣٣٢ ، وميزان الاعتدال جـ ١ ص ١٧٥ ، والتاريخ الكبير للبخاري جـ ١ ق ٢ ص ٥٣ ، وتهذيب التهذيب جـ ١ ص ٢١١ .
(٢) انظر الإتقان جـ ٢ ص ١٨٨ .
(٣) انظر تفسير الطبري جـ ١ ص ١٢١ طبعة بولاق .

وقد أخذ التفسير عنهم بطرق ثلاث ، ضمها إلى بعضها ، وجعلها إسنادا واحدا هو : (عن أبي مالك وأبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) ، وجعل هذا الإسناد في أول مؤلفه . وهو يريد بذلك : أن ما رواه من التفاسير في هذا الكتاب لا يخرج عن هذه الأسانيد ، وليس من المعقول أن يروي كل كلمة من هذه التفاسير عنهم جميعا ، فهو كتاب مؤلف في التفسير ، مرجع ما فيه إلى الرواية عن هؤلاء في الجملة لا في التفصيل .

٢٨٧ ـ والأدلة على أن هذا التفسير كتاب جمعه السدي كثيرة منها : قول ابن سعد في ترجمة " عمرو بن حماد القناد " : " صاحب تفسير أسباط بن نصر عن السدي " (١) ، وقال في ترجمة أسباط بن نصر : " وكان راوية السدي ، روى عنه التفسير " (٢) . وقال نهل ذلك أيضا ، في ترجمة أبي مالك الغفاري : " أبو مالك الغفاري صاحب التفسير ، وكان قليل الحديث " (٣) .

وهذا التفسير من جمع السدي نفسه ، لا من تلفيق غيره عنه كما توهم البعض ، وذلك لأمور ، منها ما قاله أحمد بن حنبل عن السدي :

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٦ ص ٢٨٥ . وعمرو بن حماد ، هو عمرو بن حماد بن طلحة القناد ، وقد ينسب إلى جده فيقال : عمرو بن طلحة ، وهو ثقة روى عنه مسلم في صحيحه ، قال عنه ابن سعد في طبقاته : " وكان ثقة إن شاء الله " . مات سنة (٢٢٢) ، وروى ابن أبي حاتم في كتابه الجرح والتعديل جـ ٣ ق ١ ص ٢٨٨ ، عن أبيه ، وعن يحيى بن معين أنهما قالا فيه : " صدوق " .

(٢) انظر الطبقات لابن سعد جـ ٦ ص ٢٦١

(٣) انظر الطبقات جـ ٦ ص ٢٠٦ .

" إنه ليحسن الحديث ، إلا أن هذا الذي يجيء به ، قد جعل له إسنادا ، واستكلفه "(١) . وقال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب : " قد أخرج الطبري ، وابن أبي حاتم ، وغيرهما في تفاسيرهم تفسير السدي ، مفرقا في السور ، من طريق أسباط بن نصر عنه "(٢) ، ونقل السيوطي في الإتقان قول الخليلي في الارشاد : " وتفسير إسماعيل السدي يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس . وروى عن السدي الأئمة ، مثل : الثوري وشعبة . ولكن التفسير الذي جمعه ، رواه أسباط بن نصر ، وأسباط لم يتفقوا عليه . غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي "(٣) .

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ج : ١ ص ٣١٤ . وفي كلام أحمد بن حنبل هذا دلالة واضحة أن السدي جمع التفاسير ، من روايته عن هؤلاء الناس : عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ، ثم ساقها كلها مفصلة على الآيات التي ورد فيها شيء من التفسير عن هذا أو ذاك أو أولئك ، وجعل لها كلها هذا الإسناد ، وتكلف أن يسوقها به مساقا واحدا . ولا يريد أحمد ـ رضي الله عنه ـ بما قال عن السدي ما قد يفهم من ظاهر كلامه : أنه اصطنع إسنادا لا أصل له ، إذ لو كان كذلك لكان في نظره كذابا وضاعا للرواية ، ولم يكذبه أحمد ولا ردّ روايته ، إنما قال عنه في صدر كلامه : " إنه ليحسن الحديث " .

(٢) انظر تهذيب التهذيب ج١ ص ٣١٥ . وكلام ابن حجر هذا يدل على أن تفسير السدي كان مجموعا وفرقه هؤلاء في تفاسيرهم مما أدخل الوهم على بعض الناس .

(٣) انظر الإتقان ج٢ ص ١٨٨ ، ومن الكلمات التالية التي وردت في قول الخليلي : " تفسير السدي يورده .. ولكن التفسير الذي جمعه .. غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي " ، يظهر لنا بشكل واضح أن التفسير للسدي نفسه ، لا من تلفيق غيره . ومن قوله : " ... يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس .. " يظهر لنا أن الإسناد الذي ساق به السدي تفسيره قد ركّبه من عدة أسانيد كما ذكرنا ذلك من قبل .

٢٨٨ ـ وأستطيع أن أقول الآن : إن تفسير السدي من أوائل الكتب التي ألفت في رواية الأحاديث والآثار (١) ، وإن ما يرويه الطبري وغيره من تفسير السدى بهذه الطريق قد يتوهم البعض ، فيظن ما روي هو قول ابن عباس ، وابن مسعود ، وغيرهما من الصحابة . والصحيح أن ما روى بهذه الطريق ، قد يكون قول ابن عباس ، وقد يكون قول ابن مسعود ، وقد يكون قول غيرهما من الصحابة ، ومن المحتمل أن يكون قول الجميع .

٢٨٩ ـ سابعا ـ طريق عبد الملك بن جُريج (٢) ، عن ابن عباس .

وهذه الطريق تحتاج إلى تمحيص ودقة في البحث ، ليعرف الصحيح منها والسقيم ، لأن ابن جريج لم يقصد الصحة فيما جمع ، وإنما روى ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم (٣) . روى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قال : " بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج موضوعة . كان ابن جريج لا يبالي من أين يأخذها ـ يعني قوله : أُخْبِرْتُ وحُدِّثْتُ عن فلان "(٤) .

٢٩٠ ـ وقد روى عن ابن جريج جماعة كثيرة ، منهم :

---

(١) والسدي من طبقة عالية ، من طبقة شيوخ مالك من التابعين .

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج ، أبو خالد ، ويقال : أبو الوليد المكي ، أحد الأعلام الثقات ، روى له البخاري ومسلم ، يُدَلِّس ، وهو في نفسه مجمع على ثقته ، لا تقبل روايته إذا جاءت بقوله : أُخْبِرْتُ وحُدِّثْتُ عن فلان . مات سنة خمسين ومائة ، وقال سنة تسع وأربعين ومائة .

انظر كتاب الجمع بين رجال الصحيحين جـ : ١ ص ٣١٤ ، وميزان الاعتدال جـ : ٢ ص ٦٥٩ .

(٣) انظر الإتقان جـ : ٢ ص ١٨٨ .

(٤) انظر ميزان الاعتدال جـ : ٢ ص ٦٥٩ .

محمد بن ثور ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس ، فقد روى عنه ثلاثة أجزاء كبار (١) .

ومنهم الحجاج بن محمد عن ابن جريج ، وروى عنه جزءا ، وهو صحيح متفق عليه (٢) .

وقد أخرج ابن جرير في تفسيره من طريق الحجاج عن ابن جريج عن ابن عباس كثيرا .

٢٩١ — كما أخرج عبد الرزاق في تفسيره عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كثيرا .

وعطاء هذا هو الخراساني ، وهو مختلف فيه ، عدّه ابن حبان من الضعفاء لرداءة حفظه وكثرة وهمه ، وذكره البخاري في الضعفاء (٣) وقال أبو حاتم : "يعتبر به" ، كما وثقه غيره ، وعلى كل فإنه لم يدرك ابن عباس ، ولم يلقه كما ذكر أبو داود ، والدارقطني (٤) .

٢٩٢ — وأطول الروايات عن ابن جريج هي رواية بكر بن سهل الدمياطي عن عبد الغني بن سعيد ، عن موسى بن محمد ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس . وفيها نظر (٥) ، لأن بكر بن سهل الدمياطي ضعيف . قال الذهبي : "حمل الناس عنه ، وهو مقارب الحال" ، وقال النسائي : "ضعيف" (٦) .

---

(١) انظر الإتقان ج : ٢ ص ١٨٨ .

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج : ٣ ص ٧٤ .

(٤) انظر المرجع السابق .

(٥) انظر الإتقان ج : ٢ ص ١٨٨ .

(٦) انظر ميزان الاعتدال ج : ١ ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .

وعبد الغني بن سعيد الثقفي ، ضعفه ابن يونس (١) ، وموسى بن محمد : هو ابن عطاء الدمياطي البلقاوي المقدسي الواعظ . كذبه أبو زرعة ، وأبو حاتم . وقال النسائي : " ليس بثقة " وقال الدارقطني وغيره : " متروك " ، وقال ابن حبان : " لاتحل الرواية عنه ، كان يضع الحديث " ، وقال ابن عدي : " كان يسرق الحديث " (٢) .

أضف إلى هذا وذاك أن طريق ابن جريج عن ابن عباس منقطعة ، فإن وفاته كانت سنة خمسين ومائة كما ذكرت (٣) .

٢١٣ ـ ثامنا ـ طريق الضحاك بن مزاحم الهلالي (٤) ، عن ابن

---

(١) انظر ميزان الاعتدال ج : ٢ ص ٦٤٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ج : ٤ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(٣) انظر ترجمة ابن جريج التي سبقت قبل قليل في هامش الفقرة (٢٨٩) ، وانظر في الفقرة نفسها قول أحمد بن حنبل .

(٤) هو الضحاك بن مزاحم البلخي المفسر ، كناه ابن معين : أبا القاسم ، وكناه الفلاس : أبا محمد . قال يحيى القطان : " كان شعبة ينكر أن يكون الضحاك لقي ابن عباس قط " ، وروى شعبة عن عبد الملك ابن ميسرة قال : " الضحاك لم يلق ابن عباس ، إنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير " .

وثقه أحمد بن حنبل وأبو زرعة ، وضعفه غيرهما ، قال يحيى بن سعيد : " الضحاك ضعيف عندنا " ، وقال ابن عدي : " الضحاك ابن مزاحم إنما عرف بالتفسير ، فأما روايته عن ابن عباس وأبي هريرة ، وجميع من روى عنهم ، ففي ذلك كله نظر " .

وأما توثيق ابن معين ، فلم يكن له ، وإنما كان للضحاك المشرقي ، وهو غير ابن مزاحم ، فالتبس الاسمان عليه وظنهما واحدا . قال =

عباس وهي غير مرضية ، لأنه وإن وثقه نفر كأحمد بن حنبل ، وابن معين ، وأبي زرعة ، فقد ضعفه آخرون (١) ، ثم إن طريقه إلى ابن عباس منقطعة ، لأنه روى عنه ولم يلقه (٢) ، قال عبد الملك بن ميسرة : " قلت للضحاك : لقيت ابن عباس ؟ قال : لا ، فقلت : هذا الذي ترهي عن أخذته ؟ قال : عنك ، وعن ذا ، وعن ذا " (٣) .

٢٩٤ ـ فإن انضم إلى ذلك بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، فضعيفة لضعف بشر (٤) .

= الذهبي : " وكان ابن معين يقول : الضحاك المِشْرَقي هو ابن مزاحم ، وتبعه على هذا يعقوب الفسوي ، وإنما الضحاك المشرقي ابن شراحيل حدث عن أبي سعيد الخدري ، وشَرَوْق : فخذ من هَمْدان " . مات الضحاك سنة خمس ومائة ، وقيل : سنة ست . ـ انظر كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم جـ : ٢ ق : ١ ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ، وميزان الاعتدال جـ : ٢ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ .

(١) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم جـ ٢ ق ١ ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ، وانظر ترجمة الضحاك في الهامش السابق وكيف ان ابن معين وثقه خطأً .

(٢) انظر ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ، والإتقان جـ ٢ ص ١٨٩ .

(٣) انظر الجرح والتعديل جـ : ٢ ق : ١ ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ .

(٤) هو بشر بن عمارة الخثعمي الكوفي ، وهو ضعيف . قال الساجي والبخاري : " يُعْرَف وينكر " ، وضعفه النسائي وأبو حاتم ، وقال العقيلي : " لا يتابع على حديثه " وقال الدارقطني : " متروك " ـ انظر ميزان الاعتدال جـ : ١ ص ٣٢١ ، وتهذيب التهذيب جـ : ١ ، ص ٤٥٥ .

وأبو روق : هو عطية بن الحارث الهمداني .

وقد أخرج من هذه النسخة ابن جرير الطبري ، وابن أبي حاتم (١) .

٢٩٥ - وإن كان من رواية جويبر عن الضحاك ، فأشد ضعفا ، لأن جويبرا (٢) شديد الضعف متروك .

ولم يخرج ابن جرير الطبري ، ولا ابن أبي حاتم من هذه الطريق شيئا (٣) ، إنما أخرجها ابن مردوية ، وأبو الشيخ ابن حبان (٤) .

---

(١) انظر الإتقان جـ : ٢ ص ١٨٩ .

(٢) جويبر بالتصغير : هو ابن سعيد الأزدي البلخي ، أبو القاسم ، المفسر صاحب الضحاك ، ضعيف جدا ، ضعفه يحيى القطان ، وقال ابن معين : " ليس بشيء " ، وقال الجوزجاني : " لا يشتغل به " ، وقال النسائي والدارقطني وغيرهما : " متروك الحديث " ، قال أبو قدامة السرخسي : " قال يحيى القطان : تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث . ثم ذكر الضحاك ، وجويبرا ، ومحمد بن السائب . وقال : هؤلاء لا يحتمل حديثهم ، وكتب التفسير عنهم " . - انظر : التاريخ الكبير للبخاري جـ : ١ ق : ٢ ص ٢٥٦ ، وميزان الاعتدال جـ : ١ ص ٤٢٧ ، وتهذيب التهذيب جـ : ٢ ص ١٢٤ .

(٣) لم أجد الطبري يخرج شيئا من هذه الطريق ، وقد أخرج منها ابن كثير في تفسيره جـ : ١ ص ٣٠ ، ٣١ ، خبرا واحدا ، وعقب عليه في ص ٣١ فقال : " وهذا الأثر غريب ، وإنما ذكرناه ليعرف ، فإن في إسناده ضعفا وانقطاعا " .

(٤) انظر الإتقان جـ : ٢ ص ١٨٩ .

٢٩٦ ـ تاسعا ـ طريق عطية العَوْفي (١) ، عن ابن عباس ، وهي غير مَرْضيَّة ؛ لأن العوفي ضعيف ليس بواه ، وربما حسَّن له الترمذي .

وقد أخرج من هذه الطريق ابن جرير الطبري ، وابن أبي حاتم كثيرا (٢) .

٢٩٧ ـ وهناك طريق أخرج منها الطبري في تفسيره كثيرا ، حتى إننا لانكاد نجد آية إلا وقد أخرج فيها من هذه الطريق قولا لابن عباس ، وهذه الطريق هي :

قال الطبري : حدثني محمد بن سعد ، قال حدثني أبي سعد بن محمد ، قال : حدثني عمي الحسين بن الحسن ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس .

ولقد بحثت كثيرا حتى كاد اليأس يدب في نفسي من الاهتداء إلى معرفة رجال هذه الطريق ؛ لأن الطبري يذكرها في جميع كتابه مبهمة بالشكل

---

(١) هو عطية بن سعد العوفي الكوفي ، تابعي شهير ضعيف ، قال ابن سعد : " كان ثقة إن شاء الله ، وله أحاديث صالحة ، ومن الناس من لايحتج به " ، وضعَّف حديثه أحمد والثوري وهشيم وأبو حاتم والنسائي . وسئل يحيى بن معين : " كيف حديث عطية ؟ قال : صالح " ، وقال أحمد : " بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير ، وكان يكني بأبي سعيد فيقول : قال أبو سعيد " . وعلق الذهبي على قول أحمد هذا فقال : " يعني يوهم أنه الخدري " . انظر طبقات ابن سعد جـ: ٦ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ، وكتاب موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي جـ: ٢ ص ٣١٠ ـ ٣١١ و ٣٥٥ ، والتاريخ الكبير جـ: ٤ ق: ١ ص ٨ـ٩ ، والجرح والتعديل جـ: ٣ ق: ١ ، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ، وميزان الاعتدال جـ : ٣ ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٢) انظر الإتقان جـ: ٢ ص ١٨٩ .

التالي : " حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس " ، ولم يذكر اسم والد محمد ابن سعد ، واسم عم جده إلا مرة واحدة ، مما جعلني أعتدي إلى بقية رجالها ، وعرفت أنها طريق سلسلة بالضعفاء من أسرة واحدة ، وهي معروفة عند العلماء بطريق عطية العوفي التي تحدثت عنها آنفا ، لأن التابعي في أعلاها الذي يروي عن ابن عباس هو عطية العوفي . وتتمة للبحث أرى من الواجب علي أن أوضح هذه الطريق فيما يلي :

أما محمد بن سعد ، فهو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن ابن عطية بن سعد بن جنادة العوفي ، من بني عوف بن سعد ، قال الخطيب البغدادي : " كان لينا في الحديث " ، وقال الدارقطني : " لا بأس به " . توفي سنة ست وسبعين ومائتين (١) . وهو غير محمد بن سعد بن منيع ، كاتب الواقدي وصاحب كتاب الطبقات ، فهذا أحد الحفاظ الكبار الثقات ، قديم الوفاة ، مات في جمادى الآخرة سنة ثلاثين ومائتين .

عن أبيه ، وهو : " سعد بن محمد بن الحسن العوفي " . وهو ضعيف جدا ، سئل عنه الإمام أحمد فقال : " ذاك جهمي " ، ثم لم يره أهلا للرواية (٢) .

عن عمه ، وهو : " الحسين بن الحسن بن عطية العوفي " . كان على قضاء بغداد ، وكان طويل اللحية جدا ، روى الخطيب من أخبار لحيته طرائف . ضعفه أبو حاتم ، والنسائي ، ويحيى بن معين ، وغيره . وقال

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد جـ ٥ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ، وميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٥٦٠ ، ولسان الميزان لابن حجر جـ ٥ ص ١٧٤ .

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد جـ ٩ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ، ولسان الميزان لابن حجر جـ ٣ ص ١٨ ـ ١٩ .

ابن حبان : " يروي أشياء لايتابع عليها ، لايجوز الاحتجاج بخبره " ، وقال ابن معين : " كان ضعيفا في القضاء ، ضعيفا في الحديث " ، وقال ابن سعد في الطبقات (١) : " وقد سمع سماعا كثيرا ، وكان ضعيفا في الحديث " .

عن أبيه ، وهو : " الحسن بن عطية بن سعد العوفي " ، وهو ضعيف أيضا . قال عنه أبو حاتم : " ضعيف الحديث " ، وقال البخاري : " ليس بذاك " (٢) .

عن جده ، وهو : "عطية بن سعد بن جنادة العوفي " . ضعيف مدلّس ، تكلمنا عنه قبل قليل (٣) .

٢٩٨ ـ عاشرا ـ طريق مقاتل بن سليمان (٤) الأزدي البلخي المفسر (٥) ، الذي ينسب إلى الشافعي أنه قال فيه : " إن الناس عيال عليه في التفسير " (٦) ، مع ذلك ضعّفوه ، وقالوا : إنه يروي عن مجاهد وعن الضحاك ولم يسمع منهما ، وكذّبه غير واحد ، ولم يوثقه أحد ، أو بالأحرى لم أجد من يوثقه ، واشتهر عنه التجسيم والتشبيه (٧) . وقال السيوطي في

---

(١) انظر ترجمته مفصّلة في الطبقات لابن سعد جـ٧ ق ٢ ص ٧٤ ، والجرح والتعديل جـ ١ ق ٢ ص ٤٨ ، وتاريخ بغداد جـ ٨ ص ٢٩ ـ ٣٢ ، وميزان الاعتدال جـ ١ ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣ ، ولسان الميزان جـ ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) انظر ترجمته في الجرح والتعديل جـ ١ ق ٢ ص ٢٦ ، والتاريخ الكبير جـ ١ ق ٢ ص ٢٩٩ ، وميزان الاعتدال جـ ١ ص ٥٠٣ .

(٣) انظر ما مرّ في الفقرة (٢٩٦) وهامشها .

(٤) انظر الإتقان جـ ٢ ص ١٨٩ .

(٥) انظر ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ١٧٣ . مات مقاتل سنة خمسين ومائة ، وهو مقاتل بن دوال دوز الذي روى عنه عبد الرحمن بن محمد المحاربي . انظر كتاب موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي جـ ٢ ص ٤١٨ .

(٦) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٢ ص ٥٦٧ وميزان الاعتدال جـ ٤ ص ١٧٣ .

(٧) انظر إيثار الحق على الخلق ص ١٥٩ ، وميزان الاعتدال جـ ٤ ص ١٧٣ ـ ١٧٥ .

الإتقان : " إن الكلبي يفضل عليه ، لما فى مقاتل من المذاهب الرديّة "(١) ، وقد سئل وكيع عن تفسير مقاتل فقال : " لاتنظروا فيه . فقال السائل : ما أصنع به ؟ قال : ادفنه ـ يعني التفسير ـ "(٢) . وقال أحمد بن حنبل : " لايعجبني أن أروي عن مقاتل بن سليمان شيئا "(٣) . وجملة القول أن من استحسن تفسير مقاتل كان يضعفه ويقول : " ما أحسن تفسيره لو كان ثقة "(٤) .

٢٩٩ ـ حادى عشر ـ طريق محمد بن السائب الكلبي (٥) ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس . وهذه أوهى الطرق (٦) .

---

(١) انظر الإتقان جـ ٢ ص ١٨٩ .

(٢) انظر تهذيب الأسماء واللغات لمحي الدين النووي جـ ٢ ص ١١١ .

(٣) انظر المرجع السابق .

(٤) انظر ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ١٧٣ ، وانظر : التفسير ـ معالم حياته ـ منهجه اليوم ص ٩ .

(٥) هو محمد بن السائب بن بشر ، أبو النضر الكلبي ، من أهل الكوفة ، ضعيف جدا . قال أبو حاتم : " الناس مجتمعون على ترك حديثه ، لايشتغل به ، هو ذاهب الحديث " . وهو أبو سعيد الذي يروي عنه عطية العوفي بهذه الكنية ليوهم أنه يروي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ مات الكلبي سنة ست وأربعين ومائة . ـ انظر كتاب موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي جـ ١ ص ١٧ ـ ١٨ ، وص ٣٥٤ ـ ٣٥٧ ، والجرح والتعديل جـ ٣ ق ١ ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ ، وميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٥٥٦ ـ ٥٥٩ .

(٦) انظر الإتقان جـ ٢ ص ١٨٩ .

والكلبي معروف بالتفسير ، وليس لأحد تفسير أطول منه ، ولا أكثر اشباعا [١] ، كما يقول ابن عدي في الكامل ، ومع هذا ، فإن وجد من قال : رضوه في التفسير ، فقد وجد من قال : أجمعوا على ترك حديثه ، وليس بثقة ، ولا يكتب حديثه ، واتهمه جماعة بالوضع [٢] .

وقد أخرج عبد الرزاق في تفسيره من هذه الطريق عن معمر [٣] .

٣٠٠ ـ ومن يروي عن الكلبي محمد بن مروان السُّدِّي الصغير [٤] ، وهو متروك ، واتهمه بعضهم بالكذب [٥] . قال ابن معين : " ليس بثقة " [٦] وقال السيوطي في الإتقان : " فإن انضم إلى ذلك ـ أي إلى طريق الكلبي ـ محمد بن مروان السدي الصغير ، فهي سلسلة الكذب " [٧] ، وقال أيضا

---

(١) ورد في الأصل : ولا أشبع ، والشبع غير قابل للتفاوت .

(٢) انظر ميزان الاعتدال للذهبي جـ٣ ص٥٥٨ ـ ٥٥٩ ، وانظر : التفسير ـ معالم حياته ـ منهجه اليوم ص٩ .

(٣) انظر تفسير عبد الرزاق المخطوط بدار الكتب المصرية ص ٨٠ ، ٨٥ ، ٢٩٠ وغيرها .

(٤) هو محمد بن مروان السدي الكوفي ، وهو السدي الصغير ، ضعيف جدا . قال الذهبي : " تركوه ، واتهمه جماعة بالكذب ، وهو صاحب الكلبي " ، وقال البخاري : " سكتوا عنه ، وهو مولى الخطابيين ، لا يكتب حديثه البتة " وقال ابن معين : " ليس بثقة " ، وقال أحمد : " أدركته وقد كبر فتركته " . وذكر الذهبي له روايات ثم عقّب عليها بقول ابن عدي : "الضعف على روايته بين " . انظر ميزان الاعتدال جـ : ٤ ص ٣٢ ـ ٣٣ والإتقان للسيوطي جـ : ٢ ص ١٨٩ ، والدر المنثور للسيوطي جـ ٦ ص ٤٢٣ .

(٥) انظر ميزان الاعتدال جـ : ٤ ص ٣٢ .

(٦) انظر المرجع السابق جـ : ٤ ص ٣٣ .

(٧) انظر الإتقان جـ : ٢ ص ١٨٩ .

في كتابه الدر المنثور : " الكلبي اتهموه بالكذب ، وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه : كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب . ومع ضعف الكلبي فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشد ضعفا ، وهو محمد بن مروان السدي الصغير "(١) .

وكثيرا ما يخرج من هذه الطريق الثعلبي والواحدي(٢) ، ولم أجد الطبري يخرج منها شيئا غير رواية واحدة ليبين ضعفها(٣) .

هذه هي أشهر الطرق عن ابن عباس - رضي الله عنه - وقد بينا صحيحها وسقيمها ، وعرفنا قيمة كل طريق منها .

---

(١) انظر الدر المنثور جـ : ٦ ص ٤٢٣ .

(٢) انظر الاتقان جـ : ٢ ص ١٨٩ .

(٣) اخرج الطبري في تفسيره جـ ١ ص ٢٥ ، من هذه الطريق رواية واحدة فقط ، ثم علق عليها بأن فيها نظر . وعلق ابن كثير على ذلك في تفسيره جـ ١ ص ٦ فقال : " الكلبي متروك الحديث " .

((الفصل الرابع))

* هل يعتبر تفسير ابن عباس (فيما صحت روايته عنه من آثار) هو التفسير المثالي للقرآن ؟
* نماذج منه ، وتعليق عليه .

المفسر المثالي

٣٠١ ـ لايكاد الدارس لابن عباس ينتهي من قراءة ما كتب عنه حتى تبدو له ظاهرتان واضحتان كل الوضوح :

أولاهما : تكامل شخصيته .

ثانيتهما : أن تفسيره (فيما صحت روايته عنه من آثار) هو من أمثل التفاسير ، من حيث كونه جمع الطرق المثلى في التفسير .

٣٠٢ ـ فرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثنى عليه منذ نعومة أظفاره ، وبشره بما لم يبشر به سواه فقال له : " نعم ترجمان القرآن أنت " ، وقد عرف فيه إقباله على العلم والمعرفة ، واستعداده لذلك ، فدعا الله ـ سبحانه ـ أن يؤتيه الحكمة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا . وهذا جبريل الأمين يخبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن ابن عباس حبر الأمة ويوصيه به خيرا .

٣٠٣ ـ تكاملت بنيته الجسمية ، وتبعها تكامل شخصيته العلمية ، حتى بلغ الذروة في عهد علي ـ رضي الله عنه ـ .

ولم يكن في نفسه تخلخل أو تعقيد ، فقد سمت نفسه وصفت ، حتى انطبع جلال الله في قلبه ، وعظمت رقابته لربه ، فتزود بالتقوى .

وتنعكس هذه الآثار الروحية والنفسية على لسانه ، فيخاطب الغافلين عن الله فيقول : " ياصاحب الذنب لا تأمن شر عاقبته ، فإن ضحكك وأنت لاتدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب ، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب ، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب " .

وكان ـ رضي الله عنه يقول : " لو بغى جبل على جبل لدك الباغي " ، ويقول : " يأتي على الناس زمان يعرج فيه بعقول الناس ،

حتى لاتجد فيه أحدا ذا عقل " ويقول أيضا : " لايقبل الله صلاة امرىء في جوفه حرام " . وكان مجرى الدموع في وجهه كأنه الشراك البالي من كثرة البكاء (١) .

٣٠٤ ـ هذه الشخصية العلمية المفسرة الفذة ، جعلت الصحابة ومن تبعهم يقرون له بالفضل . وقد رأينا كيف أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يجعله في مجلس الشورى ويستشيره ، وكان يقول له : " أشهد أنك تنطق من بيت نبوة " . وعن سعيد بن جبير قال : قال عمر لابن عباس : " لقد علمت علما ما علمناه " (٢) . كما أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ كان يستشيره مع أهل بدر (٣) .

٣٠٥ ـ أما علي ـ رضي الله عنه ـ ، إمام التفسير وشيخ المفسرين ، والعارف بأسرار القرآن فقد قال عنه : " لقد كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق " . ومما قاله أيضا : " وح ابن أم الفضل ، إنه لفوّاص " (٤) .

٣٠٦ ـ وهذا عبد الله بن مسعود ، على منزلته من القرآن وتفسيره ، كان يقول : " لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا رجل " (٥) ، وكان يقول : " نعم ترجمان القرآن ابن عباس " (٦) .

---

(١) انظر أسد الغابة ص ١٩٤ ، وانظر الطبقات الكبرى لعبد الوهاب الشعراني المسماة ، بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار ج : ١ ص ٣٣ .

(٢) انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج : ٣ ص ٣٣ وقد علق الذهبي على هذا الخبر فقال : " سنده صحيح " .

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .

(٤) انظر الاصابة ج ٢ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ وفيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي ج ١ ص ٤٤ (٥) انظر تاريخ بغداد ج ١ ص ١٧٤ .

(٦) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٣٦٦ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ص ٤٠ ، وغيرها .

٣٠٧ - وأما حسان بن ثابت شاعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتتفتح قريحته الشعرية ليقول ما مدح له :

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه
رأيت له في كل أحواله فضلا
إذا قال لم يترك مقالا لقائل
بمنتظمات لاترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس ، فلم يدع
لذي إربة في القول جدا ولا هزلا
سموت إلى العليا بغير مشقة
فنلت ذراها لادنيا ولا وغلا
خلقت خليقا للمروءة والندى
فليجما ولم تخلق كهاما ولا جبلا (١)

٣٠٨ - وقد قال معاوية بن أبي سفيان لعكرمة : " مولاك والله أفقه من مائة رجل " (٢) . وقال يصف بيانه وعلمه شعرا :

إذا قال لم يترك مقالا ولم يقف
لعيّ ولم يثن اللسان على هُجْر

---

(١) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٧ ، وكتاب طرح التثريب في شرح التقريب ، (وهو شرح على المتن المسمى بـ " تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد ") لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى عام ٨٠٦/ هـ ولولده ولي الدين أبي زرعة العراقي ص ٦٩ . وهو طبع جمعية النشر والتأليف الأزهرية .

(٢) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٩ وكتاب طرح التثريب في شرح التقريب ص ٦٨ - ٦٩ .

يصرّف بالقول اللسان إذا انتحى

وينظر في أعطافه نظر الصقر (١)

٣٠٩ - ورأى أبو هريرة - رضي الله عنه - في ابن عباس مظاهر التفوق العلمي ، فقال لما مات زيد بن ثابت : " مات اليوم حبر الأمة ، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا " (٢) .

٣١٠ - ونظرت عائشة - رضي الله عنها - إلى ابن عباس وهو الحلق ليالي الحج ، وهو يسأل عن المناسك ، فقالت : " هو أعلم من بقي بالمناسك " (٣) .

وقال نبهان لأم سلمة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - : أرى الناس على ابن عباس منقصفين ، فقالت : " هو أعلم من بقي " (٤) .

وروى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يقول : " ما رأيت أحدا أحضر فهما ، ولا ألبّ لبا ، ولا أكثر علما ، ولا أوسع حلما من ابن عباس . ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمُعْضِلات ثم يقول : عندك ، قد جاءتك معضلة ، ثم لا تجاوز قوله ، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار (٥) " .

---

(١) انظر العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٧٠ ، والاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٧ ، وقد ورد فيه : مصيب ، بدل : لمصي .

(٢) انظر تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٧٨ ، والإصابة جـ ٢ ص ٣٢٤ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٩ ، وتاريخ بغداد جـ ١ ص ١٧٣ حيث ورد فيه : هو أعلم من بقي بالسنة ، وتهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٧٩ حيث ورد فيه : هو أعلم الناس بالحج ، والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٤ .

(٤) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٩ .

(٥) انظر المرجع السابق .

وقال كعب الأحبار لعكرمة : "مولاك ربّاني هذه الأمة ، هو أعلم من مات ومن عاش "(١) .

وروى محمد بن أبيّ بن كعب عن أبيه أنه سمعه يقول ـ وكان عنده ابن عباس فقام ـ فقال : " هذا يكون حَبْر الأمة ، أوتي عقلا وفهما ، وقد دعا له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يفقهه في الدين "(٢) .

وقال عبد الله بن عمر : " ابن عباس أعلم أمة محمد بما أنزل على محمد "(٣) .

وقد سمع عكرمة عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : " ابن عباس أعلمنا بما مضى ، وأفقهنا فيما نزل مما لم يأت فيه شيء "(٤) .

وقال محمد بن الحنفية " كان ابن عباس حبر هذه الأمة "(٥) .

وقال الحسن : " إن ابن عباس كان من القرآن بمنزلة .. "(٦) .

وكان طلحة بن عبيد الله يقول : " لقد أعطي ابن عباس فهما ولقنا وعلما ، ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم عليه أحدا "(٧) .

ولما مات ابن عباس قال رافع بن خَديج : " مات اليوم من كان يُحتاج إليه بين المشرق والمغرب في العلم "(٨) .

---

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ : ٢ ص ٣٧٠ .
(٢) انظر نفس المرجع .
(٣) انظر تاريخ بغداد جـ : ١ ص ١٧٣ ، والإصابة جـ : ٢ ص ٣٢٣ ، وتهذيب التهذيب جـ : ٥ ص ٢٧٨ .
(٤) انظر طبقات ابن سعد جـ : ٢ ص ٣٧١ .
(٥) انظر الإتقان للسيوطي جـ : ٢ ص ١٨٧ .
(٦) انظر المرجع السابق .
(٧) انظر طبقات ابن سعد جـ : ٢ ص ٣٧٠ .
(٨) انظر طبقات ابن سعد جـ : ٢ ص ٣٧٢ .

وأما جابر بن عبد الله ، فقد قال لما بلغه موت ابن عباس - وصفق بإحدى يديه على الأخرى - : " مات أعلم الناس ، وأحلم الناس ، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق "(١) .

٣١١ - هذه هي شهادات الصحابة الأجلاء - رضي الله عنهم - في ابن عباس ، وقوة شخصيته وغزارة علمه ، وهي غيض من فيض ، وقليل من كثير ، ولو أردنا استعراض آراء الصحابة كلهم لعز علينا ذلك ، إذ الاجماع منعقد على إمامته في التفسير ، وعلو كعبه في فهم مقاصد القرآن ومراميه ، ولكنا اكتفينا هنا ببعضها ، بغض النظر عن سبقه في ميادين العلم الأخرى .

٣١٢ - ولئن كانت شهادات الصحابة في ابن عباس على هذا النحو الذي ذكرنا ، فإن التابعين قد عرفوا له فضله عندما سما نجمه ، وعلا على أقرانه ، فقد قال عروة ابن الزبير : " ما رأيت مثل ابن عباس قط "(٢) .

وقال عمرو بن دينار : " ما رأيت مجلسا أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس ، الحلال والحرام ، والعربية والأنساب والشعر "(٣) .

وقال سعيد بن المسيب : " ابن عباس أعلم الناس "(٤) .

وقال ميمون بن مهران : " لو أتيت ابن عباس بصحيفة فيها ستون حديثا ، لرجعت ولم تسأله عنها ، وسمعتها يسأله الناس فيكذبونك "(٥) .

---

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ : ٢ ص ٣٧٢ .
(٢) انظر تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٧٩ ، والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٤ .
(٣) انظر الإصابة جـ ٢ ص ٣٢٥ ، والأعلام جـ ٤ ص ٢٢٩
(٤) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٨ .
(٥) انظر الإصابة جـ ٢ ص ٣٢٥ .

وقال القاسم بن محمد : " ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلا قط ، وما سمعت فتيا أشبه بالسنة من فتواه ، وكان أصحابه يسمونه : البحر ، ويسمونه الحبر "(١)

أما عبيد الله بن عبد الله بن عتبة فقد قال : " ما رأيت أحدا كان أعلم بالسنة ، ولا أجل رأيا ، ولا أثقب نظرا من ابن عباس ، ولقد كان عمر يعده للمعضلات ، مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين "(٢) . وقال أيضا : " كان ابن عباس قد فات الناس بخصال : بعلم ما سبقه ، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم وسَيْب ونائل ، وما رأيت أحدا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه ، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أعلم بما مضى ولا أثقف رأيا فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوما ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوما التأويل ، ويوما المغازي ويوما الشعر ، ويوما أيام العرب . وما رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له ، وما رأيت سائلا قط سأله إلا وجد عنده علما "(٣) .

وقال مجاهد : " كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه "(٤) . وقال : " ما سمعت فتيا أحسن من فتيا ابن عباس إلا أن يقول قائل : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "(٥) .

---

(١) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٦ .

(٢) انظر المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٨ .

(٤) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٣٦٦ ، وتاريخ بغداد جـ ١ ص ١٧٤ ، والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٥ ، والإتقان جـ ٢ ص ١٨٧ .

(٥) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٤ .

وقال عكرمة : " كان ابن عباس أعلمهما بالقرآن ، وكان علي أعلمهما بالسنة "(١) .

وقال سعيد بن جبير : " إن كان ابن عباس ليحدثني الحديث ، فلو يأذن لي أن أقبل رأسه لفعلت "(٢) .

وقال طاوس : " أدركت نحو خمسمائة من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا ذكروا ابن عباس فخالفوه لم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله "(٣) . وقال : " كان ابن عباس من الراسخين في العلم "(٤) . وقال : " كان ابن عباس قد بسق على الناس في العلم كما تبسق النخلة السحوق على الوَدِيّ الصغار "(٥) . وقال : " ما رأيت رجلا أعلم من ابن عباس " . ولما قال ليث بن أبي سُليم لطاوس : " لزمتَ هذا الغلام يعني ابن عباس ـ وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " أجابه طاوس فقال : " إني رأيت سبعين من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، إذا تدارؤوا في شيء صاروا إلى قول ابن عباس "(٦) .

وقال عطاء : " ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاء ، وأعظم خشية . إن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب

---

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٧ .
(٢) انظر المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٧٠ .
(٣) انظر الاستيعاب جـ ٢ ص ٣٤٤ ، وطبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٧٢ ، بلفظ آخر .
(٤) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٧٠ .
(٥) انظر المرجع السابق .
(٦) انظر طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٣٦٦ـ٣٦٧ ، والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٤ .

الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من وادٍ واسع " (١) . وقال : "كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب ، وناس يأتونه لأيام العرب ووقائعهم ، وناس يأتونه للفقه والعلم ، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاءون . وكان كثيرا ما يجعل أيامه يوما للفقه ، ويوما للتأويل ، ويوما للمغازي ، ويوما للشعر ، ويوما لوقائع العرب . وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له : " أنت لها ولأمثالها . ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه " (٢) .

٣١٣ - فهل يبقى بعد هذا أدنى شك في أن هذا الصحابي الجليل قد علا نجمه في جميع الميادين ، وبز أقرانه ، وصار المرجع الأول والأخير حتى عند كبار الصحابة والتابعين ؟

٣١٤ - وأما ماثبت عنه في تفسيره لكلام الله - عز وجل - فهو يدل على فكر حصيف ، ورأى سديد ، ونظر ثاقب ، وتحر دقيق . وهذه نماذج متعددة الجوانب مما صح عنه في تفسير القرآن ، تدل دلالة واضحة على المنهج السوي الذي كان يسير عليه ، مما يجعلنا نقول عن يقين : إن ابن عباس مفسر مثالي ، اجتمع له ماكان موزعا بين الصحابة جميعا من خطط التفسير ، فتكامل منهجه نظريا ، واستقام عمليا . وإن تفسيره يعتبر - لذلك - من أصل التفاسير للقرآن الكريم ، من حيث المنهج والخطة . وإن كنا نقول بعدم ثبوت صحة تفسير كامل عنه للقرآن .

٣١٥ - فمن تفسيره القرآن بالقرآن ، ما روي عن سعيد بن جبير أن رجلا أتى ابن عباس فقال : " سمعت الله يقول : فلا أنساب بينهم

---

(١) انظر تاريخ بغداد جـ ١ ص ١٧٤-١٧٥ ، والاصابة جـ ٢ ص ٣٢٤ .

(٢) انظر الاصابة جـ ٢ ص ٣٢٦ ، والأعلام جـ ٤ ص ٢٢٩ .

يومئذ ...»(١) وقال في آية أخرى : وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون(٢) » ، فقال : " أما قوله : فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، فذلك في النفخة الأولى ، فلا يبقى على الأرض شيء ، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وأما قوله : " وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، فإنه لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون »(٣) .

٣١٦ - ابن عباس يتعلم من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويروى عنه استنباط الأحكام من القرآن :

روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال : " ماتت شاة لسودة بنت زمعة ، فقالت : يا رسول الله ، ماتت فلانة - يعني الشاة - ، فقال : فلولا أخذتم مَسْكَها ؟ فقالت : نأخذ مَسْك شاة قد ماتت ؟ ، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنما قال الله - عز وجل - : " قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يَطْعَمُهُ إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير »(٤) . فإنكم لا تطعمونه ، إن تربغوه فتنتفعوا به ، فأرسلت إليها فسلخت مسكها فدبغته ، فاتخذت منه قربة حتى تخرقت عندها »(٥) .

٣١٧ - ومما يدل على تبحره في اللغة العربية وعلمه بأسرارها : ما روى مجاهد قال : سئل ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه : " يبدل

---

(١) المؤمنون : ١٠١ .

(٢) الصافات : ٢٧ ، والطور : ٢٥ .

(٣) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره جـ ١٨ ص ٣٦ - ٣٧ وأخرج بنحوه في ص ٣٧ من طريق أبي صالح قال حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس .

(٤) الأنعام : ١٤٥ .

(٥) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٥ ص ١٣ .

الله سيئاتهم حسنات "(١) فقال :

يُدَلِّسُ بعد حَرِّهِنَّ خريفا ويمد طول النفس الوجيفا(٢)

ولما بين أن معنى كلمة (لا تنيا) هو : لاتضعفا (٣) ، من قوله تعالى : " ولا تنيا في ذكرى "(٤) طلب منه نافع ابن الأزرق شاهدا على ذلك ، فأنشد ابن عباس قول الشاعر :

إني وجدك ما ونيت ولم أزل أبغي الفكاك له بكل سبيل(٥)

وقد مَرَّ معنا جانب من مسائل ابن الأزرق عندما تحدثنا عن منهج ابن عباس (٦) . وعن سعيد بن جبير ويوسف بن مهران قالا : "ما نحصي ما سمعنا ابن عباس يُسأل عن الشيء من القرآن فيقول : هو كذا ، أما سمعت الشاعر يقول : كذا وكذا "(٧) .

٣١٨ — ومن تفسيره الذي يكشف عن معرفته بأحوال العرب وأوضاعها في عصر التنزيل ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال : "كانت عُكاظ ومَجَنَّة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا في المواسم ، فنزلت (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج "(٨) .

---

(١) الفرقان من الآية ٧٠ والآية بتمامها " إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما " .

(٢) انظر الأثر في تفسير الطبري جـ ١٩ ص ٢٨ .

(٣) انظر البخاري جـ ٥ ص ٢٣٩ .

(٤) طه : ٤٢ .

(٥) انظر الإتقان جـ ١ ص ١٢١ .

(٦) ارجع إلى الفقرة : ٢١٢ من هذه الرسالة .

(٧) انظر تاريخ الإسلام للذهبي جـ ٣ ص ٣٦ .

(٨) انظر البخاري جـ ٥ ص ١٥٨ .

وأخرج البخاري أيضا عن ابن عباس : " (يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيموهن *) قال : كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاءوا زوجوها ، وإن شاءوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية في ذلك " (١) .

٣١٩ ـ ومما يدل على إلمامه بأحوال أهل الكتاب في عصر التنزيل ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا محمد بن سلمة عن ابن اسحق عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ـ عز وجل ـ : (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ، إن الله يحب المقسطين) قال : " كان بنو النضير إذا قتلوا قتيلا من بني قريظة أدّوا إليهم نصف الدية ، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير قتيلا أدوا إليهم الدية كاملة ، فسوّى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينهم الدية كاملة " (٢) .

٣٢٠ ـ وأما إحاطته بأسباب نزول الآيات فكتب الحديث زاخرة بالمرويات التي تؤكدها ، من ذلك ما روي عنه أنه قال : " نزلت : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي إذ بعثه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في السَّرِيَّة " (٣) .

٣٢١ ـ وإذا أردت أن تأخذ صورة مصغرة ، وفكرة موجزة عن قوة فهمه وسعة إدراكه فاقرأ معي هذه النماذج :

---

(١) انظر البخاري جـ ٥ ص ١٧٨ .
(٢) انظر مسند أحمد جـ ٥ ص ١٤٥ .
(٣) انظر مسند أحمد جـ ٥ ص ٤٩ .

أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى : (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ... الآية)(١) قال ابن عباس : " الكلام الطيّب : ذكر الله ، والعمل الصالح : أداء فرائضه ، فمن ذكر الله - سبحانه - في أداء فرائضه ، جعل عليه ذكر الله ، فصعد به . ومن ذكر الله ، ولم يؤد فرائضه ، رد كلامه على عمله فكان أولى به " (٢) .

وروي أن عمر - رضي الله عنه - قال يوما لأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - : " فيم ترون هذه الآية نزلت (أيود أحدكم أن تكون له جنة " ؟ قالوا : الله أعلم . فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، قال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك . قال ابن عباس : ضربت مثلا لعمل قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس لرجل غنيّ يعمل بطاعة الله - عز وجل - ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله "(٣) .

وروي عن ابن عباس أنه قال : " كباسط كفيه : مثل المشرك الذي عبد مع الله إلها غيره كمثل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر "(٤) .

---

(١) فاطر : ١٠ .

(٢) انظر تفسير الطبري جـ ٢٢ ص ٧١ .

(٣) انظر البخاري جـ ٥ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٤) انظر المرجع السابق جـ ٥ ص ٢١٨ .

٣٢٢ ـ نماذج عامـــة :

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : "تَطَوُّفُ الرجل بالبيت ما كان حلالا حتى يهل بالحج ، فإذا ركب إلى عرفة فمن تيسر له هَدِيَّةٌ من الإبل أو البقر أو الغنم ، ما تيسر له من ذلك أيّ ذلك شاء ، غير أن (من)(١) لم يتيسر له ، فعليه ثلاثة أيام في الحج ، وذلك قبل يوم عرفة ، فإن كان آخر يوم من الأيام الثلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه ، ثم ليطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر إلى أن يكون الظلام ، ثم ليدفعوا من عرفات إذا أفاضوا منها حتى يبلغوا جَمْعا الذي يبيتون به ، ثم ليذكروا الله كثيرا ، وأكثروا التكبير والتهليل قبل أن تصبحوا ، ثم أفيضوا فإن الناس كانوا يفيضون ، وقال الله تعالى : (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) حتى ترموا الجمرة "(٢) .

وعن ابن عباس قال : " (حسبنا الله ونعم الوكيل) : قالها ابراهيم ـ عليه السلام ـ حين أُلقي في النار ، وقالها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قالوا : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل "(٣)

وأخرج البخاري أيضا في صحيحه أن مروان قال لبوابه : "اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب

---

(١) ورد في الأصل بدون (من) ويظهر أنه خطأ مطبعي ، إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٢) انظر البخاري جـ ٥ ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٣) انظر المرجع السابق جـ ٥ ص ١٧٢ .

أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون . فقال ابن عباس : مالكم ولهذه ؟ إنما دعا النبي — صلى الله عليه وسلم — يهود ، فسألهم عن شيء ، فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ، ثم قرأ ابن عباس : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ... كذلك حتى قوله : يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) "(١) .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس — رضي الله عنهما — : " (ولكل جعلنا موالي) قال : ورثة ، (والذين عاقدت أيمانكم) ، كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاريَّ دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي — صلى الله عليه وسلم — بينهم ، فلما نزلت : (ولكل جعلنا موالي) نسخت ، ثم قال : (والذين عاقدت أيمانكم) من النصر والرفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصي له "(٢) .

وعن ابن أبي مليكة أن ابن عباس تلا : (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) وقال : " كنت أنا وأمي ممن عذر الله "(٣) .

---

(١) انظر المرجع السابق جـ ٥ ص ١٧٤ ، والآيتان اللتان تلاهما ابن عباس هما : (١٨٧ — ١٨٨) من سورة آل عمران وتمامهما : " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلا ، فبئس ما يشترون * لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم " .

(٢) انظر البخاري جـ ٥ ص ١٧٨ — ١٧٩ .

(٣) انظر المرجع السابق جـ ٥ ص ١٨١ .

وعن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود قال : "قُطِعَ على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه ، فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته ، فنهاني عن ذلك أشد النهي ثم قال : أخبرني ابن عباس أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأتي السهم فيُرمَى به فيصيب أحدَهم فيقتلُه ، أو يُضْرَبُ فيقتل فأنزل الله : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم .... الآية) "(١) .

٣٢٣ ـ لعلنا بعد أن استعرضنا هذه النماذج المترجمة ، نستطيع أن نحكم على تفسير ابن عباس بأنه أمثل التفاسير ، فقد أدركنا أن مرجعه الأول هو كتاب الله نفسه ، وإنه عندما فسر قوله تعالى : " فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون " قرن بها قوله : " وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون " . وعندما سأله مجاهد عن السجدة التي في سورة ص أرشده إلى الاستعانة بالقرآن نفسه لتفسير القرآن فقال له : " أقرأ هذه الآية : " ومن ذريته داود وسليمان " وفي آخرها " فبهداهم اقتده " ؟ ثم قال : " أمر نبيكم أن يقتدي بداود "(٢) . وبهذا يكون ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قد فسر القرآن بالقرآن ، وفهم مراد الله تعالى بما جاء عن الله .

٣٢٤ ـ أما مرجعه الثاني فهو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن مهمته البيان بصريح قوله تعالى : " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون " . وقد رأينا فيما مضى أن ملازمة

---

(١) انظر البخاري جـ ٥ ص ١٨٣ .

(٢) انظر صحيح البخاري جـ ٥ ص ١٩٤ ومسند أحمد جـ ٥ ص ١٣١ .

ابن عباس في طفولته لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تكن ملازمة طفل عاديّ يرتع في بيت يجد فيه من الرأفة والحنان مايجد ، وإنما كانت ملازمة حريص على معرفة ماخفي عليه من فعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتتبع ماحصل منه تفصيلا وحفظه حفظا كاملا . ورأيناه ـ عند دراسة شيوخه ـ يبيت عند خالته ميمونة في بيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ليرقب عن كثب أقواله وأفعاله ، فيتعلم الكثير مما لايستطيع غيره أن يتعلمه ، ثم يستدرك مافاته تعلمه من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لصغر سنة بالرجوع إلى صحابته الكرام .

وهو إذ يرجع إلى الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ينخل ويتثبت ، بعد أن يسمع ويجمع (١) ، فيكون بذلك قد وضع أساس منهج الاختيار الملمسي .

٣٢٥ ـ وعندما يعييه أن يجد بغيته في المرجعين السابقين يلجأ إلى الاجتهاد بالرأي ، مستعينا بأدوات الاجتهاد الأربع التي توافرت له ، واجتمعت فيه بشكل كامل .

فقد أحاط بأسرار اللغة وأوضاعها ، ووقف على دقائقها ثم كان أديبا ناقدا يتذوق بلاغة الأسلوب القرآني ، ويحسن بيانها .

٣٢٦ ـ يا حبر الأمة : حقا إنا لنقف بساحل بحر علومك خاشعين ، ولا غرابة في ذلك ، فإنك بحق تنطق من بيت نبوة . لقد أحطت بمادات العرب ، وعرفت أقوالها وأفعالها ومجاري

---

(١) انظر الفقرة : ١٦٢ .

أحوالها في عصر التنزيل حتى صرت مرجعا في ذلك ، يقصدك الناس من كل حدب وصوب ....

كما أحطت علما بأسباب نزول الآيات ، وعرفت ما لابس نزول القرآن من ظروف ، فإن كتب الحديث زاخرة بمروياتك في ذلك .

ولقد بلغت الذروة في قوة فهمك وسعة إدراكك ، وصدقت نبوءة الرسول فيك ، واستجاب الله دعواته لك .

يالك من صحابي جليل ! اجتمع لك من العلوم ما يندر أن يجتمع لغيرك . ولقد عمت في بحرك عامين كاملين لم أتجاوز فيهما شواطئ علمك ، فجزاك الله عنا خير الجزاء ، وتغمدك بالرحمة والرضوان .

((الخاتمـــــة))

فـــي تسجيل أهـم نتائـج البحث

خاتمة الرسالة

٣٢٧ ـ مما تقدم ظهرت لنا بوضوح عدة حقائق لابد أن نسجلها بعد تتبع لها من ثنايا دراستنا لابن عباس :

١ ـ أن بيان القرآن وتفسيره هو مهمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأساسية بعد تبليغه ، ولا يفهم من هذا أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد فسر وبين معاني القرآن كله ، بحيث لم يترك مجالا لغيره ، وإنما ترك التفريع للبيئات المتنوعة في العصور المختلفة .

٢ ـ إن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يمارسون مهمة البيان والتفسير بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استنادا إلى ما تعلموه منه ، ولمعاصرتهم نزول القرآن ، واطلاعهم على الملابسات التي أحاطت بأسباب النزول .

لذا كان لما يروى عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في هذا المجال أهمية بالغة ، فلا ينبغي للمفسر أن يتغاضى عنه إذا أراد أن يسلم تفسيره من الزلل .

٣ ـ ان عبد الله بن عباس كان صاحب الباع الأطول في هذا الميدان ، وقد امتاز بأمور لم تتوفر لسواه .

٣٢٨ ـ ولعل أهم ما يستخلص من حياة ابن عباس : أن ملازمته لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والقرابة التي تربطه به : ـ حيث كان النبي ابن عمه وزوج خالته ميمونه ـ ، جعلتاه يحظى بدعواته ورعايته ، وتمكن مما لم يتمكن منه سواه .

وكان لما يمتاز به من فكر ثاقب ونباهة عجيبة يحظى بدخول مجلس الشورى في عهد عمر ـ مع صغر سنه ـ فيأخذ عن الأكابر

الصحابة علمهم وتجاربهم ، ومعطيهم من فكره الحصيف .

وسواه في عهد عثمان يكاد يبلغ الذروة العلمية ، ويستمد لخوض غمار الحياة العملية ، ويخوضها بالفعل في عهد علي - رضي الله عنه - ويطلع على الخلافات والحوادث التي نشبت في عهده ، فيأخذ منها دروسا وعبرا ، ويشير على علي في كثير من الأمور ، ثم يشير على ولديه الحسن والحسين من بعده حين بلغ الذروة في النضج العقلي والعلمي والجسمي .

ولا أدل على حسن تصرفه ودقة نظره ، من موقفه من ابن الزبير ، وعدم بيعته له ، حرصا منه على جمع كلمة المسلمين .

٣٢٩ - ومضى البحث في تتبع شيوخ ابن عباس وثقافته ، فظهر لنا أنه تتلمذ في صغره على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخذ منه ما لم يتيسر لغيره أخذه ، ثم تابع تحصيله ، فاستكمل ما فاته من جهابذة الفكر والعلم ، من أكابر صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأفهمهم : عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، ومن كعمر في سعة فكره وعلمه ودقة نظره واجتهاده للمسلمين ؟ وأبي بن كعب مع ارتفاع شأنه في تفسير القرآن والعلم .

وعلي بن أبي طالب شيخ المفسرين وإمام العلماء ، الذي عُرِف بحلّ المعضلات حتى قيل : " معضلة ولا أبا حسن لها " .

وزيد بن ثابت أفرض الصحابة ، وغير هؤلاء ممن تقدم ذكرهم ، فجمع ما عندهم حتى سما عليهم جميعا ، واعترفوا له بالعلم والفضل .

٣٣٠ - ثم استعرضنا في أول الباب الثاني التفسير والمفسرين قبل عهد ابن عباس ، مع ذكر نماذج متعددة في تفسير القرآن للرسول

- صلى الله عليه وسلم - ، وللصحابة الكرام - رضي الله عنهم - .

وتابعنا بعد ذلك منهج ابن عباس في التفسير ، فتبين أنه لم يخرج عن القواعد الأصلية ، والخطوط الأساسية التي سار عليها الصحابة المفسرون في تفسيرهم ، غير أنه امتاز بأمور لم تجتمع في غيره كما اجتمعت فيه :

١ - ضرب الرقم القياسيّ في التثبت عندما يأخذ عن غيره ، فكان يسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - .

٢ - جمع ماعند الصحابة جميعا ، من علم ومعرفة باللغة ، وعادات العرب ، وأسباب نزول القرآن ، وزاد عليهم بقوة فهمه وسعة إدراكه .

٣ - رجوعه إلى الشعر الجاهلي في تفسير المفردات الغريبة في القرآن الكريم ، وقد تعلم ذلك من شيخه عمر وتفوّق عليه .

٣٣١ - وتتبّعنا البحث في الكتاب المنسوب إلى ابن عباس في تفسير القرآن ، والمسمّى : " تنوير المقباس في تفسير ابن عباس " فوالذي جمعه محمد بن يعقوب الفيروزأبادى صاحب القاموس ، فتبين أنه غير صحيح ولا يعول عليه ، وإن كانت فائدته لاتنكر من الناحية الثقافية لا العلمية .

٣٣٢ - وفي البحث بعد ذلك في مدرسته في التفسير وشيوخ هذه المدرسة ، فوجدناها تقوم على خمسة من تلاميذه هم :

سعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، وطاوس بن كيسان ، وعكرمة ، وعطاء بن أبي رباح ، وعرفنا مدى ملازمة كل منهم لابن عباس ، وأخذهم عنه .

وقد عرضنا نماذج من أقوالهم في التفسير ، وبعد أن قرناها بأقوال شيخهم ابن عباس ، تبين لنا أنها لاتخرج عن دائرة أقوال

الأولى - طريق الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس . ورأينا أن هذه الطريق تعتبر من السلاسل الذهبية ، وقد أخرج منها ابن جرير الطبري ، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني في تفسيرهما .

الثانية - طريق سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ابن أبي رباح - وعن عكرمة أحيانا - ، عن ابن عباس . وقد أخرج منها عبد الرزاق في تفسيره .

الثالثة - طريق أبي صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وقد أخرج من هذه الطريق الطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، كما اعتمد عليها البخاري كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس .

الرابعة - طريق عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

٣٣٦ - وفي هذه الطرق في المرتبة - من حيث الصحة - طريقان :

الأولى طريق محمد بن إسحق صاحب السير ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وهي طريق جيدة وإسنادها حسن ، وقد أخرج منها الطبري ، وابن أبي حاتم ، والطبراني في معجمه الكبير .

الثانية - طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ، تارة عن أبي مالك ، وتارة عن أبي صالح ، عن ابن عباس . وهذه الطريق جيدة ، غير أن التفسير الذي جمعه السدي رواه عنه أسباط بن نصر الهمداني ، وهو ضعيف .

٣٣٧ - ويأتي بعد ذلك طرق لا تكاد تحمل طابع القوة هي :

" المراجـــــع "

" المراجـــــــــع "

(أ)

مسلسل	اسم المرجع	المؤلـــف ـ ملاحظات
١ـ	الاستيعاب في أسماء الأصحاب	ابن عبد البر القرطبي • على هامش الإصابة •
٢ـ	أسد الغابة في معرفة الصحابة	ابن الأثير الجزرى • ١٢٨٠ هـ
٣ـ	أنساب الأشراف	أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري دار المعارف بمصر ١٩٥٩م
٤ـ	أنباء نجباء الأبناء	ابن ظفر الصقلي • الطبعة الأولى مطبعة التقدم
٥ـ	الإكمال في أسماء الرجال	محمد بن عبد الله الخطيب• نشر المكتب الإسلامى بدمشق
٦ـ	الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني • مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٨م •
٧ـ	أسماء الصحابة الرواة ومالكل واحد منهم من العدد•	ابن حزم الأندلسى (مخطوط) دار الكتب المصرية ـ مصطلح (٢٥٤)
٨ ـ	أسماء الصحابة الرواة ومالكل واحد من العدد •	محمد بن خلف (مخطوط) دار المصرية ـ مجاميع (٥٢١)
٩ـ	أصول التشريع الإسلامي	علي حسب الله ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ١٩٥٩م •

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف - ملاحظات
١٠-	الأعلام	خير الدين الزركلي - الطبعة الثانية .
١١-	الإتقان في علوم القرآن	جلال الدين السيوطي - الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م
١٢-	أعلام الموقعين	ابن القيم - الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م
١٣-	إيثار الحق على الخلق	أبو عبد الله اليماني - مطبعة الآداب ١٣١٨ هـ .
١٤-	إبراز المعاني من حرز الأماني ، وهو شرح متن الشاطبية في القراءات السبع .	عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي المعروف بأبي شامة طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٤٩هـ .

(ب)

١٥-	بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب .	محمود شكري الألوسي البغدادي - الطبعة الثالثة - مطابع دار الكتاب العربي بمصر .
١٦-	البيان والتبيين (بشرح السندوبي)	الجاحظ - الطبعة الثانية .
١٧-	البرهان في علوم القرآن	بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - الطبعة الأولى - دار احياء الكتب العربية ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م .

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف ـ ملاحظات
	(ت)	
١٨ـ	تفسير ابن كثير	الحافظ ابن كثير ـ المطبعة التجارية ١٣٥٦ هـ
١٩ـ	تفسير الجامع لأحكام القرآن	القرطبي ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥١ هـ = ١٩٣٣م .
٢٠ـ	تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .	شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي ـ إدارة الطباعة المنيرية .
٢١ـ	التفسير ـ معالم حياته ـ منهجه اليوم .	أمين الخولي ـ مطبعة دار المعلمين للطبع ١٩٤١م .
٢٢ـ	تفسير عبد الرزاق	عبد الرزاق بن همام الصنعاني (مخطوط) دار الكتب المصرية .
٢٣ـ	تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن .	محمد بن جرير الطبري ـ المطبعة الأميرية ١٣٢٣هـ .
٢٤ـ	تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان .	الإمام النيسابوري ـ المطبعة الأميرية ١٣٢٣هـ .
٢٥ـ	تنوير المقباس من تفسير ابن عباس .	جمع أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادي .
٢٦ـ	تاريخ دمشق	ابن عساكر (مخطوط) المكتبة الظاهرية بدمشق .

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف - ملاحظات
٢٧-	تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام .	الذهبي - مطبعة السعادة ١٣٦٨
٢٨-	تاريخ بغداد أو مدينة السلام .	أحمد بن علي الخطيب البغدادي الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ = ١٩٣١م .
٢٩-	تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس .	حسين بن محمد بن الحسن . الديار بكري ١٢٨٣ هـ
٣٠-	تاريخ الأمم والملوك	محمد بن جرير الطبري - الطبعة الأولى - المطبعة الحسينية المصرية .
٣١-	تاريخ الدولة العربية	المستشرق يوليوس فلهاوزن . تحقيق : الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، والدكتور حسين مؤنس - طبع مصر ١٩٥٨م
٣٢-	تاريخ الخلفاء	السيوطي - طبع مصر ١٣٠٥ هـ
٣٣-	تاريخ الوزراء	الصابي - المطبعة اليسوعية .
٣٤-	تاريخ التشريع الإسلامي	محمد الخضري - الطبعة السابعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
٣٥-	تاريخ الفقه الإسلامي لكلية الشريعة بالجامعة الأزهرية .	محمد علي السايس .

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف - ملاحظات
٣٦-	تاريخ التشريع الإسلامي	السبكي والسايس والبرديسي - الطبعة الثانية - مطبعة الشرق الإسلامية .
٣٧-	التاريخ الكبير	محمد بن إسماعيل البخاري - الطبعة الأولى - طبع الهند ١٣٦١ هـ
٣٨-	تذكرة الحفاظ	الذهبي - طبع الهند - حيدر آباد ١٣٣٣ هـ
٣٩-	تهذيب التهذيب	ابن حجر العسقلاني - طبع الهند - حيدر آباد ١٣٢٦ هـ
٤٠-	تهذيب الكمال	المزّي (مخطوط) دار الكتب المصرية .
٤١-	تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير .	ابن الجوزي - طبع الهند - دلهي
٤٢-	تهذيب تاريخ ابن عساكر	عبدالقادر بدران - الطبعة الأولى مطبعة الترقي بدمشق .
٤٣-	تهذيب الأسماء واللغات	محيي الدين النووي - الطبعة الأخيرة - إدارة الطباعة المنيرية .
٤٤-	تجريد أسماء الصحابة الرواة (مختصر الغابة) .	عبدالله بن محمد الذهبي الدمشقي (مخطوط)
٤٥-	تقريب التهذيب	ابن حجر العسقلاني . بتعليق عبدالوهاب عبداللطيف .
٤٦-	تقريب النشر في القراءات العشر	ابن الجزري - الطبعة الأولى مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف - ملاحظات
٤٧-	التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان .	لمحتصم بالله طاهر بن صالح ابن أحمد الجزائري - الطبعة الأولى - مطبعة المنار بمصر ١٣٣٤ هـ .
	(ج)	
٤٨-	جمهرة أنساب العرب	أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي - دار المعارف بمصر - نشر إ . ليفي بروفنسال .
٤٩-	الجمع بين رجال الصحيحين	المقدسي - الطبعة الأولى - الهند حيدر آباد الدكن ١٣٢٣ هـ
٥٠-	جامع بيان العلم وفضله	ابن عبد البر - إدارة الطباعة المنيرية .
٥١-	الجرح والتعديل	عبد الرحمن بن أبي حاتم - طبع الهند ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢م
	(ح)	
٥٢-	حلية الأولياء	أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني - الطبعة الأولى .
٥٣-	الحيوان	أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الطبعة الأولى - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . بتحقيق وشرح عبد السلام هارون .

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف ـ ملاحظات
	(خ)	
٥٤ـ	خطط المقريزي	المقريزي ـ مطبعة بولاق ١٢٧٠ هـ
٥٥ـ	الخراج	يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف ـ المطبعة السلفية .
٥٦ـ	الخراج	يحيى بن آدم ـ المطبعة السلفية .
٥٧ـ	خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي .	عبد الوهاب خلاف ـ مع أصول الفقه
	(د)	
٥٨ـ	الدر المنثور	جلال الدين السيوطي ـ المطبعة الميمنية ١٣١٤ هـ
٥٩ـ	دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن ومطلب) .	بإدارة أفرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية ـ طبع بيروت سنة ١٩٦٠م .
	(ذ)	
٦٠ـ	ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث .	الشيخ عبد الغني النابلسي ـ الطبعة الأولى ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤م .
	(ر)	
٦١ـ	الرياض النضرة في مناقب العشرة .	المحب الطبري ـ طبع مصر .
٦٢ـ	الروض الأنف	السهيلي ـ طبع مصر .

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف ـ ملاحظات
٦٣ـ	الرفع والتكميل في الجرح والتعديل •	الإمام أبو الحسنات محمد بن عبد الحيّ اللكنوي الهندي نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب •
	(س)	
٦٤ـ	سنن الترمذي بشرح ابن العربي •	محمد بن عيسى الترمذي ـ طبع مصر •
٦٥ـ	سنن أبي داود	سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني ـ مطبعة مصطفى محمد •
٦٦ـ	سنن النسائي (المجتبى)	أحمد بن شعيب النسائي ـ طبع مصر ١٣١٢ هـ •
٦٧ـ	سنن ابن ماجة	محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجة القزويني ـ طبع مصر ١٣١٣هـ •
٦٨ـ	سيرة الرسول	ابن هشام ـ بهامش الروض الأنف •
٦٩ـ	سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي •	أبو القاسم علي بن عثمان بن محمد ابن أحمد المذري البغدادي الطبعة الأولى ـ المطبعة الخيرية ١٣٢٣هـ •

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف ـ ملاحظات
	(ش)	
٧٠ـ	شذرات الذهب في أخبار من ذهب •	أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي ـ نشر مكتبة القدسي ١٣٥٠ هـ •
٧١ـ	شرح المواهب اللدنيّه	الزرقاني ١٢٩١ هـ
٧٢ـ	شرح بهجة المحافل	الأشخر ـ طبع مصر
٧٣ـ	شرح نهج البلاغة	ابن أبي الحديد ـ طبع مصر
٧٤ـ	شرح مسلم الثبوت	محب الله عبدالشكور ـ المطبعة الأميرية ١٣٢٤ هـ
٧٥ـ	شرح منظومة حرز الأماني ووجهة التهاني •	الشاطبي ـ الطبعة الأولى ـ المطبعة الخيرية •
٧٦ـ	شرح ديباجة القاموس المحيط •	العلامة نصر الهوريني ـ طبع مؤسسة فن الطباعة •
	(ص)	
٧٧ـ	صحيح البخاري (الجامع الصحيح)•	محمد بن إسماعيل البخاري دار الطباعة العامرة ـ استانبول •
٧٨ـ	صحيح مسلم •	الإمام مسلم القشيري النيسابوري الآستانة ١٣٢٩ هـ •
٧٩ـ	صفة الصفوة	ابن الجوزي ـ الطبعة الأولى الهند • حيدر آباد ١٣٥٥ هـ •

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف - ملاحظات
٨٠ -	الصّحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) .	إسماعيل بن حماد الجوهري مطابع دار الكتاب العربي بمصر .
	(ط)	
٨١ -	الطبقات الكبرى	محمد بن سعد - دار صادر بيروت .
٨٢ -	طبقات القراء	الذهبي - نقلا عن مجلة الهداية الجزء السابع السنة الرابعة ١٣٣١ هـ .
٨٣ -	طرح التثريب في شرح التقريب (وهو شرح على المتن المسمى بتقريب الأسانيد وترتيب المسانيد) .	زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم ابن الحسين العراقي وولده ولي الدين أبو زُرعة العراقي - طبع جمعية النشر والتأليف الأزهرية .
	(ع)	
٨٤ -	علم أصول الفقه	عبد الوهاب خلّاف
٨٥ -	عمدة القاري شرح صحيح البخاري .	بدر الدين العيني - المطبعة المنيرية بمصر .
٨٦ -	العقد الفريد	ابن عبد ربه - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠م .

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف - ملاحظات
٨٧ -	العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - .	القاضي أبو بكر بن العربي
٨٨ -	العبر في أخبار من غبر	الذهبي (مخطوط) المكتبة الأحمدية بحلب رقم (١٢١٨)
٨٩ -	العرائس	الثعلبي - طبع المطبعة السعدية بمصر .
	(غ)	
٩٠ -	غاية النهاية في طبقات القراء	ابن الأثير الجزري - الطبعة الأولى - مطبعة دار السعادة بمصر .
	(ف)	
٩١ -	الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية .	أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة مطبعة مصطفى محمد بمصر .
٩٢ -	فتح الباري شرح صحيح البخاري .	ابن حجر العسقلاني - الطبعة الأولى - المطبعة الخيرية ١٣٢٥هـ .
٩٣ -	فتوح البلدان	أبو الحسن البلاذري - الطبعة الأولى - المطبعة المصرية بالأزهر .
٩٤ -	فيض القدير شرح الجامع الصغير .	عبد الرؤوف المناوي - الطبعة الأولى

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف ـ ملاحظات
٩٥ـ	فتاوى ابن تيمية	ابن تيميّة
٩٦ ـ	الفهرست	ابن النديم ـ طبع مصر ـ فلوجل
	(ق)	
٩٧ـ	القرآن الكريم	
٩٨ـ	قمع النفوس	الحصني (مخطوط)
٩٩ـ	القاموس المحيط	الفيروزأبادي ـ طبع مؤسسة فن الطباعة ٠
١٠٠ـ	الكامل في التاريخ	ابن الأثير الجزري ـ المطبعة ذات التحرير ١٣٠٣ هـ
١٠١ـ	كشف الباس عما رواه ابن عباس مخافهة عن سيّد الناس ٠	محمد بن عابد بن أحمد علي الأنصاري (مخطوط) دار الكتب المصرية ـ حديث ـ تيمور رقم (٣٦٢) ٠
١٠٢ـ	الكمال في أسماء الرجال	المقدسي (مخطوط) دار الكتب المصرية ٠
١٠٣ـ	الكلمات الحسان في الحروف المهملة وجمع القرآن ٠	الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي ـ الطبعة الأولى ـ المطبعة الخيرية ١٣٢٣هـ ٠

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف ـ ملاحظات
	(ل)	
١٠٤ـ	اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .	محمد فؤاد عبدالباقي ـ طبعة القاهرة ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م .
١٠٥ـ	لواقح الأنوار في طبقات الأخيار أو (الطبقات الكبرى) .	عبدالوهاب الشعراني ـ المطبعة الشرفية ١٢٩٩ هـ .
١٠٦ـ	لسان الميزان	ابن حجر العسقلاني ـ الطبعة الأولى ـ طبع الهند . حيد آباد ١٣٣٠ هـ .
١٠٧ـ	لسان العرب	أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ـ طبعة بيروت ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م .
	(م)	
١٠٨ـ	المسند	الإمام أحمد بن حنبل ـ دار المعارف بمصر ١٣٧٠هـ = ١٩٥٩م .
١٠٩ـ	مسند الطيالسي	أبو داود الطيالسي ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٢١ هـ .
١١٠ـ	مشكاة المصابيح	الشيخ ولي الدين محمد بن عبدالله الخطيب العمري التبريزي ـ منشورات المكتب الإسلامي بدمشق .

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف - ملاحظات
١١١-	من حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .	السيوطي - طبع على نفقة مدير المطبعة الشرفية .
١١٢-	المسامرات (محاضرة الأبرار)	الشيخ الأكبر - طبع مصر ١٣٠٥ هـ
١١٣-	الموافقات	أبو إسحق الشاطبي - المطبعة الرحمانية بمصر .
١١٤-	منتخب الصحيحين من كلام سيد الكونين .	الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني الطبعة الأولى ١٣٢٩ هـ .
١١٥-	مقدمة كتاب المباني لنظم المعاني .	مؤلف مجهول . تحقيق أرثر جفري نشر مكتبة الخانجي ١٩٥٤م .
١١٦-	مقدمة في أصول التفسير	ابن تيمية - الطبعة الأولى .
١١٧-	منهج الفرقان في علوم القرآن .	لمحمد أبي سلامة - مطبعة شبرا ١٩٣٨ م .
١١٨-	المصباح المنير .	
١١٩-	ميزان الاعتدال	الذهبي - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
١٢٠-	المعجم الوسيط	إخراج : إبراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار - طبع مطبعة مصر ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م .
١٢١-	مغني اللبيب	ابن هشام .

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف - ملاحظات
١٢٢-	معجم الأدباء	ياقوت الرومي - الطبعة الأخيرة مطبعة دار المأمون .
١٢٣-	معجم البلدان	ياقوت بن عبدالله الحموي - الطبعة الأولى - مطبعة السعادة سنة ١٣٢٣هـ = ١٩٠٦م .
١٢٤-	معجم متن اللغة (موسوعه لغوية حديثة)	الشيخ أحمد رضا عضو المجمع العربي بدمشق - دار مكتبة الحياة بيروت .
١٢٥-	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .	
١٢٦-	مناهل العرفان في علوم القرآن	الزرقاني - الطبعة الثالثة ١٣٧٢هـ
١٢٧-	المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن .	جولد زيهر - تعريب علي حسن عبدالقادر - مطبعة العلوم ١٩٤٤م .
١٢٨-	موضح أوهام الجمع والتفريق .	الخطيب البغدادي - طبع الهند .
١٢٩-	مقدمة ابن عطية - لتفسيره الجامع المحرر -	أبو بكر بن عطية - تحقيق أرثر جفري نشر مكتبة الخانجي ١٩٥٤م .

(ن)

١٣٠-	النسخ في القرآن الكريم	الدكتور مصطفى زيد
١٣١-	نكت الهميان في مناقب العميان .	الصلاح الصفدي - طبع مصر

مسلسل	اسم المرجع	المؤلف ـ ملاحظات
١٣٢ـ	نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار .	مؤمن الشبلنجي ـ المطبعة الميمنية .
١٣٣ـ	نظرة عامة في تاريخ التشريع الإسلامي .	علي حسن عبد القادر ـ مطبعة العلوم ١٩٤٢م .
١٣٤ـ	النشر في القراءات العشر	أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ـ مطبعة مصطفى محمد بمصر .

(و)

١٣٥ـ	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .	ابن خلكان ـ المطبعة الأميرية ١٢٩٩ هـ ، والمطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ .

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

الاسم	رقم الفقرة
حرف الهمزة :	
إبراهيم النخعي	١٩٧
إبراهيم بن يعقوب الجُوزجاني	٢٩٥ هـ
أُبَيّ بن كعب	٥ م ـ ١١ ـ ١١١ ـ ١٢٦ ـ ١٣١ ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ١٣٩ ـ ١٨٩ ـ ١٩١ ٢٢٣ ـ ٣٢٩ .
أحمد بن علي الخطيب البغدادي	٢٩٧ ـ ٢٩٦ هـ ـ ٢٩٨ هـ ـ ٢٩٩ هـ .
أحمد بن شعيب (النسائي)	٧ هـ ـ ١٧٠ هـ ـ ٢٨٢ هـ ـ ٢٨٤ هـ ـ ٢٩٢ ـ ٢٩٤ هـ ـ ٢٩٥ هـ ـ ٢٩٦ هـ ـ ٢٩٧ هـ .
أحمد بن حنبل	٧ هـ ـ ٢٨ هـ ١٤٩ ـ ١٥٦ هـ ـ ١٨٣ هـ ـ ١٩٣ هـ ـ ١٩٤ هـ ـ ١٩٥ هـ ـ ١٩٦ هـ ـ ١٩٧ هـ ـ ١٩٨ هـ ـ ١٩٩ ـ ٢١٠ هـ ـ ٢٣٧ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦١ ـ ٢٧٨ هـ ـ ٢٨٠ ـ ٢٨٢ هـ ـ ٢٨٤ هـ ـ ٢٩٢ هـ ٢٩٣ هـ ـ ٢٩٦ هـ ـ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ٣٠٠ هـ ـ ٣١٦ هـ ـ ٣١٩ ـ ٣٢٠ هـ ٣٢٣ هـ .
أحمد بن يحيى البلاذُري	١٤ هـ

الاســـــم	رقم الفقـــرة
أحمد بن زيني دحلان	٣٣ هـ ـ ٤١ هـ ـ ٢٣٦ هـ
أسامة بن زيد	١٦٣
أسباط بن نصر	٢٨٤ هـ ـ ٢٨٧ ـ ٣٣٦
إسماعيل بن واسط البجلي	٢٣٦
إسماعيل بن عبد الملك	٢٢٣
إسماعيل بن ابراهيم (عليهما السلام)	٢٧٥ ـ ٢٧٦
إسماعيل بن عبد الرحمن السّدي	٢٨٤ ـ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ـ ٣٣٦
إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي	٧ هـ ـ ٨٢ هـ ـ ١٩٣ هـ ـ ١٩٤ هـ
	١٩٥ هـ ـ ١٩٩ ـ ٢٧٦ هـ ـ ٣٠٠ هـ
أسماء بنت أبي بكر	١٦٣
أسلم بن صفوان	٢٦٢
أسلم المنقري	٢٦٥
الأشعث بن قيس	٥٧ ـ ٨٨
أمين الخولي	٢١٩ هـ
ابن إدريس	٣٠ هـ
ابن آدم (يحيى)	١١٦ هـ
ابن الأثير الجزري	٤١ هـ ٥٦ هـ ـ ٨٥ هـ ـ ١١١ هـ ـ
	١٢٨ هـ ـ ١٥٦ هـ ـ ١٨١ هـ ـ
	٢٠٨ هـ ـ ٢٣٨ هـ ـ ٢٣٩ هـ ـ
	٢٤٠ هـ ـ ٢٤٣

الاســـــم	رقم الفقـــــرة
ابن عساكر (علي)	٨٩ ـ ١١٣ هـ ـ ١١٦ ٠
ابن عبد ربه	٢٧ هـ ـ ٥٩ هـ ـ ٩٤ هـ ـ ١٥٩ هـ ـ ١٦١ هـ ـ ٢٥٢ هـ ـ ٢٧٢ هـ ٠
ابن السباني	٦٠
ابن ماجة	٧ هـ ـ ١١٣ هـ ـ ١٧٠ هـ
ابن مردويه	٢٩٥٠
ابن المنذر	٢٨٠ ـ ٣٣٥
ابن النديم	٢٥٧ ـ ٢٦٠ هـ ٠
ابن وهب	٢٧٦٠
ابن هشام	٢٤٢ هـ
أبو أيوب	٢٦٠ ٠
أبو بكر الصديق	١١٣ ـ ١١٤ ـ ١٣٢ ـ ١٥٦ ـ ١٦٣ ـ ١٦٥ ـ ١٩٨ ـ ٢١٠ ـ ٢١٦ ـ ٢٦٦ ـ ٣١٢ ٠
أبو بكر بن الأنباري	٢١٢ ـ ٢١٣ ٠
أبو بكر بن عياش	١٩٦ هـ٠
أبو جحيفة	١٨٨٠
أبو حاتم	١١٣ هـ ـ ٢٨٤ هـ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩٤ هـ ـ ٢٩٦ هـ ـ ٢٩٧ ـ ٢٩٩ هـ ٠

الاســـــم	رقم الفقـــــرة
أبو حنيفة النعمان	٢٦٥ .
أبو داود	٧ هـ ـ ١٧٠ هـ ـ ٢٨٢ هـ
أبو ذر الغفاري	١٦٣ ـ ٢٤٥
أبو سفيان بن الحارث	٢١٢
أبو سفيان بن حرب	١٦٣
أبو سعيد الخدري	١٦٣ ـ ١٦٥ ـ ٢٥٥ ـ ٢٦٢ ـ ٢٩٣ هـ ـ ٢٩٩ هـ
أبو شامة	٢٢٣هـ
أبو الشمثاء	٢٢٣
أبو عبدالله اليماني	٢٨١ هـ
أبو طلحة الأنصاري	١٦٣
أبو الزناد	٢٧٨ هـ
أبو مسلم الخولاني	٥٦
أبو معمر	١٩٧
أبو ميسرة بن أبي حيثم الفهري	٢٦٢
أبو معاوية المغربي	٢٦٤
أبو موسى الأشعري (عبدالله بن قيس)	١١ ـ ٥٨ ـ ٨٨ ـ ١٨٩ .
أبو هريرة	١٦٣ ـ ١٦٥ ـ ٢٥٥ ـ ٢٦٢ ـ ٢٩٣ هـ ٣٠٩ .

الاســـــم	رقم الفقـــــرة
(ب)	
باذان (أبو صالح)	٢٨٤ هـ ـ ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ـ ٣١٥ هـ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .
بدر الدين الميني	٢٤ هـ ـ ٢٩ هـ ـ ١٠٤ هـ ١٣٦ هـ ٢١٥ هـ ٢٨٤ هـ ـ ٢٨٨ هـ .
بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي	١٣٣ هـ ـ ١٥٦ هـ .
البرك بن عبدالله التميمي	٦١ .
بريدة بن الحصيب الأسلميّ	١٦٣
بشر بن عارة الخثعمي	٢٩٤ .
بكر بن سهل الدمياطي	٢٩٠ .
(ت)	
تميم الداري	١٦٣
(ث)	
الثعلبي	٢٧٦ هـ ـ ٣٠٠ .
(ج)	
جابر بن عبدالله	٣١٠
جابر بن زيد	١٦٥ ـ ٢٥٧ .
جرير بن عبدالله البجلي	٥٦ ـ ٢٨٢ هـ
جرول بن أوس العبسي (الحطيئة)	٢١٨

الاسم	رقم الفقرة
جلال الدين السيوطي	٢٢ هـ - ٣٣ هـ - ٤١ هـ - ١٩٣ هـ ٢١٢ - ٢١٣ - ٢٢١ - ٢٩٨ - ٣٠٠ - ٣١٠ هـ .
جمال الدين (المِزّي)	١٦٣ هـ
جندب بن جنادة	١٦٣
جويريه بنت الحارث	١٦٣
جولد زيهر	٢٧٥ هـ
جويبر بن سعيد الأزدي	٢٩٥
(ح)	
الحارث بن حزم بن بجير	١٦
الحجاج بن يوسف الثقفي	٢٣٦
حجاج بن محمد	٢٩٠
حذيفة بن اليمان	١٩٨
حسان بن ثابت	٢١٢ - ٣٠٧
الحسن بن علي	٤٠ - ٦٣ - ٦٦ - ٩٥ .
حسن بن موسى	١٩٥ هـ
الحسن بن دينار	٢٧٦
الحسن بن عطية العوفي	٢٩٧
الحسين بن علي بن أبي طالب	٤٠ - ٦١ - ٦٨ - ٧٧ - ٩٦
الحسين بن الحسن بن عطية	٢٩٧

الاسم	رقم الفقرة
الحصين بن نمير	٧١
حصين بن عوف الخثعمي	١٦٣
حصين بن الخير المنبري	٢٥٥
الحطيئة : (انظر جرول بن أوس العبسي)	
حفصة بنت عمر بن الخطاب	١٠٨ ـ ١١٣ ـ ١١٩
حمل بن مالك بن النابغة الهذلي	١٦٣
حماد بن سلمة	١٩٥ هـ ـ ٢٦٠
حماد بن زيد	١٩٦ هـ ـ ٢٨٢ هـ
(خ)	
خالد بن الوليد	١٦ ـ ١٦٣
خالد بن عبدالله القسري	٢٣٥ ـ ٢٣٦
خديجة بنت خويلد	١٣٧
خير الدين الزركلي	١٥٩ هـ ـ ٢٠٧ ـ ٢٣٧ هـ ـ ٢٣٩ هـ ٢٤٢ هـ ـ ٢٥٤ هـ .
الخليلي (خليل بن عبدالله بن أحمد)	٢٨٤
خليل بن أيبك (الصفدي)	٢٢ هـ
(د)	
داود بن الحصين	٢٦٠ ـ ٣١٩ ـ ٣٢٣
(ذ)	
ذؤيب بن جلجلة بن عمر الخزاعي	١٦٣ .

الاسم	رقم الفقرة
(ر)	
رافع بن خديج	٣١٠ ـ ٣٢٢
(ز)	
زائدة	٢٨٤
الزبير بن العوام	٧٧ ـ ٨٥ ـ ٨٨
زياد بن أبي سفيان	٨٩
زيد بن ثابت	١١ ـ ١١١ ـ ١٥٣ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٦٠ ـ ١٨٩ ـ ٢٢٣ ـ ٢٨٢ هـ ـ ٢٨٣ ـ ٣٠٩ ـ ٣٣٦ .
زيد بن أرقم	١٨٣
زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي	٣٠٧ هـ
زهير بن أبي سلمى	٢٠٨
(س)	
سالم مولى أبي حذيفة	١١٣
سعد بن أبي وقاص	٧ هـ
سعد بن عبادة	١٦٣
سعد بن محمد	٢٩٧
سعيد القطان	٢٨٤ هـ
سعيد بن المسيب	٢٣١ ـ ٣١٢

الاســـــم	رقم الفقـــــرة
سعيد بن العاص	٣٣
سعيد بن جبير	١١٧ ـ ١٤٦ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ـ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ـ ٢٥٣ ـ ٢٥٧ ـ ٢٦٤ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧٢ ـ ٢٨١ ـ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ـ ٣٠٤ ـ ٣١٢ ـ ٣١٥ ـ ٣٢٧ ـ ٣٣٢ ـ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .
سفيان بن عوف الأزدي	٦٥
سفيان بن عيينة	٢٤٩ ـ ٢٧٩ ـ ٣٣٥ .
سفيان الثوري	٢٤١ ـ ٢٤٥ ـ ٢٥٧ ـ ٢٨٢ هـ ٢٨٤ ـ ٢٩٦ هـ
سلام بن مسكين	٢٥٧
سلمى جدة عبيدالله بن علي	٢٥
سليمان الأحول	١٩٩ هـ
سليمان بن يسار	١٥٨ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨
سليمان بن داود	٢٨٣
سليمان بن داود بن الجارود (الطيالسي)	١١٩ هـ ٢٠٦ هـ .
سليمان بن أحمد بن أيوب (الطبراني)	٢١٢ ـ ٢٨٣ ـ ٣٣٦ .
سهل بن حنيف	٨٩
سهل بن سعد	١٤٠

الاســـــم	رقم الفقـــــرة
سودة بنت زمعة	١٦٣ - ١٩٤ - ٣١٦
(ش)	
شعبة بن الحجاج	١٩٧ - ١٩٨ - ٢٨٢ هـ - ٢٨٤هـ ٢٩٣ هـ .
شمس الدين محمد بن أحمد (الذهبي)	١٤ هـ - ٢٢ هـ - ٢٦ هـ - ٢٧هـ ٤٠هـ - ٥٥هـ - ٥٦هـ - ٥٩هـ ٦٠هـ - ٦١هـ - ٦٦هـ - ٦٩هـ ٨٣هـ - ٩٤هـ - ٩٩هـ - ١٠٨هـ ١١١هـ - ١٢٦هـ - ١٣٠ هـ - ١٣٢هـ - ١٣٥ - ١٣٦هـ ١٣٧هـ ١٤٠هـ - ١٤٤هـ - ١٤٥هـ - ١٥٣هـ - ١٥٧هـ - ١٦١هـ - ١٦٢هـ - ٢٠١هـ - ٢٦٦هـ - ٢٢٧هـ - ٢٣٧هـ - ٢٣٩هـ - ٢٤٠هـ - ٢٤٣هـ - ٢٥٤هـ - ٢٦١هـ - ٢٦٢هـ - ٢٨٢هـ - ٢٨٤هـ - ٢٩٠هـ - ٢٩٦هـ - ٣٠٠هـ - ٣٠٤هـ - ٣٠٦هـ - ٣١٨هـ .
شهاب الدين محمود الألوسي	١٧٦هـ .
شهر بن حوشب	٢٥٧

الاسم	رقم الفقرة
(ص)	
صعب بن خامة	١٦٣
(ض)	
الضحاك بن شراحيل المِشرقي	٢٩٣ هـ
الضحاك بن مزاحم الهلالي	١١١هـ ٢٥٧ - ٢٧٢، - ٢٩٢ - ٢٩٣ هـ .
(ط)	
طاوس بن كيسان	٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٣١ - ٢٤٠ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٦٠ - ٢٦٨ - ٢٧٣ - ٣١٢ - ٣٣٢ - ٣٣٣ .
طرفة بن العبد	٢١٢ .
طلحة بن عبيد الله	٥٣ - ٥٤ - ٧٧ - ٨٥ - ٨٨ - ٣١٠ .
(ع)	
عائشة بنت أبي بكر	٥٣ - ٧٧ - ١١٣ هـ - ١١٨ - ١٤٣ - ١٦٣ - ٢٦٢ - ٣١٠ .

الاسم	رقم الفقرة
عامر بن سعد بن أبي وقاص	٣١٠
عامر بن شراحيل (الشعبي)	١٧٦ هـ - ٢٨٤ هـ
عباس بن عبد المطلب	١٥ - ٢٧ - ١٦٣
عبدالحي بن العماد الحنبلي	١٠١
عبدالرحمن بن مهدي	٢٨٤ هـ
عبدالرحمن بن محمد المحاربي	٢٩٨ هـ
عبدالرحمن بن عوف	١٦٣ - ١٦٤
عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث	٢٣٦
عبدالرحمن بن أبزي	١٢٩
عبدالرحمن السلمي	١٤٤
عبدالرحمن بن أبي بكر	٨٣
عبدالرحمن بن ملجم المرادي	٦١
عبدالرؤوف المناوي	١٦٥ - ٣٠٥ هـ
عبدالرزاق بن همام الصنعاني	٢٥٣ هـ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٩٩ - ٣٣٥
عبدالعزيز بن مروان	٧٥
عبدالغني بن سعيد الثقفي	٢٩٠ - ٢٩٢
عبدالغني النابلسي	١٦٨ هـ
عبدالله بن أحمد بن حنبل	٢٩٨
عبدالله بن أبي سرح	٣٣

الاسم	رقم الفقرة
عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي	٣٢٠
عبد الله بن حنظلة بن الغسيل الأوسي	٧٠
عبد الله بن الحسن بن علي	٢٥٤
عبد الله بن الزبير	١١ ـ ٦٩ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٨٣ ـ ٨٦ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٨٩ .
عبد الله الزهري	٢١٢
عبد الله بن السائب	٢٣٨
عبد الله بن صالح المصري	١٦٨ ـ ٢١٩ ـ ٢٢١ ـ ٢٨٠
عبد الله بن عثمان بن عامر	١٦٣ ـ ٢٨٤ هـ
عبد الله بن عمر	٢١٦ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٨ ـ ٢٤١ ـ ٢٥٥ ـ ٣١٠ .
عبد الله بن عمرو بن العاص	٣١٠
عبد الله بن المأمون الهروي	٢١٩
عبد الله بن محمد الذهبي الدمشقي	١٦١ هـ
عبد الله بن المبارك	٢١٩
عبد الله بن مسعود	١١ ـ ١٢ ـ ١١١ هـ ـ ١٣٩ ـ ١٨٣ ـ ١٨٧ ـ ١٨٩ ـ ١٩١ ـ ١٩٣ ـ ١٩٥ ـ ١٩٦ ـ ١٩٧ ـ ٢٢٣ ـ ٢٣٣ ـ ٢٨٦ ـ ٢٨٨ .
عبد الله بن وهب السبائي	٦٠

الاســـــم	رقم الفقـــرة
عبدالله بن يزيد	٢٤٤
عبدالملك بن جُريج	٢٤١ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٦ ـ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩٢ ـ ٣٣٧ .
عبدالملك بن ميسرة	٢٩٣ هـ
عبدالملك الأصمعي	١٨٨ هـ
عبد الملك بن معاوية	٧٥
عبدالمؤمن بن خالد	٢٥٦
عبدالوهاب الشمراني	٣٠٣ هـ
عبدالوهاب خلّاف	٥ هـ ـ ١٥٣ هـ ـ ١٥٤ هـ ـ ١٥٥ هـ ١٥٨ هـ ـ ١٦٠ هـ
عبيد الله بن زياد	٥٤ ـ ٦٩ .
عبيدالله بن عباس	٢٢
عبيد الله بن عبدالله بن عتبة (عبيد الله الأعمى) .	١٢٣ ـ ٢٠٧ هـ ـ ٢٧٨ ـ ٣١٢ ـ ٣٣٥ .
عبيد بن الأبرص	٢١٢
عبيد الله بن سعيد (أبوقدامة السرخسي)	٢٩٥ هـ
عثمان الداوي	٢٤٧
عثمان بن عفان	١٥ ـ ٣٣ ـ ٤٧ ـ ٤٩ ـ ٥١ ـ ١٣٩ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٩٠ ـ ٣٠٤ ـ ٣١٢ ـ ٣٢٨ .

الاســـــم	رقم الفقـــــرة
عدي بن حاتم	١٧٦
عدي بن زيد	٢١٢
عرفجة بن شريح	٨٢ هـ
عروة بن الزبير	٣١٢ ـ ٣٢٨
عطاء بن السائب	٢٣٤ ـ ٢٨٢ ـ ٣٣٥ .
عطاء بن أبي رباح	٢٠٧ هـ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٥ ـ ٢٣٢ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤٤ ـ ٢٥٣ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧٢ ـ ٢٧٦ ـ ٢٧٩ ـ ٣١٢ ـ ٣٣٢ ـ ٣٣٥ .
عطية بن الحارث الهمداني (أبوروق)	٢٩٤ ـ ٢٩٤ هـ .
عطية بن سعد العوفي الكوفي	٢٩٦ ـ ٢٩٧ ـ ٣٣٧ .
عثمان بن علي (العجلي)	٢٨٤ هـ .
عكرمة بن خالد	٢٦٠
عكرمة مولى ابن عباس	٢٢٣ ـ ٢٢٥ ـ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٩ ـ ٢٨٣ ـ ٣٠٨ ـ ٣١٠ ـ ٣١٢ ـ ٣١٦ ـ ٣١٩ ـ ٣٢٢ ـ ٣٣٢ ـ ٣٣٦ .
علي بن أبي طلحة	٢٨٠ ـ ٢٨١ ـ ٣٣٥ .

الاسم	رقم الفقرة
علي بن أبي إسحق السمرقندي	٢١٩ .
علي بن أبي طالب	٥٣ - ٥٤ - ٥٧ - ٥٩ - ٧٧ - ٨٥ - ١١١ - ١٣٦ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٤ - ١٤٦ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٥ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩١ - ٢١٠ - ٢٥٥ - ٣٠٢ - ٣٠٥ - ٣٢٨ - ٣٢٩ .
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي	١٤هـ - ١٦٥ - ١٦٩ .
علي بن أحمد (الواحدي)	٣٠٠ .
علي حسب الله	٧هـ - ١٨٣هـ - ١٨٦هـ - ١٨٧هـ .
علي حسن عبد القادر	١٨١هـ
علي بن زيد	٢٧٦
علي بن عاصم	٢٨٢هـ
علي بن عمر (الدارقطني)	٢٩٢ - ٢٩٤هـ - ٢٩٥هـ .
علي بن المدائني	٢٥٧
عمارة بن حزم	١٥٤
عمر بن الخطاب	١٥ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٣ - ٤٦ - ٨٤ - ١١١ - ١١٢ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٣٢ - ١٥٦ - ١٥٨ - ١٦٤ - ١٦٦ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٨٥ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ -

الاســـــم	رقم الفقـــــرة
	٣٠٤ _ ٣١٠ _ ٣١٢ _ ٣٢١ _ ٣٢٨ _ ٣٢٩ .
عمر بن تميم	٢٧٦ .
عمران بن حدير	٢٦٠
عمر بن عبدالعزيز	٢٤٩
عمر بن أبي ربيعة	٢٢ _ ٢١٤ .
عمار بن عبدالمجيد الهروي	٢١٩
عمار بن ياسر	١٦٣
عمرو بن حماد القناد	٢٨٢
عمرو بن ميمون بن مهران	٢٣٧
عمرو بن دينار	٢٣٤ _ ٢٧٩ _ ٣١٢ _ ٣٣٥ .
عمرو بن العاص	٥٦ _ ٥٨ _ ٦١ _ ٢٥٥ .
عمرو بن بكر التميمي	٦١
عمرو بن بحر الجاحظ	٢٧ .
عنترة	٢١٢ .
(غ)	
غزوان الغفاري (أبو مالك)	٢٨٤ _ ٢٨٧ _ ٣٣٦ .
(ف)	
فاختة بنت أبي طالب	١٦٣
فاطمة بنت محمد	١٣٧

الاسم	رقم الفقرة
فاطمة بنت المنذر	٢٨٢ هـ
فضل بن عباس	١٦٣
(ق)	
قاسم بن محمد	٣١٢
قبيصة بن ذؤيب	١٦٣
قيس بن أبي حازم	١٩٨
قيس بن سعد بن عبادة	٦٢ - ٦٣ - ٦٤
قيس بن مخرمة بن عبد المطلب	٢٨٢ هـ
(ك)	
كعب الأحبار (كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري)	١٦٣ - ٣١٠
(ل)	
لبابة بنت الحارث	١٤ - ١٥ - ١٦٣
لبيد بن ربيعة	٢١٢
ليث بن أبي سليم	٣١٢
ليث بن سعد	٢٨٠ هـ
(م)	
مالك بن أنس	١٧٠ - ١٨٢ هـ
مالك بن عوف	٢١٢
مؤمن الهلقجي	٣٩ هـ - ٨٨ هـ

الاســـــم	رقم الفقـــــرة
مجاهد بن جبر	١٨١ ـ ١٩٩ ـ ١٩٩هـ ـ ٢٢٣ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤١ ـ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ـ ٢٥٣ـ ٢٥٧ـ ٢٦٨ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧٢ ـ ٢٨١ ـ ٢٩٨ ـ ٣١٢ ـ ٣١٧ ـ ٣٢٣ ـ ٣٣٢ .
محب الله عبد الشكور	١٧٩هـ
محمد بن إسماعيل (البخاري)	٧هـ ـ ٢٤هـ ـ ٧٣ ـ ١٥٦هـ ـ ١٧٠هـ ـ ١٨٣هـ ـ ١٨٨هـ ـ ١٩٣هـ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩ـ ٢٠٦هـ ٢١٧هـ ـ ٢٥٧ـ ٢٦٠ ـ ٢٨٤هـ ٢٩٥هـ ـ ٢٩٧ ـ ٣٠٠هـ ـ ٣١٧هـ ٣١٨ ـ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ـ ٣٣٥ .
محمد بن إدريس الشافعي	٢٧٤ ـ ٢٩٨ .
محمد بن إسحق بن يسار	٢٨٢هـ ـ ٢٨٣هـ ـ ٣١٩ ـ ٣٣٥ .
محمد بن أبي محمد	٢٨٣ ـ ٣٣٦ .
محمد أبو سلامة	١٨٧هـ
محمد بن أبيّ بن كعب	٣١٠
محمد بخيت المطيعي	١٣٤هـ ـ ١٦٠هـ
محمد بن ثور	٢٩٠

الاســـــم	رقم الفقـــــرة
محمد بن جعفـر	١٩٧
محمد بن جرير الطبري	٨٦هـ ـ ٨٨هـ ـ ٩٥ ـ ١١٣هـ ـ ١٩٣هـ ـ ٢٣٣هـ ـ ٢٣٤هـ ـ ٢٣٩هـ ـ ٢٤١هـ ـ ٢٥١هـ ـ ٢٥٢هـ ـ ٢٥٨هـ ـ ٢٦٧ ـ ٢٧٠هـ ـ ٢٧٦هـ ـ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٥هـ ـ ٢٩٤ ٢٩٦ ـ ٣٠٠ ـ ٣١٥هـ ـ ٣١٧هـ ٣٢١ ـ ٣٣٥ .
محمد الخضري	١٥٣هـ ـ ١٥٥هـ
محمد بن الحنفية	٧٦ ـ ٨٣ ـ ٣١٠ .
محمد زاهد الكوثري	١٣٦هـ
محمد بن السائب الكلبي	٢١٩ ـ ٢٢١ ـ ٢٨٤هـ ـ ٢٩٥هـ ٢٩٦هـ ـ ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ـ ٣٠٠ـ ٣٣٧ .
محمد بن سعد بن محمد بن الحسن العوفي	٢٩٧
محمد بن سعد بن منيع	٢٢هـ ـ ٢٤هـ ـ ٢٦هـ ـ ٣٠هـ ـ ١٠٨هـ ـ ١١٤هـ ـ ١١٥هـ ـ ١٢٣هـ ـ ١٣١هـ ـ ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٤٤ ـ ١٦٥ ـ ١٦٩ ـ ٢٠٦هـ ـ ٢٢٦هـ ـ ٢٢٧هـ ـ

الاســـــم	رقم الفقـــــرة
	٢٢٨ هـ ـ ٢٣٧ هـ ـ ٢٣٩ ـ
	٢٤٢ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ـ
	٢٤٦ ـ ٢٤٧ ـ ٢٤٩ ـ
	٢٥٤ هـ ـ ٢٥٥ ـ ٢٥٧ ـ
	٢٥٩ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٤ هـ ـ
	٢٦٥ هـ ـ ٢٦٨ هـ ـ ٢٧٣ هـ
	٢٨٧ ـ ٢٩٦ هـ ٢٩٧ ـ ٣٠٤ ـ
	٣٠٦ ـ ٣٠٨ هـ ـ ٣١٠ هـ
	٣١٢ هـ .
محمد بن سلمة	٣١٩
محمد بن سيرين	٢٤٧
محمد بن عابد بن أحمد علي الأنصاري	١٠٥
محمد عبدالحي اللكنوي الهندي	٢١٩ هـ
محمد بن عبدالرحمن (أبو الأسود)	٣٢٢
محمد بن عبدالله الديباج	٢٦٤
محمد بن عبدالله الخطيب	١٤ هـ ـ ١٥ هـ .

الاسم	رقم الفقرة
محمد بن عبدالله بن حمدويه النيسابوري (الحاكم)	٢٨٢
محمد بن عبيد الطنافسي	١٩٩ هـ
محمد علي السايس	١٧٧ هـ -٢٥٧ هـ
محمد بن عمر (الواقدي)	٢٩٧
محمد بن عمرو بن موسى (العُقَيْلي)	٢٨٤ هـ - ٢٩٤ هـ
محمد بن عيسى (الترمذي)	٧ هـ - ٢١ هـ - ١٧٠ هـ - ١٩٣ هـ - ١٩٧ هـ - ٢٩٦ .
محمد بن مروان السدّي	٢١٩ - ٢٢١ - ٣٠٠ .
محمد بن مسلم بن شهاب الزهري	٢٧٨ - ٢٨٢ هـ - ٣٣٥ .
محمد بن موسى بن يعقوب	١٦٥
محمد بن محمد الغزالي أبو حامد	١٠٥
محمد بن يعقوب الفيروزأبادي	٢١٩ - ٣٣١
محمد بن يوسف بن واقد (الفريابي)	٢٨٢
محمد بن يوسف	٢٤٥
محمود بن محمد الرازي	٢١٩
محي الدين النووي	٢٩٨ هـ .
مرة الهمداني	٢٨٦

الاسم	رقم الفقرة
مروان بن الحكم	٧٥
مسدّد بن مُسَرْهَد بن مسربل	٢٨٤ هـ
مسلم بن عقبة	٧٠
مسلم بن الحجاج القشيري	١٩٣ هـ - ٢٨٠ هـ - ٢٨٤هـ ٢٨٨ هـ .
مصطفى زيد	٨ هـ
مصعب الزبيري	٢٦٠
معاوية بن صالح الحضرمي	٢٧٩ - ٣٣٥
معاوية بن يزيد	٥٦ - ٦١ - ٦٣ - ٧٤ - ٧٧ - ٨٣ - ٩٥ .
معاوية بن أبي سفيان	١٦٣ - ٣٠٨ - ٣١٥ هـ
معاذ بن جبل	١٣١ - ١٦٣ .
معمر بن راشد	٢٧٨ - ٢٩٩
المغيرة بن شعبة	٨٥
مقاتل بن سليمان	٢٩٨ - ٣٣٧
موسى بن عمران	١٢١

الاســـــم	رقم الفقـــــرة
موسى بن محمد	٢٩٢ - ٢٣٨ هـ
ميمون بن مهران	٣١٢
مهران الجمال	٢٨٤ هـ
(ن)	
نافع بن الأزرق	٢٠٢ - ٢١٢ - ٣١٧
نبهان	٣١٠
نجدة بن عويمر	٢١٢
(هـ)	
هشام بن عبدالملك	٢٥٤
هشام بن عروة	٢٨٢ هـ
هشيم بن بشير بن أبي حازم	٢٩٦ هـ
هلال بن المحسّن (الصابي)	١١٦ هـ
هند بنت أبي أمية	١٦٣
(و)	
وكيع بن الجراح بن مليح	٢٩٨

الاســـــم	رقم الفقـــــرة
ولي الدين أبو زرعة العراقي	٢٨٢ هـ ـ ٢٨٤ هـ ـ ٢٨٨ ـ ٣٠٧ هـ ـ ٢٨٠ هـ.
وهب بن منبه	٢٤٥
وهيب بن خالد الباهلي	٢٨٣ هـ
(ى)	
ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي	٢٥٦ هـ ـ ٢٥٧ هـ ـ ٢٦٠ هـ
يحيى القطـــان	١٠٥ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٤ هـ ـ ٢٩٣ هـ ـ ٢٩٥ هـ.
يحيى بن معين	٢٤٧ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦١ ـ ٢٧٨ هـ ٢٨٢ هـ ـ ٢٨٤ هـ
يزيد الأصـم	١٢٠
يزيد بن معاوية	٦٩ ـ ٧١ ـ ٧٧ ـ ٨٣ ـ ٩٦.
يعقوب بن شيبة	٢٨٣ هـ
يعقوب بن سفيان	١٢٠
يعقوب الفسوي	٢٩٣ هـ.

الاسم	رقم الفقرة
يعلى بن أمية	٢٦ - ١٢٣
يوسف بن مهران	٣١٧،
يوليوس فلهاوزن	٥٨ هـ .

فهرس المواضيع

فهرس المواضيع

الموضوع	رقم الفقرة
المقدمة	أ - د
التمهيد	
(١ - ١٣)	
سعادة الفرد والجماعة باتباع القرآن	١ - ٣
لايمكن العمل بالقرآن دون بيانه	٤
بيان القرآن من مهام الرسول الأساسية	٥ - ٦
أوجه بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - للقرآن	٧ - ٨
الرسول لم يبين المفردات والتراكيب كلها	٩
دور الصحابة في بيان القرآن وأهمية المأثور عنهم	١٠ - ١١
دور ابن عباس في بيان القرآن	١٢
السبب الذي جعل ابن عباس أكثر الصحابة تفسيرا	١٣
الباب الأول	
عبد الله بن عباس	
(١٤ - ١٧٠)	

الفصـــل الأول

حياتـــه

(١٤ ـ ١٠١)

الموضـوع	رقم الفقـــرة
ولادته وتحنيك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ له	١٤
والداه وأثرهما في شخصيته	١٥ ـ ١٧
صلته ببيت النبوة وأثر ذلك في علمه وشخصيته	١٨ ـ ٢٣
ابن عباس يلزم أكابر الصحابة بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .	٢٤ ـ ٢٥
ابن عباس في عهد عمر	٢٦ ـ ٣١
ابن عباس في عهد عثمان	٣٢ ـ ٣٤
تغير ظروف الحياة حول ابن عباس وأثـــره فيها وأثره فيها .	٣٥ ـ ٤٢
الحياة العلمية وأثرها .	٤٣ ـ ٤٤
التغيرات السياسية وموقف ابن عباس منها	٤٥ ـ ٧٥
ابن عباس وابن الزبير	٧٦ ـ ٧٧
الحياة الفكرية والاعتقادية التي عاصرها ابن عباس	٧٨ ـ ٨٠
الحياة الاجتماعية التي عاصرها ابن عبـــاس	٨١ ـ ٨٤
توضيح وتحليل مواقف ابن عباس الفكريـــــة والاجتماعية والسياسية .	٨٥ ـ ١٠١

الموضـــوع	رقم الفقـــرة
الفصـل الثانـــي	
شيـــوخ ابن عبـــاس	
(١٠٢ ـ ١٧٠)	
رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ •	١٠٢ ـ ١١١
عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ •	١١٢ ـ ١٢٥
أُبَيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ •	١٢٦ ـ ١٣٦
علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ •	١٣٧ ـ ١٥٢
زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ •	١٥٣ ـ ١٦١
بقية شيوخ ابن عباس من الصحابة لا يُحصون	١٦٢ ـ ١٦٣
علم ابن عباس وثقافته •	١٦٤ ـ ١٧٠
البـــاب الثانـــي	
مدرسة ابن عبـاس في التفســير	
(١٧١ ـ ٣٢٦)	
الفصـل الأول	
(١٧١ ـ ١٩٨)	
فهم الرسول والصحابة للقرآن	١٧١ ـ ١٧٨

الموضـــوع	رقم الفقـــرة
مصادر التفسير في عصر الصحابة	١٧٩ ـ ١٨٨
الذين اشتهروا بالتفسير من الصحابة	١٨٩ ـ ١٩٢
نماذج مما ثبت من التفسير في ذلك العهد	١٩٣ ـ ١٩٨
الفصل الثانـــي	
(١٩٩ ـ ٢٢١)	
منهج ابن عباس في تفسير القرآن	١٩٩ ـ ٢١٨
هل لابن عباس تفسير كامل مكتوب	٢١٩ ـ ٢٢١
الفصـل الثالـــث	
(٢٢٢ ـ ٣٠٠)	
مدرسة ابن عباس في التفسير	٢٢٢ ـ ٢٢٥
شيوخ هذه المدرسة من تلاميذ ابن عباس :	
سعيد بن جبير	٢٢٦ ـ ٢٣٧
مجاهد بن جبر	٢٣٨ ـ ٢٤٣
طاوس بن كيسان	٢٤٤ ـ ٢٥٤
عكرمة مولى ابن عباس	٢٥٥ ـ ٢٦١
عطاء بن أبي رباح	٢٦٢ ـ ٢٦٨

الموضـــوع	رقم الفقـــرة
دور مدرسة ابن عباس في نشر العلم وتوجهه	٢٦٩ ـ ٢٧٣
الرواية عن ابن عباس	٢٧٤ ـ ٣٠٠

الفصـل الرابـع

(٣٠١ ـ ٣٢٦)

المفسر المثالي والطريقة المثلى في التفسير	٣٠١ ـ ٣١٣
نماذج من تفسير ابن عباس وتعليق عليه	٣١٤ ـ ٣٢٦

الخاتمـــة

في تسجيل أهم نتائج البحث

(٣٢٧ ـ ٣٣٨)

ما يستخلص من التمهيد	٣٢٧
ما يستخلص من حياة ابن عباس	٣٢٨
ما يستخلص من دراستنا لشيوخ ابن عباس	٣٢٩
منهج ابن عباس في التفسير	٣٣٠
الكتاب المنسوب لابن عباس في التفسير لا يصـول عليه من حيث الصحة .	٣٣١
مدرسة ابن عباس في التفسير	٣٣٢

الموضـــوع	رقم الفقـــرة
دور مدرسة ابن عباس في نشر وتوزيع العلم عامة والتفسير خاصـة .	٣٣٣
من أسباب كثرة الدس على ابن عباس	٣٣٤
أصح الطرق عن ابن عباس	٣٣٥
الطرق الحسنة عن ابن عباس	٣٣٦
الطرق المهوحة والضعيفة عن ابن عباس	٣٣٧
أوجه المثالية في شخصية ابن عباس وفي تفسيره	٣٣٨
فهرس المراجـع	
فهرس الأعـلام	

'In the name of the Most Gracious and most Merciful.

Summary of the essay

I should like to give a programme for my topic which includes : a production, two chapters and a conclusion.

In the production I have explained the necessity of acting according to the "Koran" and that cannot be got except by clearing the "Koran" and therefore it was the duty of the "Prophet" God bless him, then I have shortly given the explanation of the prophet to the "Koran". The prophet God bless him has not explained the words and all the constructions, but has given his companions the general principles and left the details for the different enviroments during the different ages. He has also explained some of the words which are necessary for carrying out the "Koran" and left others for the excellent understanding of his late companions and the least knowledge of most of them through the Arab language.

There for the companions have played an important part in explaining the "Koran" and those who practise explaining the "Koran" can never do without following their traces.

I have given briefly the principal reasons which made Abdulla-ibn-Abbas (One of the popular companions) till he has become one of the first rate explainers.

I have specialised the first chapter for Abdull-ibn-Abbas studying his biography since his birth and his blessing by the prophet (God bless him). I have followed all the steps of his life according to the political, social and cultural conditions during his life. I have explained how he was affected through the different enviroments and his effect and how he has dealt with each problem by giving sensable reasons.

I have dealt in the second chapter with the Mastars of Ibn Abbas : The prophet God bless him, Omer Ibn El - Khattab, Oby Ibn Kaab, Aly Ibn Abi Taleb, and Zeid Ibn Sabet

and have explained the relation between Ibn Abbas and each one of them and the range of their influence upon him and mentioned hints from the rest of the old companions.

I have concluded this chapter by speaking about Ibn Abbas's learned position. I have also dealt in the second chapter with Ibn Abbas's school for explaining the Kora'n and has four acts.

I have spoken in the first chapter about the understanding of the prophet (God bless him) and the companions for the (Kora'n) and the references during the companions' age. I have mentioned those who have become famous and concluded the chapter by giving models through that era.

I have treated in the second chapter two subjects.

a- Ibn Abbas style in explanation.
b- Has Ibn Abbas left a complete written explanation ?

I have treated in the first subject his linguistic style in explanation and in the second subject I have said that the explanation is said to be his or his name "Tanweer El-Mekyas Mentafseer Ibn Abbas" has never been certified to be his, so it cannot be depended on.

In the third chapter I have two subjects also :

1. Ibn Abbas's school in explaining the Kora'n. His famous followers were Saieed Ibn Gobair, Megahed Ibn Gobr, Tawoos Ibn Kisan, Okrama, and Ataa Ibn Abi Rabah. I have mentioned the part played by this school in spreading and distributing knowledge.
2. What was said about Ibn Abbas and the secret of the contrast in what was said about him. Studying the famous ways through which his explanation was carried to us.

In the fourth chapter I have given general study for Ibn Abbas and his explaining and through this study his personality and his best method in explaining were dealt with. I have given "Models of his explanation" and what I have thought about them.

I have recorded in the conclusion the most important results of this topic.

I ask God to grant me layality in work and let me avoid mistakes.